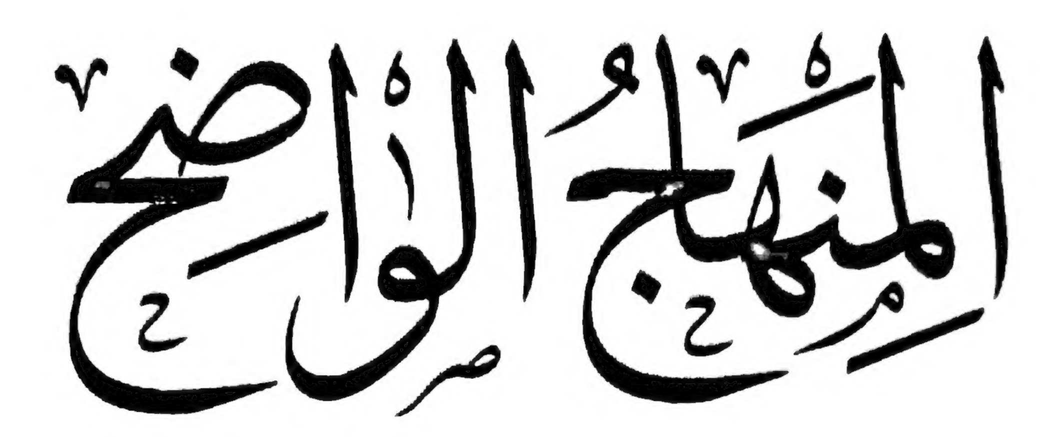


للبـــــلاغة

بقلم

حامد عونى

الأستاذ بكلية اللغة العربية

راجَعهُ و صَحّحهُ

طه عبد الرءوف

من علماء الأزهر الشريف

الجزء الأول

الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث

المنهاج الواضح للبلاغة
حامد عوني
بلاغــة

رقم الايداع : 14666/12
تدمك : 978-977-315-305-2

سنة الطبـع
1439 ـ 2018

المكتبة الازهرية للتراث

9 درب الاتراك خلف الجامع الازهر الشريف
TEL: +202 25120847
FAX: +202 25128459
E-mail : Almaktabaalazharia9@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أبلغ بنى العروبة منطقًا. وأفصحهم لسانًا؛ وأدراهم بمداخل القول؛ ومناحى الكلام، وعلى آله وصحبه اللُّسْن المقاويل، أولى الحجة الدامغة؛ والحكمة البالغة.

أما بعد: فقد شاء الله أن أدرس هذا الفن للسنة الأولى من القسم الثانى؛ فرأيت الكتاب المقرر - على ما فيه مما يشهد لصاحبه بالفضل - مضغوطًا ضغطًا دعا إليه ما احتواه من المباحث العديدة فى الفنون الثلاثة - وهو أمر يتعارض مع ما تتطلبه حاجة الناشئين فى هذه الفنون من بسط وإيضاح فيما قُرِّر عليهم منها لتنكشف لهم أوجه المعانى، وينبسط ما تعقَّد منها، فيسهل عليهم تحصيلها - رأيت ذلك إلى ما شهدته من تشتيت وتشريد فيما تعين لهم من موضوعاته، مما أدى إلى تبرم الطلاب، ورفع عقيدتهم بالشكاية فى كل مناسبة.

لهذا رأيتنى - وقد لمست حاجة الطلاب الملحَّة، وهم حديثو العهد بالفن - مضطرآ إلى وضع كتاب يجمع شمل هذه المباحث، ويضم شتاتها فى عبارة مكشوفة المعنى، واضحة المراد، مصوغة فى القالب الحبيب إلى نفوسهم، القريب من أفهامهم، متوخيًا جهد المستطيع تذليل العاصى، وإدناء القاصى حتى لا يتوعر الطريق، ولا يتعثروا فى المسير.

هذا وقد وضعت «كعادتى» بعد كل مرحلة تمرينين توليت الإجابة على أحدهما تدعيما لقواعد العلم في نفوس النشء، وتركت الآخر لأفهامهم مرانًا لهم على الاستقلال فى التفكير.

وقد ذيلنا هذه النسخة بمجموعة من الأسئلة التى وضعتها الإدارة العامة للنقل من الأولى للثانية فى سنين مختلفة لتكون كنماذج يسير الطالب فى تحصيله على هداها.

والله الكريم أسأل أن يجىء هذا الغرس شهى الثمر، دانى القطوف وأن يجزيَنى به قبولاً من عنده ورضوانًا.

المؤلف

منهج البلاغة

١- معنى الفصاحة والبلاغة.

٢- علم البيان- تعريفه- الدلالة- التشبيه وأقسامه- الحقيقة والمجاز.

٣- الكناية- تعريفها. أقسامها.

٤- البديع- أنواع منه.

كلمة موجزة فى تاريخ علوم البلاغة

لم يصنف العلماء فى هذه الفنون الثلاثة- المعانى؛ والبيان؛ والبديع- إلا بعد الفراغ من تدوين علوم اللسان؛ النحو؛ والصرف؛ واللغة.

ويمكن القول بأن أول كتاب دون فى هذه العلوم كان فى علم البيان، وهو كتاب «مجاز القرآن» لأبى عبيدة المتوفى سنة ٢٠٦هـ وضعه على إثر سؤال وجه إليه فى مجلس الفضل بن الربيع[1] عن معنى قوله تعالى فى شجرة الزقوم: «طلعها[2] كأنه رؤوس الشياطين» وكيف شبه الطلع برؤوس الشياطين وهى لم تُعرف بعد، أى وينبغى التشبيه بشيء معروف حتى يتبين المشبَّه، ويتضح، فأجاب أبو عبيدة:

بأنه على حد قول الشاعر:

أيقتلنى والمشرفى[3] مضاجعى ومسنونة زرق[4] كأنياب أغوال؟

يريد: أن المشبه به هنا غير معروف كذلك، وأن الغرض من التشبيه: عرض المشبه فى صورة مستفظعة مخوفة، والعرب تشبه قبيح الصورة بالشيطان أو الغول فيقولون: كأنه وجه الشيطان، أو كأنه رأس الغول، وإن لم يروهما لاعتقادهم أنهما شر محض، لا يخالطه خير، فيرتسم فى خيالهم بأقبح صورة.

ثم قام أبو عبيدة من فوره، وتقصى ما ورد فى القرآن من الألفاظ التى أريد بها غير معناها الأول فى اللغة وجمعها فى هذا الكتاب، وسماه «مجاز القرآن».

وأبو عبيدة هذا هو معمر بن المثنى اللغوى البصرى، تلميذ يونس بن حبيب شيخ سيبويه، إمام النُّحاة، وأستاذ أمير المؤمنين هارون الرشيد، ثم تبعه العلماء من بعده، فوضعوا رسائل فى الاستعارة والكناية لم تميز علم البيان تمييزاً خاصاً، وبقيت الحال كذلك مدة العصر العباسى الأول.

---

(١) أحد وزراء المأمون.

(٢) الطلع هنا يراد به الحمل وأصله طلع النخل سمى به حمل هذه الشجرة.

(٣) وصف للسيف منسوبًا إلى مشارف الشام وهى قرى كانت تجيد صناعة السيوف.

(٤) المراد بها أسنة الرماح.

أما علم المعانى: فلم يُعلم بالضبط أول من تكلم فيه، وإنما أثر عن بعض فحول الكتاب والخطباء كجعفر بن يحيى[(١)] وسهل بن هارون[(٢)] وغيرهما كلام فى هذا النوع من البلاغة، ولكنه لم يطبع هذا العلم بطابع خاص يتميز به عن سواه.

وأول من أسهم لهذا العلم من عنايته، وخصه بمستفيض بحثه، ودون فيه ونظم عمرو بن بحر الجاحظ[(٣)] فى كتابيه: البيان والتبيين، وإعجاز القرآن وغيرهما، وتقفاه العلماء من بعده كأبى عباس المبرد[(٤)] صاحب الكامل وقدامة بن جعفر الكاتب[(٥)] ووقف الأمر عند هذا الحد مدة هذا العصر.

أما علم البديع: فإن أول من كتب فيه كتابًا خاصًا - على ما قيل - عبد الله بن المعتز الخليفة العباسى المتوفى سنة ٢٩٦هـ. وكان الشعراء من قبله يأتون فى أشعارهم بضروب من البديع كبشار بن برد[(٦)] ومسلم بن الوليد[(٧)] وأبى تمام[(٨)] وغيرهم، فجاء ابن المعتز وجمع من أنواعه سبعة عشر نوعًا، وكان ممن يعاصره قدامة بن جعفر سالف الذكر، فجمع منه عشرين نوعًا اتفق مع ابن المعتز على سبعة منها، وسلم له ثلاثة عشر، تضاف إلى السبعة عشر التى جمعها ابن المعتز فيكون جملة ما جمعاه ثلاثين نوعًا، هى أقصى ما جمع فى ذلك العصر.

وجاء العصر التالى، فزاد كل من أبى هلال العسكرى[(٩)] صاحب الصناعتين وابن رشيق[(١٠)] صاحب العمدة أنواعا كثيرة، لم تخرج فى جملتها عما جمعه ابن المعتز وقدامة.

ولم تميز هذه العلوم، وتبوب وتُفصل إلا فى العصر التالى، وأول من نزع عن

(١) أحد وزراء هارون الرشيد.
(٢) فارسى الأصل اتصل بالمأمون فولاه خزانة الحكمة وكان أديبًا شاعرا حكيما يتعصب للعجم على العرب.
(٣) هو إمام الأدب أبو عثمان عمرو بن بحر البصرى صاحب التصانيف الممتعة والرسائل المبدعة.
(٤) هو أبو العباس محمد بن يزيد النحوى.
(٥) كان نصرانيا أسلم واشتهر فى زمانه بالبلاغة ونقد الشعر ألف فى ذلك كتبا.
(٦) هو أبو معاذ أشعر مخضرمى الدولتين: الأموية والعباسية؛ كان مع هذا كفيفًا.
(٧) هو صريع الغوانى أبو الوليد أحد الشعراء المسلمين فى الدولة العباسية.
(٨) هو حبيب بن أوس الطائى عربى الأصل أحد الشعراء الأعلام.
(٩) هو الحسن بن عبد الله بن سهل المتوفى سنة ٢٩٥هـ.
(١٠) هو أبو على الحسن بن رشيق المتوفى سنة ٤٠٩هـ.

قوسه، وروى إلى هذا الهدف شيخ البلاغة الإمام عبد القاهر[1] صاحب دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة.

وبقيت الحال كذلك حتى جاء فارس الحلبة أبو يعقوب يوسف السكاكى المتوفى سنة ٦٢٦هـ فبسّط هذه العلوم فى كتابه «المفتاح» وهذّب مسائلها ورتب أبوابها، فكان كل من جاء بعده عيالاً عليه.

وجه الحاجة إلى دراستها

إن لهذه العلوم الفضل الأول فى بيان أسرار اللغة ، والكشف عن كنوزها، والبحث عن نفائسها، وفى معرفة مالها من ميزة السبق على سائر اللغات حتى نزل بها القرآن الكريم، فوسعته معنى وأسلوبًا، على ما فيه من روعة وجلال- فكان ذلك شهادة لها بإحرازها قصب السبق، واستوائها على عرش السيادة- كذلك لها الفضل الأول فى الكشف عن سر إعجاز القرآن بما حواه من بارع اللفظ ورائع الأسلوب، وما تضمنه من بيان ساحر هو فوق متناول الإدراك، حتى وقف بنو العروبة، وحاملو لوائها واجمين، وخرّ له عباقرة البيان ساجدين.

من أجل هذا كانت حاجتنا إلى دراسة هذه العلوم فوق حاجتنا إلى شأن آخر من شؤون الحياة- وما ظنك بما يكشف لكم عن سر ما للغة آبائك من قوة واعتزاز، وما احتواه كتاب ربك رمز العظمة وآية الإعجاز! .

●●●

(١) هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجانى المتوفى عام ٤٧١هـ.

معنى الفصاحة والبلاغة

الفصاحة، معناها فى اللغة: البيان والظهور. يقال: أفصح الصبى فى منطقه، وفصح فيه إذا بان وظهر كلامه -كما يقال: أفصح الأعجمى، وفصح إذا انطلق لسانه بالعربية لا تشوبه لكنة- ومنه قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ﴾ [القصص: ٣٤] أى أبين منى قولاً.

ويقال: أفصح الصبح إذا بدا ضوؤه ولمع، ومنه المثل المشهور: أفصح الصبح لذى عينين[1] كما يقال: هذا يوم مفصح أى جلى لا غيم فيه.

ويقال: أفصح اللبن إذا نزعت رغوته فظهر، ومنه المثل المعروف: وتحت الرغوة اللبن الفصيح[2]- فظهر لك مما تقدم من الأمثلة: أن الفصاحة فى اللغة لم تخرج عن معنى الظهور والبيان.

أما معناها فى اصطلاح البلغاء فيختلف باختلاف موصوفها، وهو أحد أمور ثلاثة: الكلمة، والكلام، والمتكلم.

يقال: هذه كلمة فصيحة إشارة إلى كلمة معينة كلفظ «الأجل» ويقال: هذا كلام فصيح إشارة إلى مركب معين كقولنا: الله الأجل، ويقال: هذا فصيح إشارة إلى متكلم خاص كأبى بكر، أو عمر، أو على، أو غيرهم من فصحاء العرب، وإليك بيان كلٍّ على الترتيب.

فصاحة الكلمة:

فصاحتها: أن تسلم من العيوب الثلاثة الآتية:

١- تنافر الحروف.

٢- مخالفة الوضع[3].

---

(١) يضرب للشىء يظهر بعد استتاره.

(٢) يضرب للأمر ظاهره غير باطنه.

(٣) إنما آثرنا هذا التعبير على قولهم: مخالفة القياس لأنه أدل على المعنى المراد منه على ما يأتى.

٣- الغرابة -وبسلامتها من هذه العيوب تسلم مادتها، وصيغتها، ومعناها من الخلل- وهاك بيان العيوب الثلاثة على هذا النسق.

تنافر الحروف: هو وصف فى الكلمة التى ينشأ عنه ثقلها على اللسان، وتعسر النطق بها، وهو نوعان: تنافر شديد، وتنافر خفيف.

فالشديد: كلفظ «الظش» للموضع الخشن «والهعخع» لنبات ترعاه الإبل فى قول أعرابى سُئل عن ناقته: تركتها ترعى الهعخع فهاتان الكلمتان غير فصيحتين لما فيهما من تنافر الحروف تنافراً شديداً، يشعر به كل ناطق، وهو خلل واقع فى مادتها.

والخفيف: كلفظ «النُّقاخ» بضم النون للماء العذب الصافى، و«كمستشزرات» فى قول امرئ القيس[1]:

غدائره مستشزرات إلى العلا تضلُّ العقاص فى مثنًّى ومرسَل[2]

يصف الشاعر حبيبته بكثرة الشعر، وغزارته، وأنه لكثافته مقسم إلى أقسام، فبعضه مرتفع، وبعضه مرسل، وبعضه مثنى، وبعضه معقوص ملوى: وأن المعقوص منه يتيه ويختفى فيما يثنى وأرسل منه، فهاتان الكلمتان غير فصيحتين لما فيهما من تنافر الحروف، وهو خلل واقع فى مادتهما كذلك.

تنبيه:

قيل: إن الضابط المعول عليه فى ضبط التنافر: قرب مخارج الحروف أو بعدها بمعنى: أن تكون الحروف متقاربة فى المخرج أو متباعدة فيه فلفظ «الهعخع» مثلاً متنافر ثقيل لتقارب حروفه فى المخرج ذلك: أن الهاء والعين والخاء خارجة كلها من مخرج واحد هو الحلق إلا أن بعضها خارج من أقصاه، وبعضها من قريب منه.

ولفظ «مستشزرات» متنافر ثقيل أيضًا لتقارب حروفه فى المخرج كذلك إذ أن

(١) هو أسبق شعراء الجاهلية إلى ابتداع المعانى وحسن التعبير عنها، وأول من وقف على الديار واستبكى الأطلال.

(٢) الغدائر: جمع غديرة وهى المسماة فى عرفنا بالضفيرة؛ والضمير راجع إلى «فرع» فى الشطر الأول من البيت قبله وهو «وفرع يزين المتن أسود فاحم» أى فرع محبوبته، و«مستشزرات» بكسر الزاى أو فتحها بمعنى: مرتفعات أو مرفوعات و«العقاص» جمع عقيصة وهى خصلة ضده.

حروفه - ما عدا الميم - خارجة من مخرج واحد هو اللسان غير أن بعضها خارج من طرفه، وبعضها من وسطه، ولفظ «ملع» بمعنى أسرع متنافر ثقيل لتباعد حروفه فى المخرج إذ أن الميم خارجه من الشفتين، والعين من أقصى الحلق وهكذا.

ورد هذا القول أن الضباط المذكور غير مطرد لأننا لا نجد تنافرًا فى لفظتى «الجيش والشجى» مع تقارب الشين والجيم فى المخرج: ولا نجد تنافرًا فى «ألم أعهد إليكم» مع تقارب الهمزة والعين والهاء فى المخرج كذلك كما لا نجد تنافرًا فى مثل «علم وملح» مع تباعد المخرجين فى العين والميم فى الأول، والميم والحاء فى الثانى وإذًا فقرب المخارج أو بعدها لا يصلح ضابطًا يعول عليه فى ضبط التنافر لعدم اطِّراده، كما عرفت بل الحكم فى ذلك للذوق السليم فما عدّه الذوق السليم ثقيلاً متعثر النطق فهو متنافر - سواء أكان متقارب الحروف أو متباعدها اهـ.

مخالفة الوضع: هى أن تكون الكلمة مخالفة لما ثبت عند الواضع سواء أكانت مخالفة للقياس الصرفى أيضًا أم لا، فمقدار المخالفة على ما ثبت عند الواضع كما ستراه بعد.

فمثال ما خالف الأمرين معًا لفظ «بوقات» جمع مؤنث مفرده «بوق» بمعنى المزمار، فى قول المتنبى يمدح سيف الدولة:

فإن يكُ بعض الناس سيفًا لدولة ... ففى الناس بوقات لها وطبول

يقول: إذا كنت سيفًا لدولتك له خطره وأثره، فغيرك من الملوك بمثابة البوق والطبل لا أثر له. ولا غناء فيه، فلفظ «بوقات» فى البيت غير فصيح لمخالفته ما ثبت عن الواضع والقياس الصرفى إذ الثابت عن الواضع جمعه جمع تكسير، والقياس الصرفى يقتضى جمعه مكسرًا أيضًا فيقال «أبواق» لأن جمع المؤنث السالم له مواضع خاصة، ليس هذا الاسم منها، وذلك خلل واقع فى الصيغة.. ومثله لفظ «ضننوا» بمعنى بخلوا من قول الشاعر:

مهلاً أعاذلُ قَدْ جربتِ من خُلقى ... أنى أجودُ لأقوامٍ وإن ضننوا

يقول الشاعر لمن لامته على إحسانه لمن بخلوا عليه: اقصدى من لومك فقد عرفت أن من خُلقى مجازاة منْ يسىء إلىَّ بالإحسان إليه لأنى إنما أصنع المعروف للمعروف،

لا لشىء وراءه . فلفظ «ضننوا» غير فصيح لأنه مخالف لما ورد عن الواضع، وللقياس الصرفى، إذ الوارد عن الواضع «وإن ضنوا» بالإدغام، لا بالفك والقياس الصرفى أيضًا يقتضى إدغام المثلين- ومنه لفظ «الأجلل» فى قول الشاعر :

الحمد لله العلى الأَجْلَلِ أنت مليك الناس ربًا فاقبل

فلفظ «لأجلل» غير فصيح لأنه مخالف لما ثبت على الواضع وللقياس الصرفى كما فى المثالين قبله .

ومثال ما خالف الثابت عن الواضع، ووافق القياس قولك : «يأبِى» بكسر الباء مضارع «أبى» فهو غير فصيح، لأنه مخالف لما ثبت عن الواضع إذ الثابت عنه «يأبَى» بفتح الباء، لا بكسرها، فى حين أنه موافق للقياس الصرفى، لأن «فعل» بفتح العين لا يأتى مضارعه على «يفعل» بالفتح إلا إذا كان عين ماضيه أو لامه حرف حلق «كسأل يسأل» و«منع يمنع»، وليس «أبى يأبى» من هذا القبيل- كذلك لا يأتى مضارعه على «يفعُل» بالضم إلا إذا كان مضعف العين متعديًا «كمده يمده»، أو أجوف واويًا «كقال يقول» أو ناقصًا واويًا «كسما يسمو» وليس «أبى يأبى» أحد هذه الأنواع . فكسر عين مضارعه حينئذ موافق للقياس الصرفى، ولكنه مع ذلك غير فصيح لمخالفته ما ثبت عن الواضع .

فالشرط إذًا فى مخالفته الوضع : أن تخالف الكلمة ما ثبت عن الواضع- سواء خالفت القياس الصرفى أيضًا أو لا، «كما عرفت» .

تنبيه:

علم مما تقدم: أن ما ثبت عن الواضع- سواء وافق القياس الصرفى أو خالفه فتصبح فنحو «آل وماء» من قولك : «هؤلاء آلك فاعطف عليهم، وهذا ماؤك فاشربه، مخالف للقياس الصرفى لأن الأصل فيهما «أهل وموه» أبدلت الهاء فيهما همزة، وهذا الإبدال لا يقره القياس، ولكنه فصيح لموافقته ما ورد عن الواضع- ومثله «أبى يأبى» بفتح الباء فى المضارع، والقياس كسرها لما تقدم بيانه، ولكنه فصيح لوروده هكذا عن الواضع- كذلك قولهم : عورت عين فلان، واستحوذ عليهم الشيطان فالقياس فيهما أن يقال : عارت عينه . واستحاذ عليهم بقلب الواو ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها، فتصبح الواو حينئذ مخالفًا للقياس لكنه فصيح لأنه ثبت هكذا عن الواضع .

الغرابة: هى أن تكون الكلمة وحشية أى غير ظاهرة الدلالة على المعنى، ويكون ذلك لسببين:

الأول: عدم تداول الكلمة فى لغة العرب الخلص، فيحتاج فى معرفتها إلى بحث وتنقيب فى معاجم اللغة.

فتارة يعثر على معناها بعد البحث كلفظتى «تكأكأتم وافرنقعوا» من قول عيسى ابن عمر النحوى، وقد سقط عن دابته، فاجتمع الناس حوله: مالكم تكأكأتم علىّ كتكأكئكم على ذى جنة افرنقعوا، فمعنى «تكأكأتم»: اجتمعتم، ومعنى «افرنقعوا»: انصرفوا. يقول متعجبًا: مالكم اجتمعتم علىّ كاجتماعكم على ذى جنون تنحوا عنى- ومنه لفظ «رخاخ» بفتح الراء فى قولهم: نحن فى رخاخ من العيش، أى فى سعة ورغد.

وتارة لا يعثر عليه بعد البحث كلفظ «جحلنجع» من قول أعرابى يسمى أبا الهميسع(١): من طمحة(٢) صبيرها(٣) جحلنجع(٤) بجيم مفتوحة، فمهملة ساكنة، فلام مفتوحة، فنون ساكنة، فجيم مفتوحة، فعين مهملة فهذه الكلمات الثلاث غير فصيحة، لأنها غريبة غير ظاهرة المعنى لعدم تداولها، وذلك خلل واقع فى المعنى.

الثانى: عدم استعمال الكلمة عند العرب الخلص بالمعنى الذى أُريد منها، فيحتاج فى معرفتها إلى تخريج على وجه بعيد كلفظ «مسرجًا» فى قول العَجاج أحد الرجازين المشهورين:

أيام أبدت واضحًا مفلجَا ... أغر براقا وطرفًا أدعجَا

ومقلة وحاجبًا مزججَا ... وفاحمًا ومرسنا مسرجَا(٥)

يصف الشاعر من محبوبته عدة أشياء منها الأنف فى قوله: و «مرسنا مسرجًا» فقد أراد بالمرسن أنفها، وهو فى الأصل أنف البعير إذ هو موضع الرسن(٦) منه. ثم أريد

---

(١) بفتح الهاء والسين.

(٢) الطمحة: النظر.

(٣) الصبير: السحاب.

(٤) لم يعثر على معناها بعد.

(٥) ضمير «أبدت» عائد على محبوبته فى البيت قبله «وواضحا» صفة لموصوف محذوف أى سنا واضحًا متميزًا، والفلج بالتحريك تباعد ما بين الأسنان، والأغر الأبيض والدعج بالتحريك اتساع العين وحسنها والتزجيج التدقيق مع تقويس و «فاحما» صفة لمحذوف أى شعرًا أسود كالفحم فهو نسبة تشبيهية من نسبة المشبه إلى المشبه به.

(٦) هو مقود البعير.

به: مطلق أنف مجازًا مرسلا كما سيأتى بيانه فى محله فقوله: «مسرجًا» غير فصيح لأنه غريب غير ظاهر المعنى لعدم استعماله بالمعنى الذى أريد منه على ما يظهر.

بيان ذلك: أنه لم يعلم ما أراده الشاعر بقوله: «مسرجًا» ولذلك اختلف فيه فقيل: هو من قولهم «سيوف سريجية» أى منسوبة إلى حداد يقال له سريج[1] كان يجيد صنعها، فهو يريد أن يشبه أنفها فى الدقة والاستواء بالسيف السريجى.

وقيل: هو من السراج أى المصباح، يريد أن يشبه أنفها فى البريق واللمعان بالسِّراج، وهذا التأويل قريب من قولهم: سرج الله وجهه أى بهّجة وحسّنهُ.

وعلى كلا القولين هو غير ظاهر الدلالة على ما ذكر لأن مادة «فعل» بالتشديد إنما تدل فقط على مجرد نسبة شىء إلى شىء فيقال: كفر فلان فلانًا نسبة إلى الكفر، وفسقه نسبة إلى الفسق، فهو مكفر أو مفسق أى منسوب إلى الكفر أو الفسق- أما النسبة التشبيهية، وهى أن يكون المنسوب شبيها بالمنسوب إليه، فلا تدل عليه المادة المذكورة، فأخذ ذلك منها بعيد، لهذا كان اللفظ غريبًا، غير ظاهر الدلالة لعدم استعماله عند العرب بهذا المعنى.

تنبيهان:

الأول: اعلمْ أن عدم ظهور المعنى المتقدم ذكره فى مفهوم الغرابة منظور فيه إلى الخلص من الأعراب سكان البادية، فهم قد يخفى عليهم معنى اللفظ إذا قلَّ تداوله بينهم، أو أهمل استعماله بالمعنى المراد كما ذكرنا- أما غير العرب من المولدين فغير منظور إليهم فى ذلك وإلا خرج كثير من قصائد العرب، بل جلها عن الفصاحة، لغلبة الجهل باللغة على غير أربابها.

الثانى: زاد بعضهم عيبًا رابعًا على العيوب المخلة بفصاحة الكلمة، وهو أن تكون الكلمة مستكرهة ويمجها السمع، ويأنفها الطبع كلفظ «النقاخ» بضم النون بمعنى الماء العذب فى قول الشاعر:

وأحمق ممن يكرع الماء قال لى ... دع الخمر واشرب من نقاخ مبرَّد

---

(١) بضم السين وفتح الراء.

و «كالجرشى» بمعنى النفس فى قول أبى الطيب يمدح سيف الدولة :

مبـــارك الاسم أغـــر اللقب كـريم الجـرشى شـريـف النسب[1]

والحق : أن فى ذكر الغرابة غنية عن ذكر هذا العيب، لأن استكراه السمع للفظ إنما جاء من ناحية وحشيته وغرابته اهـ.

إذا علمت هذا علمت أن كل كلمة برئت من العيوب المتقدم ذكرها عدت فى عرف علماء البلاغة فصيحة.

تمرين

١ - تكلم بإيجاز عن تاريخ نشأة العلوم البلاغية، وبين وجه الحاجة إلى دراستها.

٢ - عرف معنى الفصاحة فى اللغة، ومثل لها بمثالين :

٣ - بين معنى الفصاحة فى الكلمة، ثم بين معنى التنافر فيها مع التمثيل.

٤ - اختلف الرأى فى ضابط التنافر، فوضح هذا الخلاف، ثم أبطل المرجوح منه بالدليل.

٥ - بين معنى المخالفة فى الكلمة، وهل المعول عليه فيها القانون الصرفى أو السماع؟ وضح ذلك بالأمثلة.

٦ - بين معنى الغرابة فى الكلمة، ومرجع الغرابة فيها، ثم وجه غرابة «مسرجًا» فى قول الشاعر : «وفاحمًا ومرسنًا مسرجًا».

٧ - بين العيوب التى أخلت بفصاحة الكلمة فيما يأتى :

(١) نقنق الضفدع فى المثعنجر[2]

(٢) أكلت العرين وشربت الصمادح[3]

---

(١) إنما كان مبارك الاسم لإشعاره بالعلو، ولموافقته لاسم على بن أبى طالب فهو سميه. وأغر اللقب مشهور لاشتهاره بسيف الدولة، والملوك يشار إليهم بألقابهم وشريف النسب لأنه «على ما قيل» من سلالة بنى العباس.

(٢) نقيق الضفدع صوته، والمثعنجر البحر.

(٣) العرين: اللحم، والصُّمادح بضم الصاد الماء الخالص.

٣- إن بنــى لــلــئـــــــام زهــده   مــالى فى صــدورهم من مُــوَدَّده[١]

٤- وإذا الرجــال رأوا يزيد رأيتــهم   خــضع الرقــاب نواكس الأبصــار

(٥) مرّ بى رجلٌ مسعوى به عند الأمير.

(٦) ارتخش[٢] المهمل فزعًا عند الامتحان.

(٧) اطلخم[٣] الأمر.

(٨) تصفحت الكتاب فإذا هو مصوون.

(٩) نحن قوم فواهم ما تقول.

(١٠) صون يديك عن الأذى.

(١١) ملأ البعاق الجردحل[٤].

(١٢) أسمع جعجعة وأنا أشرب السمالج[٥].

(١٣) يوم عصبصب وهلوف ملأ السجسج طلاً[٦].

(١٤) أمنــا أن تصــرع عن ســمــاح   ولـلآمــــال فى يـدك اصطـراع[٧]

(١٥) يظل بموماة ويمسى بغيــرها   جحيشًا ويعرورى ظهور المسالك[٨]

الجواب على السؤال الأخير

(١) فى «نقنق والمشعنجر» تنافر حروف، وفى الثانى منهما وحشية وغرابة يحتاج فى الكشف عنهما إلى بحث.

---

(١) معنى البيت: أن أولاده عاقون لا يأخذهم به حنو ولا رحمة، وأنهم لئام يقابلون إحسانه بالإساءة.

(٢) اضطراب.   (٣) اشتد.

(٤) البعاق بكسر الباء، والجردحل بكسر فسكون ففتح فسكون: الوادى.

(٥) الجعجعة صوت الرّحى وصوت الجمال إذا اجتمعت، والسمالج بضم السين وكسر اللام: اللبن.

(٦) «العصبصب» الشديد الحر، والهلوف بكسر الهاء وتشديد اللام المفتوحة هو الذى يستر «غمامة شمسه» والسجسج الأرض ليست سهلة ولا صلبة، والطل: المطر الخفيف.

(٧) تصرع بتشديد الراء مع البناء للمجهول وتمنع بشدة، يريد: أنهم أمنوا أن يغلبه غالب يمنعه من السماح، واصطراع الآمال فى يده ازدحامها وتدافعها.

(٨) الموماة الفلاه الواسعة، والجحيش بفتح فكسر أو بضم ففتح: المستبد برأيه، واعرورى ركبها عريانة.

(٢) فى «العرين والصمادح» غرابة فى المعنى، تحتاج إلى بحث وتنقيب.

(٣) فى «موددة» مخالفة لما ثبت عن الواضع، وللقانون الصرفى إذْ الثابت عن الواضع «مودة» بالإدغام، والقاعدة الصرفية توجب إدغام المثلين المتحركين.

(٤) فى «نواكس» مخالفة إذْ لا يصح نقلاً عن الواضع، ولا فى القانون الصرفى جمع فاعل وصفًا لمذكر عاقل على «فواعل».

(٥) ففى «مسعوى» مخالفة، والصواب فيه أن يقال: مسعى بقلب الواو ياء وإدغام الياء فى الياء.

(٦) فى «ارتخش» تنافر الحروف، وغرابة فى المعنى.

(٧) «اطلخم» لفظ غريب وغليظ فى السمع، يمجه الذوق، ويأنفه الطبع.

(٨) فى «مصوون» مخالفة، والصواب «مصون» بحذف الواو الثانية لالتقاء الساكنين، بعد نقل حركة الواو إلى الساكن قبلها.

(٩) «فى فواهم» مخالفة، إذْ لا يجمع فاعل لمذكر عاقل على «فواعل».

(١٠) فى «صون» مخالفة، وصوابه: «صن» بحذف الواو لالتقاء الساكنين.

(١١) «البعاق والجردحل» كلاهما غريب يحتاج إلى بحث.

(١٢) فى «جعجعة» تنافر فى الحروف، وفى «السمالج» غرابة فى المعنى.

(١٣) فى الكلمات الثلاث غرابة، وفى الثالثة منها تنافر.

(١٤) فى لفظ «اصطراع» بمعنى كثرة النوال والكرم غرابة يحتاج بسببها إلى تأويل بعيد.

(١٥) فى لفظتى «جحيش» وبعرورى، غرابة يمجها الطبع ويأباها السمع.

تمرين على هذا السؤال مطلوب جوابه

كتب بعض أمراء بغداد، حين مرضت أمه رقاعًا وطرحها فى المسجد الجامع بمدينة السلام، قال فيها:

صين امرؤ ورعى دعا لامرأة إنقحلة[١] مقسئنة قد منيت[٢] بأكل الطرموق[٣] فأصابها من أجله الاستمصال[٤] أن يمن الله عليها بالاطرغشاش[٥] فكان كل من يقرأ كلامه يسلقه بحاد لسانه .

وقال أبو الطيب المتنبى :

فلا يبرم الأمرُ الذى هو حاللٌ ولا يحلل الأمرُ الذى هو يبرمُ

وقال امرؤ القيس : رب جفنة مثعنجرة[٦] وطعنة مسحنفرة[٧] وخطبة مستحضرة، وقصيدة محبرة[٨] تبقى غدًا بأنقرة[٩] .

وقال أبو تمام :

نعم متاع الدنيا حباك به أروع لا جيدر ولا حبس[١٠]

فصاحة الكلام[١١]:

هى أن يبرأ من العيوب الثلاثة الآتية :

١- تنافر الكلمات .

٢- ضعف التأليف .

٣- التعقيد بنوعيه- غير أن سلامة الكلام من هذه العيوب مشروطة بسلامة أجزائه من العيوب السابقة- وإليك بيان العيوب الثلاثة على الترتيب :

---

(١) بكسر الهمزة وسكون النون وفتح القاف وسكون الحاء وفتح اللام ومعناه يابسة.

(٢) أصيبت. (٣) الخفاش.

(٤) الإسهال. (٥) البرء.

(٦) الجفنة: القصعة والمثعنجرة: المتسعة.

(٧) متسعة. (٨) أى مُحسّنة.

(٩) عاصمة تركيا الآن قال امرؤ القيس ذلك حين أدركه الموت، وكان قد ذهب إلى ملك الروم يستنجده على قتلة أبيه فهويته «على ما قيل» بنت الملك وبلغ ذلك قيصر فأسرها فى نفسه ووعده بإجابة ما طلب، ولما كان بأنقرة بعث إليه بثياب مسمومة فلبسها فتساقط لحمه، وحين علم ذلك قال ما قال.

(١٠) «حباك» أعطاك، و «الأروع» هو الذى يعجبك حُسنه و «الجيدر» بفتح الجيم والدال القصير، والجبس بكسر فسكون الجامد الثقيل الروح.

(١١) يراد بالكلام هنا ما يشمل التام والناقص.

تنافر الكلمات: هو وصفٌ فى الكلمات مجتمعة يوجب ثقلها على اللسان وعسر النطق بها، وإن كان كل كلمة منها على حدة لا ثقل فيها.

فالشديد البالغ الغاية كقول الشاعر:

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر[1]

«قفر» بالرفع نعت «المكان» على القطع للضرورة، وقيل هو نعت «قبر» ومعنى كونه قفرًا- على هذا القول- قيامه وحده فى هذا المكان، والشاهد فيه المصراع الثانى، فإن كلماته متعادية، ينفر بعضها من بعض أشد النفور حتى لا يكاد اللسان ينطق بها مجتمعة- ومثله قول الشاعر:

«فى رفع عرشِ الشَّرعِ مثلُكَ يَشْرَعُ»

فإن اللسان ليتعثر عند النطق به أيما تعثر.

والخفيف كقول أبى تمام يعتذر لمدوحه، ويتبرأ مما نسب إليه:

كريم متى أمدحه أمدحه والورى معى وإذا ما لُمته لمتُه وحدى

يقول: إذا ما جرى لسانى بمدحه رأيت الناس عامة ألسنة مدح وثناء معى لفيض إنعامه، وعموم أياديه، وإذا ما هممت بلومه لم يتبعنى فيه أحد لعدم وجود ما يقتضيه- والشاهد فى قوله: «أمدحه أمدحه، فإن فى اجتماع هاتين الكلمتين ثقلاً عند النطق بهما، يشعر به صاحب الذوق السليم»[2].

ضعف التأليف: هو أن يكون الكلام فى تركيبه مخالفًا للمشهور من قوانين النحو التى اعتمدها جمهور النحاة، كالإتيان بالضمير متصلاً بعد «إلا» وكالإضمار قبل ذكر المرجع لفظًا، أو معنى، أو حكمًا.

---

(١) زعموا أن هذا البيت لأحد الجان صاح على حرب بن أمية جد معاوية أمير المؤمنين فمات لوقته، فأنشد الجنى هذا البيت، والواقع أنه لم يعرف قائله.

(٢) ذكر الصاحب بن عباد أنه أنشد هذه القصيدة بحضرة ابن العميد فلما بلغ هذا البيت قال له ابن العميد: هل تعرف فيه شيئًا من الهجنة؟ قال: نعم مقابلة المدح باللوم، وإنما يقابل بالذم أو الهجاء، فقال ابن العميد: غير هذا أريد: فقال الصاحب: لا أدرى غير ذلك، فقال ابن العميد: هذا التكرار فى «أمدحه أمدحه» مع الجمع بين الحاء والهاء خارج عن حد الاعتدال، نافر كل التنافر فأثنى عليه الصاحب.

فمثال الأول قول الشاعر :

وما علينا إذا ما كنت جارتنا ألا يجاورنا إلاك ديار[١]

والأصل أن يقال : إلا إياك .

ومثال الإضمار قبل الذكر قول حسان بن ثابت ، يرثى مُطعم بن عدى :

ولو أن مجدًا أخلد الدهر واحدًا من الناس أبقى مجده الدهر مطعما

يقول : لا بقاء لأحد فى الدار الدنيا- سواء فى ذلك الرفيع والوضيع ، ولو أن المجد يخلد صاحبه لبقى مطعم على مدى الدهر ، يريد : أنه كان ماجدًا نبيلاً .

والشاهد فى المصراع الثانى حيث أضمر قبل ذكر المرجع لفظًا ؛ ومعنى ؛ وحكمًا ؛ ذلك أن الضمير فى «مجده» راجع إلى «مطعم» ، وهو لم يذكر قبل الضمير لفظًا ، وهو ظاهر ، ولامعنى لأنه مفعول به ، فمرتبته التأخير ، ولا حكمًا لأنه محكوم عليه بالتأخير لمفعوليته .

فكل من الإتيان بالضمير متصلاً بعد إلا ، والإضمار قبل الذكر غير جائز عند جمهور النحاة ، لهذا كان المصراع الثانى ، من البيتين : الأول ، والثانى ، غير فصيح لضعف التأليف فيه .

أما نحو هزم خالد عدوه ، ورفع قبيلته عنترة ، ونحو نعم فارسًا على[٢] وربه رجلا[٣] ، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[٤] ، فكل ذلك فصيح لأنه جار على قانون النحو المشهور لتقدم المرجع لفظًا فى الأول ، ومعنى فى الثانى لأنه فاعل ومرتبته التقدم على المفعول ، ولتقدمه حكمًا فى الأمثلة الباقية ، لأن وضع الضمير على أن يعود على متقدم ، وإنما أُخِّر فيها لنكتة بلاغية كما سيأتى فى محله .

التعقيد: هو أن يكون الكلام غير ظاهر الدلالة على المعنى المراد لخلل واقع فيه[٥] ، وهو نوعان- لفظى ، ومعنوى .

---

(١) ومنه قول الشاعر :

ليس إلاك يا على همام سيفه دون عرضه مسلول

(٢) على رأى من يعرب مخصوص «نعم وبئس» مبتدأ لخبر محذوف أو العكس .

(٣) المراد : ضمير رب. (٤) المراد : ضمير الشأن.

(٥) احترز به عما خفى المراد منه لا لخلل فيه بل لإرادة المتكلم إخفاء المراد منه لحكمة كالذى ورد فى القرآن من المتشابه والمشكل والمجمل فلا مقيد فيه .

التعقيد اللفظي: أن يكون الكلام غير ظاهر الدلالة على المعنى المراد لخلل واقع في نظمه وتركيبه بحيث لا يكون ترتيب الألفاظ على وفق ترتيب المعاني بسبب تقديم، أو تأخير، أو فصل، أو حذف، أو نحو ذلك مما ينشأ عنه صعوبة فهم المعنى المراد، وهو على ضربين: شديد وخفيف.

فالشديد كقول الفرزدق[١] يمدح إبراهيم المخزومي خال هشام بن عبد الملك:

وما مثله في الناس إلا مملكا ... أبو أمه حي أبوه يقاربه

يريد: وما مثل هذا الممدوح في الناس حي يقاربه في الفضائل إلا مملكا، أبو أم ذلك المملك أبو الممدوح، أي لا يحاكيه أحد إلا ابن أخته.

ففيه فاصل كبير بين البدل وهي «حي» والمبدل منه وهو «مثله»، وفيه تقديم المستثنى وهو «مملكا» على المستثنى منه وهو «حي» وفيه فصل بين المبتدأ والخبر وهما «أبو أمه أبوه» بأجنبي هو «حي» وبين الصفة والموصوف وهما «حي يقاربه» بأجنبي هو «أبوه» فانظر إلى أي حدٍّ وصل تعقيد اللفظ حتى عمي المعنى، وكاد يستعصي على الفهم- ومثل هذا النوع في شدة تعقده قول الآخر:

فأصبحت بعد خط بهجتها ... كأن قفراً رسومها قلما[٢]

يصف الشاعر داراً بالية، وأصل الكلام. فأصبحت بعد بهجتها قفراً كأن قلماخط رسومها- ففيه من الفصل والتقديم والتأخير ما جعل التعقيد اللفظي في أقبح صورة وأشنعها.

والخفيف: كقول أبي الطيب المتنبي:

جفخت[٣] وهم لا يجفخون بهابهم ... شيم على الحسب الأغر دلائل

وأصل التركيب هكذا: جفخت بهم شيم دلائل على الحسب الأغر، وهم لا يجفخون بها أي افتخرت بهم طبائع دالة على ما كان لآبائهم من مناقب ومفاخر، وهم لا يفتخرون بها، لأنهم حاصلون على ما هو خير وأوفى فقد فصل بين الفعل والفاعل

(١) أحد الشعراء المعروفين في الدولة الأموية.

(٢) «خط» فعل ماض، وبهجتها بكسر التاء على الإضافة «ورسومها» بفتح الميم على المفعولية.

(٣) افتخرت.

وهما «جفخت شيم» بأجنبى هو جملة وهم يجفخون بها» الواقعة حالاً، وفصل بين الصفة والموصوف وهما «شيم دلائل» بالجار والمجرور وهما قوله: على «الحسب الأغر» ومثله قول الفرزدق من قصيدة يصف فيها ذئبًا:

تعال: فإن عاهدتنى لا تخوننى   نكن مثل من، يا ذئبُ يصطحبان

يريد: نكن يا ذئب مثل من يصطحبان ففصل بين الموصول وصلته وهما «من يصطحبان» بأجنبى هو قوله «يا ذئب» فتعقد اللفظ نوع تعقيد.

التعقيد المعنوى: هو أن يكون الكلام خفى الدلالة على المعنى المراد لخلل واقع فى انتقال الذهن من المعنى الأول المفهوم من اللفظ لغة إلى المعنى الثانى المقصود بحيث يكون إدراك المعنى الثانى من الأول بعيدًا عن الفهم يحتاج إلى تكليف وتمحص بسبب استعمال اللفظ فى معنى خفى لزومه للمعنى الأول كقول العباس بن الأحنف(١):

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا   وتسكب عيناى الدموع لتجمدَا(٢)

يطلب الشاعر البعد عن أحبته غير مبال بما يعانيه فى ذلك من غصص الفرقة وآلام النوى «كما يطلب اكتواءه بنار الأسى على فِراقهم، وبلوغه الشوق إليهم عساه فيما بعد يحظى بوصل مقيم، وفرح لا يزول، وكأنه بهذا الطلب يخادع الزمان، ويغالطه ليوافيه بضد ما يطلب، على عادة الدهر من محاربته الناس فى مطالبهم ووقوفه حائلاً دون ما يأملون، وبذلك يتمُّ للشاعر فى غفلة الدهر ما أراد من لقاء الأحبة، والابتهاج والأنس بهم، على حد قول الشاعر:

ولطالما اخترت الفراق مغالطًا   واحتلت فى استثمال غرس ودادى

ورغبت عن ذكر الوصال لأنها   تبنى الأمور على خلاف مرادى

والشاهد فى قوله: «لتجمدا» فإن ابن الأحنف لم يوفق فى أداء المعنى الذى أراده من هذا اللفظ على وجه صحيح ذلك أنه أراد أن يكنى عما قصده بكنايتين أصاب فى إحداهما، وأخطأه الصواب فى الأخرى.

---

(١) من ندماء هارون الرشيد. وكان لطيف المجلس فكه الحديث.

(٢) تسكب بالرفع عطف على «أطلب» وبالنصب عطف على «بعد» من عطف الفعل على اسم خالص من التأويل، والمراد طلب استمرار السكب لا أصله لئلا يلزم تحصيل الحاصل.

بيان ذلك- أنه دلَّ أولاً بسكب الدمع على ما يوجبه فراق الأحبة من الحزن والكمد، فأحسن وأصاب المحز فى هذه الكناية، فإن البكاء عادة يكون أمارة الحزن وعنوانه، كما يكون الضحك دليلاً على الابتهاج والسرور فيقال: أبكانى وأضحكنى على معنى: ساءنى وسرنى، ومنه قول الشاعر:

أنزلنى الدهر على حكمه من شامخ عالٍ إلى خفض[1]

أبكانى الدهر ويا ربما أضحكنى الدهر بما يرضى

ثم دلَّ ثانيًا بجمود العين على سرورها بقرب أحبته، واجتماع شمله بهم، فأخطأه التوفيق فى هذه الكناية، ولم يكن النجاح حليفه فيها ذلك أن جمود العين جفافها من الدمع عند الدافع إليه وهو الحزن على فراق الأحبة، فالجمود حينئذ كناية عن بخلها بالدموع وقت الحاجة إليه، لا عما أراده من السرور يؤيد ذلك القول أبى عطاء يرثى ابن هبيرة:

ألا إن عينا لم تجد يوم واسط عليك بجارى دمعها لجمود

أى لبخيلة بالدمع، ومنه قول الخنساء ترثى أخاها صخرًا:

أعينىَّ جودا ولا تجمدا ألا تبكيان لصخر الندى؟

أى أفيضا بالدموع، ولا تبخلا به، كما يرشد إلى ذلك أيضًا قولهم: سنة جماد أى بخيلة بالقطر، وناقة جماد أى لا تجود بالدر ولهذا لا يصح عندهم أن يقال فى مقام الدعاء للمخاطب بالسرور: لا زالت عينك جامدة، على معنى: لا أبكى الله عينك لأنه دعاء عليه بالحزن لا بالسرور.

إذا علمت هذا علمت: أن المعنى الذى أراده الشاعر وهو السرور لا يفهم من الجمود إلا يدل عليه اللفظ لا لغة ولا عرفا اللهم إلا مع ارتكاب شىء من التعسف[2] ومن هنا كان التعقيد فى المعنى:



(١) هو لحصان المعلمى من شعراء الحماسة وقد كنى فى البيت التالى بإبكاء الدهر له عن إساءته وبإضحاكه له عن سروره.

(٢) هو أن يستعمل الجمود الذى هو خلو العين من الدمع حالة الحزن فى خلو العين من الدمع مطلبا إلى هنا صح أن يكنى به عن السرور لأن المسرور تخلو عينه من الدمع عادة- غير أن استعمال الجمود فى الخلو من الدمع مطلبًا لينتقل منه إلى السرور مخالف لاستعمالاتهم لهذا كان الكلام بعيد المعنى.

تنبيهان:

الأول: زاد بعضهم عيبًا رابعًا على العيوب المخلة بفصاحة الكلام وهو أن يكثر[(١)] فيه التكرار، أو تتوالى فيه الإضافات.

فمثال التكرار قول أبى الطيب يصف فرسًا له بالنجابة، وحسن الجرى:

وتسعدنى فى غمرة بعد غمرة سبوح لها منها عليها شواهد

«سبوح» فعول بمعنى فاعل من السبح وهو العوم فى الماء، شبه به عدو الفرس، يريد: أن فى جريها سلاسة وسهولة كأنما تسبح فى الماء، وقوله: «لها» متعلق بمحذوف هو خبر مقدم، و«منها» حال من «شواهد»، و «عليها» متعلق به، وشواهد مبتدأ مؤخر، والجملة صفة لسبوح.

يصف الشاعر فرسه بحسن الجرى، وأنها منجاة له من الشدائد بخفة حركتها وشدة عدوها، وأن أمارات النجابة بادية عليها، والشاهد فى المصراع الثانى، فإن تكرار الضمير فيه أخل بفصاحته. ومثال تتابع الإضافات قول ابن مالك يخاطب حمامة:

حمامة جَرْعا حومة الجندل اسجعى فأنت بمرأى من سعاد ومسمع[(٢)]

يأمر الشاعر حمامة هذا المكان بالسجع والتطريب إعجابًا بمحبوبته، واحتفاءً بها، والشاهد فى المصراع الأول فإن فيه إضافات متتابعة إذ قد أضيف «حمامة» إلى «جرعا» المضافة إلى «حومة» المضاف إلى «جندل» وهذا مخل بفصاحة الكلام.

هكذا زعم القائل وفيه نظر لأن كثرة التكرار، أو تتابع الإضافات إن ثقل اللفظ به على اللسان فقد دخل فى باب التنافر وإلا فلا يخل بالفصاحة، كيف وقد ورد فى القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ [غافر: ٣١] وقال: ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ ﴾ [مريم: ١] وقال سبحانه: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ [الشمس: ٩، ١٠] إلى غير ذلك مما تراه فى غير موضع من كتاب مقدس هو فى أعلى

---

(١) المراد بالكثرة ما فوق الواحد أن يذكر اللفظ مرة بعد مرة.

(٢) جرعاء مؤنث أجرع وهو الأرض الجرداء، لا تنبت شيئًا وقصرها للضرورة «والحومة» معظم الشىء «الجندل» الأرض ذات الحجارة «السجع»: تغريد الحمام، و «مرأى ومسمع» اسما مكان أى بمكان تراك منه سعاد وتسمعك.

طبقات البلاغة، لا ينكر عليه ذلك أحد- وقد اجتمع الأمران فى الحديث الشريف. قال ﷺ: «الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم».

الثانى: إنما شرطنا فى فصاحة الكلام أن تسلم كل كلمة فيه من العيوب المخلة بفصاحتها لتعلم أن نحو قولهم: «محمد أصدق مودة من أخيه» ونحو «شعر هند مستشزر»، و«أنفها مسرج» غير فصيح، مع أنه كلام سليم من العيوب المخلة بفصاحته فلا تنافر كلمات فيه، ولا ضعف تأليف، ولا تعقيد ولكنه لم يسلم من العيوب المخلة بفصاحة بعض أجزائه لم يكن فصيحًا إذ الشرط فى فصاحة الكلام «كما قلنا» سلامته من عيوبه، وعيوب أجزائه كما تقول فى الأمثلة السابقة: محمد أصدق مودة من أخيه، وشعر هند مرتفع وأنفها مستقيم، دقيق، أو ناضر بهيج اهـ.

إذا علمت هذا علمت أن كل كلام سلم من عيوبه وعيوب أجزائه عُدَّ فى عُرف البلغاء فصيحًا، وإن لم يسلم فقد عطل جيده من حلية الفصاحة.

فصاحة المتكلم:

هى ملكة أى صفة قائمة بنفس المتكلم راسخة فيه، يستطيع بها أن يعبر تعبيراً صحيحًا عما يجول بخاطره، ويجيش فى صدره من الأغراض والمقاصد، فالمدار فى فصاحته على أن تكون فيه هذه الصفة كامنة راسخة يستطيع أن يستخدمها متى شاء فى أى ضرب من ضروب الكلام، وفى أى فن من فنونه كالمدح، والذم، والرثاء، والفخر، والتشبيب، وغير ذلك فهو فصيح وإن لم ينطق متى وجد فيه الاستعداد، والقدرة على صوغ اللفظ الفصيح، ولا يكون فصيحًا إذا فقد هذا الاستعداد، وهذه القدرة، كما لا يكون فصيحًا إذا استطاع أن يعبر بلفظ فصيح فى مقصد دون آخر إذ لم يكن ذلك منه وليد ملكة فيه.

وتكوين هذه الملكة إنما يكون بممارسة أساليب العرب الفصحاء، والوقوف على أسرارها، وحفظ الكثير من عيون كلامهم نثرًا وشعرًا.

تمرين

١- بين معنى الفصاحة فى الكلام، مع بيان الفرق بين المتنافر فى الكلمة، وبين المخالفتين فيها، ومثل لكل ماتقول.

٢- وضح معنى التعقيد فى الكلام، واذكر نوعيه، وبين وجه التعقيد فى قول ابن الأحنف: وتسكب عيناى الدموع لتجمدا.

٣- عرف فصاحة المتكلم وهل إذا أجاد القول الفصيح فى معنى الرثاء يكون فصيحًا؟ علل لما تقول:

٤- بين العيوب التى أخلت بفصاحة الكلام فيما يأتى:

(١) وازور من كان له زائرًا ... وعاف عافى العرف عرفانه[(١)]

(٢) جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر ... وحسن فعل كما جوزى سنمار[(٢)]

(٣) إلى ملك ما أمه من محارب ... أبوه ولا كانت كليب تصاهره

(٤) وقلقلت بالهم الذى قلقل الحشا ... قلاقل عيس كلهن قلاقل[(٣)]

(٥) لما رأى طالبوه مصعبًا ذعروا ... وكاد- لو ساعد المقدور- ينتصر[(٤)]

(٦) أنى يكون أبا البرايا آدم ... وأبوك والثقلان أنت محمد[(٥)]

(٧) قرب منا فرأيناه أسدًا أى أبخر. (٨) «وسلوت كل مليحة إلاك».

(٩) نشر الملك ألسنته بالمدينة يريد جواسيسه.

---

(١) «ازور» انحرف، و «عاف» كره، و «عافى العرف» طالب معروف و «العرفان» المعرفة- والمعنى: انحرف عنه من كان يزوره وكمده طالب الإحسان معرفته.

(٢) «سنمار» اسم رجل بني للنعمان بن امرئ القيس قصرًا فخمًا بالكوفة سماه «الخورنق» وقد أتقن بحذقه وبراعته صنعه ولما أتم بناءه وزخرفه ألقاه النعمان من أعلاه لئلا يبنى قصرًا مثله لغيره، فمات سنمار لساعته وضرب به المثل لكل من يجازى على الخير بالشر ومعنى البيت: أن الشاعر دعا على أبى الغيلان أن يجازيه أولاده مع كبر سنه وحسن صنيعه معهم شر جزاء كما وقع لسنمار المذكور.

(٣) قلقل حرك و«قلاقل» الأولى جمع قلقلة وهى الناقة السريعة، «وقلاقل» الثانية جمع قلاقل بمعنى الحركة، وضمير كلهن «للعيس» وهى النوق والمعنى: حركت بسبب الهم الذى حرك نفسى نوقًا خفافًا فى السير والمراد أنه سافر، ولم يحرج بالمكان الذى يلحقه فيه ضيم.

(٤) «مصعب» هو ابن الزبير بن العوام ابن عمة النبى ﷺ.

(٥) البرايا: جمع برية وهى الناس جميعًا، والثقلان الإنس والجن والمعنى: كيف تعقل أبو آدم لجميع الناس فى حين أن هذا العالم إنسه وجنه هو أنت وأبوك محمد وفيه من المبالغة ما ترى.

الجواب على السؤال الأخير

١- «فى البيت» فى مصراعه الثانى تنافر كلمات.

٢- «فى البيت» ضعف تأليف لأن فيه عود الضمير فى «بنوه» على متأخر فى اللفظ والرتبة وهو «أبا الغيلان» لأنه مفعول و«بنوه»، فاعل ومن المعلوم أن رتبة الفاعل قبل رتبة المفعول.

٣- «فى البيت» تعقيد لفظى يريد: إلى ملك أبوه ما أمه من محارب أى ليست أمه منهم، ولا كان صهراً لقبيلة «كليب» أى أنه رفيع النسب أبًا وأماً.

٤- «فى البيت» تنافر كلمات وهو ظاهر.

٥- «فى البيت» ضعف تأليف لما فيه من عود الضمير فى «طالبوه» على «مصعبا» وهو متأخر لفظًا، ورتبة لأنه مفعول.

٦- فى البيت تعقيد لفظى، والأصل: أنَّى يكون آدم أبا البرايا، وأنت وأبوك محمد الثقلان؟

٧- فيه تعقيد معنوى لخفاء لزوم البخر للأسد عرفا فانتقال الذهن فيه إنما يكون من الأسد إلى معنى الشجاع، لا إلى معنى الأبخر.

٨- فيه ضعف تأليف لمجيء الضمير بعد «إلا» متصلا، والصواب أن يؤتى به منفصلا، فيقال: إلا إياك.

٩- فيه تعقيد معنوى لأن فى لزوم الجاسوسية للألسنة خفاء وبعداً، والصواب أن يقال: نشر عيونه لوضوح اللزوم بين العين والتجسس.

تمرين على هذا السؤال يطلب جوابه

ومن جاهل بى وهو يجهل جهله ... ويجهل علمى أنه بى جاهل

كسا حلمه ذا الحلم أثواب سؤدد ... ورقى نداه ذا الندى فى ذرا المجد[1]

---

(١) «السؤدد» بسكون الهمزة وضم الدال السيادية، و«الندى» الكرم و«الذرا» جمع ذروة هى أعلى الشئ كالقمة.

بُحَّ صـــــوت المـال ممـا — مـنـك يـشـكـو ويـصـــيـح

أرض لهـا شـرف سـواها مـثـلـهـا — لو كـان مـثلك فـى سواها يوجـد

لو كنت كـتـمـت السر كنت كـمـا — كـنـا وكـنـت ولكـن ذاك لـم يـكـن

والشـمـس طالعـة لـيـست بكاسـفـة — تبكى عليك نجوم الليل والقـمـرا(١)

ما أحببنا إلاك يا محمد

***

البـلاغة: معناها فى اللغة: بلوغ الرجل بعبارته كنه مراده، أى غايته يقال بلغ(٢) محمد بلاغة إذا كان يبلغ بعبارته الغاية التى يريدها.

أما معناها فى الاصطلاح فيختلف باختلاف موصوفها وهو أحد اثنين- الكلام، والمتكلم- يقال: هذا كلام بليغ. وهذا متكلم بليغ ولا توصف بها الكلمة، فلا يقال: هذه كلمة بليغة لعدم ورود السماع بذلك.

بلاغة الكلام:

هى مطابقته لمقتضى حال الخطاب، مع سلامته من العيوب المخلة، بفصاحته وفصاحة أجزائه.

وحال **الخطاب** أى المقام الذى ورد فيه الخطاب هو الأمر الحامل للمتكلم على أن يورد كلامه فى صورة خاصة.

و«**مقتضى الحال**» هو تلك الصورة الخاصة التى ورد عليها كلام المتكلم «**ومطابقة الكلام للمقتضى**» هى اشتماله على هذه الصورة الخاصة- فإنكار المخاطب مثلاً «حال» لأنه أمر يحمل المتكلم على أن يورد كلامه على صورة التأكيد محواً لهذا الإنكار وصورة التأكيد التى ورد عليها الكلام هى مقتضى الحال، واشتمال الكلام على هذه الصورة هو معنى مطابقته للمقتضى.

مثال ذلك أن تقول لمنكر إمارة شوقى للشعر: «إن شوقى لأمير الشعر» فإنكار المخاطب هو الحال لأنه أمر دعاك لأن تورد كلامك مصوراً بصورة التأكيد. وصورة

---

(١) نجوم الليل والقمرا منصوبان على المفعولية لكاسفة.

(٢) على زنة شرف.

التأكيد هي مقتضى الحال واشتمال هذا الكلام على هذه الصورة هو المطابقة للمقتضى فهذا القول حينئذ كلام بليغ، لأنه مطابق لمقتضى الحال.

ومثل الإنكار «المدح» فهو حال المتكلم لأن يورد كلامه على صورة الإطناب، لأن مقام المدح يقتضى الإطالة فى القول، والبسط فيه.

وكذلك ذكاء المخاطب حال تدعو المتكلم لأن يورد كلامه على صورة الإيجاز. لأن مقام الذكاء يقتضى الاختصار فى الكلام، وكل من صورتى الإطناب والإيجاز مقتضى الحال، واشتمال الكلام على صورة الإطناب أو الإيجاز مطابقة للمقتضى- وهكذا يقال فى كل حال من أحوال الخطاب[1].

ومما ذكرنا نعلم أن:

مقتضيات الأحوال: مختلف باختلاف تلك الأحوال فإن كانت الحال إنكاراً من المخاطب مثلا كان المقتضى توكيداً لأنه هو المناسب لحال المنكر وإن كانت الحال ذكاء فى المخاطب كان المقتضى هو الإيجاز فى الكلام، والإتيان بالعبارات اللطيفة، والمعانى الدقيقة اعتماداً على هذا الذكاء وإن كانت الحال غباوة فيه كان المقتضى هو الإطناب فى القول. والإتيان بالمعانى الصريحة الواضحة لأن ذلك هو الموافق لحال الغبى. . . وهكذا لكل مقام مقال فللسوقة كلام لا يصح لسادة القوم وأمرائهم. وللذكى خطاب لا يناسب الغبى، وفى مواقف الحروب أو الوعيد والتهديد كلام يخالف ما يقال فى مواطن توديع الأحبة، وبث الأشواق، وذكر أيام الفراق، وما قارب ذلك من معانى الاستعطاف والمعاذير ففى الأول يستعمل اللفظ الضخم، والمعنى الفخم، وفى الثانى يستعمل اللفظ الرقيق الحاشية، الناعم الملمس، اللطيف الموقع وإن لنا فى القرآن والحديث، لخير قدوة فى استعمال ما يناسب المقام من فنون الكلام.



(١) هناك قول آخر هو أن مقتضى الحال للكلام الكلى المشتمل على التأكيد مثلاً أو الإطناب أو الإيجاز، وليس هو التأكيد نفسه أو الإطناب أو الإيجاز كما هو الرأى الأول فالإنكار مثلاً إنما يقتضى مطلق كلام مؤكد بأى نوع من أنواع التأكيد لا كلامًا خاصاً مؤكداً بتأكيد خاص، وقولنا لمنكر، أن محمداً لكاتب. فرد من أفراد هذا المطلق المؤكد، ومعنى مطابقة هذا الكلام حينئذ: إنه مندرج تحت هذا المطلق وفرد من أفراده والفرق بين الرأيين واضح.

تنبيهان:

الأول: مما تقدم تعلم أن مراتب البلاغة تتفاوت فى العلو والانحطاط بتفاوت مراعاة تلك المقتضيات، والاعتبارات المناسبة للمقام فكلما كانت رعاية تلك المقتضيات أوفى بالغرض، وأليق بالمقام كان الكلام أبلغ وأسمى- وكلما كانت تلك الرعاية أقل وفاء، وأبعد لياقة كان الكلام أحط مرتبة وأقل بلاغة، فإذا كنت مثلاً تخاطب ذكياً منكرًا لحكم من الأحكام وجب أن تراعى فى خطابك ذكاءه وإنكاره معًا، فتعطى له من الكلام ما يناسب ذكاءه من الإيجاز، وما يلائم إنكاره من التأكيد فإذا راعيت ذلك كان كلامك أبلغ وأسمى مكانةً لأنه أكمل مطابقة لمقتضى حال الخطاب، وإن راعيت فى الخطاب معه أحد الأمرين بأن أوجزت ولم تؤكد، أو أكدت ولم توجز كان كلامك أقل بلاغةً وأدنى مكانةً، فإن لم ترْعَ الأمرين جميعًا كان كلامك عاطل الجيد من حُلية البلاغة، وكاد يلتحق بأصوات الحيوان.

ولهذا كان القرآن الكريم فى أعلى طبقات البلاغة لصدوره عمن هو أعلم بكافة الأحوال: ظاهرها وخفيها، وأدرى بمقتضياتها واعتباراتها تنزيل من حكيم حميد.

الثانى: إنما شرطنا فى بلاغة الكلام: أن يسلم من العيوب المخلة بفصاحته وفصاحة أجزائه لتعلم أن البلاغة أخص من الفصاحة، وأن كل كلام بليغ لا بد أن يكون فصيحًا ولا عكس.

فإذا قلت لمنكر: إن أنف هند لمسرج، أو قلت: والله ليس بقرب قبر حرب قبر لم يكن كلامك بليغًا مع أنه مطابق لمقتضى حال المخاطب، وذلك لفقدان شرط الفصاحة فيه أما فى المثال الأول فلكون بعض أجزائه وحشياً غريبًا وأما فى الثانى فلكونه متنافر الكلمات مجتمعة.

وإذا قلت لمن ينكر كرم على ونبله: «علىٌّ كريم الخلق نبيل الطبع» من غير تأكيد كان كلامك فصيحًا لسلامته من العيوب المخلة بالفصاحة، ولكنه ليس بليغًا لعدم مطابقته لمقتضى حال المنكر إذ أن حاله يقتضى التأكيد محواً لإنكاره.

فعلم من هذا أن الكلام لا يكون بليغًا إلا إذا كان فصيحًا لأخذ شرط الفصاحة فيه، أما الفصاحة فى الكلام فتتحقق بدون البلاغة لعدم أخذ شرط البلاغة فيها، كما يتبين لك ذلك من الأمثلة السابقة اهـ.

بلاغة المتكلم:

هى ملكة أو صفة قائمة بالمتكلم راسخة فيه يتمكن بها متى شاء من تأليف كلام بليغ فى أى معنى يريده.

فالمراد «كما قلنا فى فصاحة المتكلم» على أن تكون فيه هذه الصفة ثابتة راسخة يستخدمها- متى أراد- فى أى فن من فنون الكلام، فهو بليغ وإن لم ينطق متى وجدت فيه هذه القدرة على صوغ الكلام البليغ، فإذا فقد هذه القدرة لم يكن بليغًا- كما لا يكون كذلك إذا استطاع صوغ الكلام البليغ فى معنى دون آخر.

وقياسًا على ما سبق من أن البلاغة أخصُّ من الفصاحة لكون المتكلم البليغ أخصُّ من الفصيح لأن المتكلم البليغ هو «كما قلنا» من به ملكة الإتيان بكلام بليغ والكلام البليغ «كما تقدم» مشروط فيه الفصاحة وحينئذ لا يكون المتكلم بليغًا حتى يكون فصيحًا، أما المتكلم الفصيح فقد يفقد صفة البلاغة بأن يصوغ كلامًا خاليًا من العيوب المخلة بالفصاحة، غير مطابق لمقتضى الحال كما إذا قلت لمنكر نجاح أخيه: «نجح أخوك» من غير تأكيد ومما تقدم تعلم أن:

البلاغة يتوقف تحققها على أمرين:

الأول: الاحتراز عن الخطأ فى تأدية المعنى المراد، وهو معنى مطابقة الكلام لمقتضى حال الخطاب- على ما تقدم بيانه.

الثانى: سلامته من العيوب المخلة بفصاحته على ما فصلناه لك سابقًا.

تتمة:

علمت مما تقدم فى بيان تعريف الفصاحة والبلاغة ما يعرض للفظ من عيوب وما ينتابه من خلل، فيجمل بنا إذًا أن نعرف بم نتقى هذه العيوب ونتجنب هذا الخلل فى كلامنا حتى يخرج اللفظ سليمًا معافى فى جوهره، وصيغته، ومعناه، لا يشكو عيبًا، ولا يحس نقصًا، فنقول:

أ- الغرابة- يمكن اجتنابها بالاطلاع على علم متن اللغة فمن تتبع كتب اللغة، ووقف على معانى المفردات المستعملة علم أن ما عداها مما يفتقر إلى تنقيب أو تخريج غير سالم من الغرابة.

ب- المخالفة - يمكن الاحتراز عنها بالوقوف على ما نقل عن الواضع فى معاجم اللغة. أو بالاطلاع على قواعد علم الصرف فهو الباحث فى صيغ المفردات، ونهج استعمالها فمن ألمّ بقواعده عرف أن نحو «الأجلل» مثلا مخالف دون «الأجل» إذ من قواعدهم أن المثلين إذا اجتمعا فى كلمة واحدة وكان ثانيهما متحركًا، ولم يكن زائدًا لغرض وجب إدغامهما.

جـ- ضعف التأليف والتعقيد اللفظى - يمكن توقيهما بمعرفة قواعد النحو، إذ هو الباحث فى طرق استعمال المركبات على الوجه الحق؛ فمن مارس هذا العلم، ووقف على أصوله ومسائله استطاع أن يصوغ الكلام على نهج قويم سليم من شوائب الضعف والتعقيد.

د- التنافر - كلام معرفته الذوق السليم فلا حاكم فيه سواه فهو الذى يدرك أن نحو «مستشزر» متنافر دون مرتفع وهو الذى يدرك ما بين الكلمات من تنافر أوْ تضافر وقد تقدم فى ذلك خلاف.

هـ- التعقيد المعنوى- يعرف من دراسة علم البيان فمن زاول هذا العلم وأحصى مسائله عرف كيف يتوقى التعقيد فى معانى الكلام، وكيف يبرزه لك فاتحًا صدره، كاشفًا لك عن ضميره.

والاحتراز عن الخطأ فى تأدية المعنى - يعرف من دراسة علم المعانى فمن مارس هذا العلم، وكشف عن أمره، ووقف على سره عرف كيف يتوقى الخطأ فى تأدية المعنى المراد، وكيف يطبق الكلام على مقتضيات الأحوال.

أما الوجوه التى تخلع على اللفظ خلعة البهجة والبهاء فتعرف من علم البديع إذ به نعرف كيف نُحلى من اللفظ جيده العاطل بما يبهج القلب ويطرب السمع، ويشرح الخاطر.

والثلاثة الأخيرة هى المسماة بعلوم البلاغة، وبعض الأئمة يسمى الكل «علم البيان» لأن البيان هو المنطق الفصيح المعرب عما فى الضمير، قال الجاحظ: البيان اسم جامع لكل ما كشف لك عن المعنى، وبعضهم يسمى الجميع «علم البديع» لما فى مباحثه من الإبداع والابتداع.

تمرين

١- اذكر معنى البلاغة فى اللغة، ومعناها فى اصطلاح علماء البلاغة.

٢- بين معنى بلاغة الكلام، مع بيان معنى الألفاظ الآتية: الحال؛ مقتضى الحال؛ المطابقة، ثم إيت بمثال من عندك موضحًا فيه ذلك.

٣- إذا استطاع متكلم أن يؤلف كلامًا فى الطبقة العليا من البلاغة فى أحد الأغراض كالمدح أو الرثاء فهل يعد فى عرف البلغاء بليغًا؟

٤- بين وجه خروج الجمل الآتية عن حد البلاغة:

١- قال رجل لمنكر قدوم الأمير: الأمير قادم.

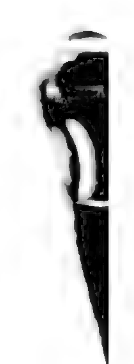
٢- نزلت بالعدو داهية حنفقيق(١).

٣- قال الفرزدق يمدح خالدًا ويذم أسدًا أمير خراسان بعد خالد:

وليست خراسان التى كان خالد ... بها أسد كان سيفًا أميرها(٢)

٤- قتل أخوه اللص.

٥- قال ابن نباتة فى خطبة له يذكر فيها أهوال يوم القيامة. اقمطر(٣) وبالها، واشمخر(٤) نكالها، فما ساغت، ولا طابت.



إذا جاوز الإثنين سرٌّ فإنه ... بنشر وتكثير الوشاة قمين(٥)

الجواب على السؤال الأخير

١- لم يكن القول المذكور بليغًا لعدم مطابقته لمقتضى الحال إذا أن حال المخاطب يقتضى التأكيد.

---

(١) أى شديدة.

(٢) أصل الكلام: وليست خراسان بالبلد التى كان خالد بها سيفا إذ كان الأسد أميرها وفى «كان» الثانية ضمير الشأن والجملة بعدها خبر عنها.

(٣) اشتد.

(٤) طال.

(٥) أى جدير - يقول الشاعر: إذا جاوز وتعدى السر شخصين لم يعد سرآ خافيًا فإذا شاع وذاع لم يكن بدعًا، لأنه خليق بذلك.

٢- غير بليغ لأن فى بعض أجزائه غرابةً فى المعنى. وتنافرًا فى الحروف وهذا أخلّ بفصاحة الكلام التى هى شرط فى بلاغته.

٣- ليس من البلاغة فى شيء لما فيه من تعقيد فى اللفظ، خفى المعنى بسببه. وهذا أخلّ بفصاحة الكلام المأخوذة شرطًا فى بلاغته.

٤- غير بليغ لعدم فصاحته لما فيه من الإضمار قبل الذكر، وهو ضعف فى تأليف الكلام.

٥- خرج عن حد البلاغة، لأن فى بعض أجزائه غرابة فى المعنى، وتنافرًا فى الحروف، وهما مخلان بالفصاحة.

٦- ليس بليغًا لمخالفته فى لفظ «الإثنين» ما سمع عن العرب الفصحاء ولمخالفته للقياس الصرفى، إذ أن هذه الكلمة من مواضع همزة الوصل لا همزة القطع كما عرف فى محله. تقول (الاثنين) بألف وصل.

تمرين على هذا السؤال يطلب جوابه

قال رجل لآخر لا ينكر عليه شيئًا: والله إن محمدًا لكريم الخلق. قال بعض الوعاظ فى كلام له: حتى جنأتْ(١) وجناتُ جنات الحبيب. مر رجل بخياط وقد خرج الرجل يبحث عن فرسه ومهر لها، فقال له: ياذا النَصاح(٢) وذات السم(٣) الطاعن بها فى غير وغى(٤) لغير عدا(٥) هل رأيت الخيفقانة(٦) القبّاء(٧) يتبعها الحاسن(٨) المُرْهَف(٩) كأن غرته القمر الأزهر ينير فى حضره(١٠) كالخلب(١١) إلخ. قال الشاعر:

---

(١) أى جنبت.

(٢) النصاح بكسر النون الخيط.

(٣) ذات السم بفتح السين الإبرة.

(٤) الوغى: الحرب. (٥) جماع عدو.

(٦) الفرس الطويلة الظهر.

(٧) بالباء المشددة هى الدقيقة الخصر الضامرة البطن.

(٨) من حسن يحْسُن.

(٩) بفتح الهاء المنعم المرهف، الرقيق اللطيف.

(١٠) بضم فسكون الارتفاع عند الجرى.

(١١) بضم الخاء وتشديد اللام المفتوحة السحاب يومض برقه.

جـزى ربه عـنه عـدى[١] بن حـاتم جـزاء الكلاب العـاويات وقـد فـعل

قال يحيى بن يعمر لرجل حاكمته امرأته إليه : أئن سألتك ثمن شكرها وشبرك أنشأت تطلها وتضهلها[٢] .

ومـا من فـتى كنـا من الناس واحـداً به نبـتــغى منهم عــديلاً نبــادله[٣]

ألا ليت شـعـرى هل يـلُومنَّ قـومـه زهيراً على ما جرى من كل جانب؟[٤]

●●●

(١) هو عدى بن حاتم الطائى المشهور بكرمه.

(٢) الشكر بفتح الشين أو كسرها وسكون الكاف الفرج والشبر بفتح فسكون حق النكاح، وطلى كنصل ماطل، وضهل حقه نقصه وبابه منع.

(٣) أصل البيت. وما من فتى من الناس كنا نبتغى واحداً منهم عدلاً نبادله به.

(٤) نونه بالرفع على الفاعلية.

علم البيان

واضعه: إن أول من دون فيه كتابًا «كما قدمنا» فى أول الكلام هو أبو عبيدة معمر ابن المثنى، أحد رواة اللغة، المتوفى سنة ٢٠٦هـ، وهو الكتاب المسمى «مجاز القرآن»، ثم كتب فيه بعض الأئمة المبرزين إلى آخر ما تقدم.

وأول من رتب مباحثه. وجعل له أصولاً وقواعد مهذبة الإمام عبد القاهر، فهو من هذا الناحية يعتبر واضع هذا الفن.

وفيه خمسة مباحث:

١- مبحث التعريف.

٢- مبحث الدلالة.

٣- مبحث التشبيه.

٤- مبحث الحقيقة والمجاز.

٥- مبحث الكناية.

المبحث الأول فى تعريف علم البيان:

معناه فى اللغة- الكشف والإيضاح- أما معناه فى الاصطلاح فهو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد فى تراكيب متفاوتة، وفى وضوح الدلالة عليه بمعنى أن يكون تركيب أوضح فى الدلالة من تركيب آخر.

وموضوع هذا الفن: هو هذا الإيراد للمعنى الواحد فى التراكيب المختلفة فى وضوح الدلالة.

فالمعنى الواحد «كالجود» مثلاً يمكنك إذا كنت ملماً بمسائل الفن عالمًا بأصوله وقواعده أن تؤديه من طرق مختلفة فى وضوح الدلالة عليه.

فتارة من طريق التشبيه، فتقول: «محمد كالبحر فى الإفاضة» فتشبه بالبحر محمداً وتلحقه به فى هذا المعنى.

وتارة عن طريق الاستعارة، فتقول: «رأيت بحرًا على فرس يداعب أقرانه» فتشبه محمدًا بالبحر فى الإفاضة، ثم تستعير لفظ البحر له كما ستعرفه بعد.

وتارة عن طريق الكناية، فتقول: «محمد كثير الرماد، فإن كثرة الرماد تدل على كثرة إحراق الحطب الدالة على كثرة الطبخ، وهذه تدل على كثرة الأكلة، وهذا دليل الجود، فكثرة الرماد حينئذ كناية عن الجود.

فهذه التراكيب الثلاثة تؤدى معنًى واحدًا هو الجود «كما رأيت» وأول هذه التراكيب أوضح من الثانى فى تأدية هذا المعنى، والثانى أوضح من الثالث وكل ذلك سيأتى لك مفصلاً فى محله - ومثل الجود «الشجاعة».

فتارة يعبر عنها من طريق التشبيه. فيقال: «محمد كالأسد فى الشجاعة».

وتارة عن طريق الاستعارة، فيقال: رأيت أسدًا يخطب القوم على المنبر

وتارة عن طريق الكناية، فيقال: زارنا أبو الحرب، فإن أبوته لها كناية عن ملازمته لها كما يلزم الأب ابنه، وهذا كناية عن شجاعته.

وأوضح التراكيب دلالة على هذا المعنى هو الأول، ويليه الثانى، ثم الثالث - وهكذا دواليك.

تنبيهان:

الأول: إن «ال» فى لفظ «المعنى» الوارد فى التعريف المذكور للاستغراق العرفى أى كل معنى واحد يدخل تحت قصد المتكلم.

فلو استطاع إنسانٌ أن يورد معنى «الجود» فى تراكيب مختلفة فى الوضوح دون غيره من المعانى لم يكن بمجرد ذلك عالمًا بعلم البيان، بل لا بد أن يستطيع ذلك فى كل معنى يدخل تحت قصده وإرادته آهـ.

الثانى: إن فى التعريف تقييدين - تقييد المعنى «بالواحد». وتقييد التفاوت «بوضوح الدلالة على المعنى».

أما الأول: فالغرض منه الاحتراز عن المعانى المتعددة، المؤداة بطرق متفاوتة فى وضوح الدلالة عليها بأن يكون هذا الطريق مثلاً فى معناه أوضح دلالة من الآخر فى

معناه كأن تعبر عن معنى الجود مثلا بقولك: «محمد كالسحاب» فى الفيض، ثم تعبر عن معنى الشجاعة بقولك: «مر أسد فحيّانى» فمن الواضح أن التركيب الأول فى معناه أوضح دلالة من الثانى فى معناه ومثل هذا ليس من علم البيان فى شىء، لأن المعنى فى العبارتين مختلف، والشرط: أن يكون المعنى فى العبارتين واحداً «كما عرفت».

وأما الثانى: فالقصد منه الاحتراز عن التفاوت فى مجرد اللفظ، لا فى وضوح الدلالة كما إذا أوردت معنى واحداً فى تركيبين مترادفين، وأنت عالم بمدلولات الألفاظ فيهما كأن تقول مثلاً: نكهة[1] فم محمد كالطيب، ثم تقول: رائحة ثغر محمد كالنَّدِّ[2] فمثل هذا ليس من مباحث علم البيان، لأن التركيبين متماثلان فى وضوح الدلالة على المعنى والاختلاف إنما هو فى اللفظ والعبارة فقط والشرط: أن يكون الاختلاف فى وضوح الدلالة «كما علمت».

المبحث الثانى فى الدلالة:

تعريفها: هى فهم أمر من أمر فالأمر الأول هو المدلول، والثانى هو الدال كدلالة لفظ «محمد» على معناه الذى هو «الذات» فاللفظ هو الدال، والذات هى المدلول وفهم الذات من اللفظ هو معنى الدلالة.

ولما لم تكن كل دلالة تقبل الاختلاف فى الوضوح الذى هو موضوع هذا الفن وجب أن نقسم الدلالة، ثم نعين المقصود منها.

تقسيمها- الدلالة باعتبار الدال قسمان: لفظية، وغير لفظية.

فاللفظية ما كان الدال فيها لفظًا كدلالة لفظ «إنسان» على الحيوان الناطق، وكدلالة لفظ «أسد» على الحيوان المفترس.

وغير اللفظية ما كان الدال فيها غير لفظ كدلالة الدخان على النار. وكدلالة حمرة الخد على الخجل. ودلالة صفرته على الوجل والثانية- لا علاقة لها بمباحث علم البيان.

---

(١) رائحة الفم. (٢) نوع من الطيب.

والأولى أقسام ثلاثة: وضعية، طبيعية، عقلية

فالوضعية ما كان للوضع فيها مدخل كدلالة الإنسان على الحيوان الناطق، فالرابط بين الدال والمدلول وضع الواضع أى تعيينه هذا اللفظ لهذا المعنى - ومثله دلالة الفرس على الحيوان الصاهل.

والطبيعية ما كانه قوامها الطبع كدلالة التأوه على الوجع، فالربط بين الدال والمدلول فى هذه الدلالة هو الطبع إذ أن طبع المريض أن يتأوه عند استشعار الألم.

والعقلية ما كان قوامها العقل، كدلالة الصوت على حياة صاحبه كما إذا سمعت صوت إنسان من وراء جدار، فإن صوته دليل على حياته، فالرابط بين الدال والمدلول فى هذه الدلالة هو العقل لا غير.

والدلالتان الأخريان لا علاقة لهما أيضًا بعلم البيان، فهما خارجتان والأولى وهى اللفظية الوضعية ثلاثة أقسام كذلك - مطابقية، تضمنية، التزامية.

فالمطابقية دلالة اللفظ على كامل معناه كدلالة الإنسان على الحيوان والناطق، ودلالة الفرس على الحيوان والصاهل - وسميت مطابقية لتطابق اللفظ والمعنى، أى تساويهما، لأن الواضع إنما وضع لفظ «إنسان» ليدل على مجموع الحيوان والناطق - كما وضع لفظ «فرس» ليدل على مجموع الحيوان والصاهل.



والتضمنية دلالة اللفظ على جزء معناه الموضوع له كدلالة «الإنسان» على الحيوان فقط، أو الناطق فقط، وكدلالة «البيت» على السقف، أو الجدار.

وسميت تضمنية، لأن الحيوان أو الناطق جزء من معنى الإنسان، وداخل فى ضمنه، لأن الواضع إنما وضع لفظ «إنسان» ليدل على الحيوانية والناطقية معًا، كما وضع لفظ «بيت» ليدل على جميع أجزائه فدلالة «الإنسان» على الحيوانية فقط، أو الناطقية فقط دلالة تضمنية، لأن الكل متضمن لأحد أجزائه، وكذلك دلالة «البيت» على السقف، أو الجدار.

والالتزامية دلالة اللفظ على لازم معناه الموضوع له كدلالة «الإنسان» على الضحك، وكدلالة «حاتم» على الجود، والأسد على الشجاعة، ودلالة كثرة الرماد على الكرم[١].

وسميت التزامية، لأن الضحك ليس معنى الإنسان، ولا جزء معناه، وإنما هو خارج عن معناه، لكنه لازم له وكذلك الجود لحاتم، والشجاعة للأسد، والكرم لكثرة الرماد فكل ذلك لازم للمعنى الموضوع له.

تنبيهان:

الأول... يكفى دلالة الالتزام أن يكون التلازم بين الشيئين فى الذهن كالتلازم الذى بين الإنسان والضحك، إذ يلزم من حضور معنى الإنسان «وهو الحيوان الناطق» فى الذهن حضور معنى الضحك فيه، وكالتلازم الذى بين الأسد والشجاعة إذ يلزم من تصور معنى الأسد، وهو الحيوان المفترس، تصور معنى الشجاعة.

أما التلازم فى الخارج فليس بشرط فإن وجد مع التلازم الذهنى كان حسنًا كالتلازم بين الزوجية والأربعة فإن الزوجية «كما يبدو بداهة» لازمة للأربعة ذهنًا وخارجًا وإن لم يوجد التلازم الخارجى فلا ضير كالتلازم الذى بين العمى والبصر فإن البصر لازم للعمى ذهنًا فقط إذ يلزم من تصور معنى العمى تصور معنى البصر، لأن العمى فقد البصر عما من شأنه الإبصار. أما فى الخارج فبينهما التعاند.

كذلك يكفى فى دلالة الالتزام أن يكون التلازم بين الشيئين عرفيّاً بأن يتعارف الناس فيما بينهم على التلازم بينهما كالتلازم الذى بين «الأسد» و«الجرأة»، والذى بين «كثرة الرماد» و«الكرم»، والذى بين «الفاعل النحوى» و«حركة الرفع» فقَدْ تعارف الناس على أن الجرأة لازمة للأسد، وتعارف علماء البيان على أن الكرم لازم لكثرة الرماد، وتعارف علماء النحو على أن حركة الرفع لازمة للفاعل فى حين أن لا تلازم عقلا بين

---

(١) صورة الدلالة التضمنية أن يسالك سائل مشيرًا إلى شبح: اناطق هذا أم صاهل؟ فتقول مجيبًا: هو إنسان تريد هو ناطق فقد دللت «بإنسان» على الناطق دلالة تضمنية لأن الناطق جزء معنى الإنسان، وصورة الدلالة الالتزامية أن يسالك سائل مشيرًا إلى شبح: اضاحك هذا أم غير ضاحك؟ فتقول مجيبًا هو إنسان تريد هو ضاحك فقد دللت «بإنسان» على الضاحك دلالة التزامية، لأن الضحك وصف لازم للإنسان.

هذه الأشياء إذ يتصور العقل أسداً جباناً كما يتصور كثرة رماد بدون كرم كما يتصور فاعلاً منصوباً أو مجروراً.

أما التلازم العقلى- وهو ما لا يتصور العقل انفكاكه فليس بشرط فى دلالة الالتزام كالتلازم الذى بين الزوجية والأربعة أو بين الفردية والثلاثة إذ لا يتصور العقل أربعة بدون زوجية أو ثلاثة بدون فردية فالمدار فى دلالة الالتزام على وجود مطلق تلازم ولو بسبب تعارف عام أو خاص كما مثّلنا.

الثانى- اصطلح البيانيون على تسمية المطابقة «وضعية» لأن الواضع إنما وضع اللفظ لتمام معناه، لا لجزئه ولا للازمه فلفظ «الإنسان» مثلاً وضعه الواضع لمجموع الحيوان والناطق ولم يضعه لواحد منهما ولا لوصف لازم «كالضحك» فقوام هذه الدلالة هو العلم بالوضع، بدون حاجة إلى شيء آخر وراءه واصطلحوا على تسمية كل من التضمنية، والالتزامية عقلية؛ لأن دلالة اللفظ على جزء معناه، أو على لازم هذا المعنى متوقفة على أمر عقلى زائد على العلم بالوضع وهو أن وجود الكل أو الملزوم يستلزم وجود الجزء أو اللازم، «فالإنسان» مثلا موضوع لمجموع الحيوان والناطق فمجرد العلم بهذا الوضع ليس كافيًا فى جعل لفظ «إنسان» دالا على جزء معناه «كالناطقية» مثلا، أو على لازمه «كالضاحكية» بل لا بد مع العلم بهذا الوضع من انتقال العقل من المعنى الموضوع له «إنسان» إلى جزئه ضرورة أن الكل يتضمن الجزء، أو إلى لازمه ضرورة أن الملزوم يستلزم اللازم. وإنما اقتصر على العقل فى تسمية هاتين الدلالتين، مع أن كلا من العقل والوضع سبب فيهما، لأن سببية العقل أقرب من سببية الوضع ذلك أن انتقال العقل من الكل إلى جزئه، أو من الملزوم إلى لازمه إنما جاء بعد العلم بوضع اللفظ لهذا الكل، أو لهذا الملزوم فهو لذلك سبب قريب، والذهن إلى القريب أكثر التفاتًا منه إلى البعيد[1] اهـ

والمقصود بالبحث فى هذا الفن هو الدلالة العقلية بنوعيها إذ هى التى يتأتى فيها الاختلاف فى الوضوح الذى هو موضوع هذا الفن.

---

(١) أما المناطقة فيسمون الدلالات الثلاث وضعية، لأن للوضع مدخلا وهم يعتبرون فى تسميتها «وضعية» السبب البعيد.

بيان ذلك فى التضمنية : هو أنه يجوز أن يكون المعنى الواحد جزءًا من شىء «كالجسم» فإنه جزء من الحيوان، وأن يكون جزءًا لجزء من شىء آخر «كالجسم» أيضًا فإنه جزء من الحيوان الذى هو جزء من الإنسان وإذًا تكون دلالة الحيوان على الجسم الذى هو جزؤه المباشر أوضح من دلالة الإنسان على الجسم الذى هو جزء جزئه.

ومثل الجسم «فيما قلنا» التراب فإنه جزء من الجدار الذى هو جزء من البيت فدلالة الجدار على التراب الذى هو جزؤه المباشر أوضح من دلالة البيت على التراب الذى هو جزء جزئه- وهكذا.

وبيان ذلك فى الالتزامية هو أنه يجوز أن يكون للازم الواحد عدة ملزومات، لزومه لبعضها أوضح منه لبعضها الآخر «كالكرم» مثلا فإنه لازم وله جملة ملزومات تستلزمه وتدل عليه، هى كثرة الضيفان، وكثرة الطبخ، وكثرة إحراق الحطب، وكثرة الرماد فهذه الأمور الأربعة تستلزم الكرم وتدل عليه، إذ يلزم من وجودها وجوده غير أن دلالة بعضها على معنى «الكرم» أوضح من دلالة بعضها الآخر عليه فدلالة كثرة الأضياف على كرم «محمد» مثلا أوضح من دلالة كثرة الطبخ عليه، لأن كثرة الأضياف أقرب إلى معنى الكرم من كثرة الطبخ، فقولك : محمد «كثير الأضياف» أدل على كرمه من قولك : «محمد كثير الطبخ» إذ لا واسطة بين كثرة الضيفان والكرم، ودلالة كثرة الطبخ على الكرم أوضح من دلالة كثرة إحراق الحطب عليه، لأن كثرة الطبخ أقرب إلى معنى الكرم من كثرة الإحراق فقولك : «محمد كثير الطبخ» أدل على كرمه من قولك : «محمد كثير إحراق الحطب» لقلة الوسائط بين كثرة الطبخ والكرم ودلالة كثرة الإحراق على معنى الكرم أوضح من دلالة كثرة الرماد عليه لأن كثرة الإحراق أقرب إلى معنى الكرم من كثرة الرماد، فقولك : «محمد كثير الإحراق» أدل على كرمه من قولك : «محمد كثير الرماد» لقلة الوسائط فى الأول، وكثرتها فى الثانى- وهكذا كلما كان الملزوم أقرب إلى لازمه كانت دلالته عليه أوضح- وأوضح هذه الدلالات على الكرم دلالة كثرة الضيفان عند محمد، وأقلها وضوحًا كثرة الرماد عنده كما رأيت.

ومثل الكرم فيما فصلنا «الحرارة» فهى لازمة لعدة ملزومات هى «النار» و«الشمس» و«الحركة الشديدة» فدلالة النار على الحرارة أوضح من دلالة الشمس عليها

ودلالة الشمس عليها أوضح من دلالة الحركة الشديدة عليها، فقولك: محمد فى جسمه نار أدلُّ على حرارته من قولك: فى جسمه شمس أو فى جسمه حركة شديدة- وهكذا.

إلى هنا وضح لك اختلاف الوضوح فى الدلالتين العقليتين- التضمنية والالتزامية مما لا يقبل المزيد.

أما الدلالة الوضعية المطابقية التى هى دلالة اللفظ على تمام معناه فليست من مباحث هذا الفن إذ لا يتأتى فيها الاختلاف فى وضوح الدلالة.

بيان ذلك- أن السامع لايخلو حاله من أمرين:

١- أن يكون عالمًا بوضع الألفاظ لمعانيها.

٢- ألا يكون عالما بهذا الوضع فإن كان الأول فلا تفاوت فى الدلالة على المعنى، لأن كل لفظ معلوم وضعه لمعناه- وإن كان الثانى فقد انعدم فهم المعنى من اللفظ لتوقف الفهم على العلم بالوضع، وفهم المعنى من اللفظ «كما سبق» هو «الدلالة» عينها، إذ «هى كما قلنا» فهم أمر من أمر وإذا انتفى الفهم المذكور الذى هو «الدلالة» فلا اختلاف فى الوضوح إذا لا يتصور اختلاف وضوح فيما لا دلالة له.

فإذا قلت مثلاً: «محمد يشبه السحاب فى العطاء» وكان السامع يعلم بوضع هذه الألفاظ لمعانيها، ثم أتيت بتركيب آخر دال على هذا المعنى بألفاظ مرادفة لألفاظ التركيب الأول، فقلت: «محمد يحاكى الغمام فى النوال» وكان السامع يعلم أيضًا بوضع هذه الألفاظ لمعانيها امتنع حينئذ أن يكون التركيب الثانى أوضح دلالة من الأول بل هما فى الدلالة سواء- فإذا لم يعلم السامع وضع الألفاظ لمعانيها فى التركيبين، أو فى أحدهما لم يفهم شيئًا أصلاً لتوقف الفهم على العلم بالوضع «كما قلنا» وإذا انتفى الفهم فلا دلالة للفظ، فلا اختلاف فى الوضوح.

فأنت ترى أن الاختلاف فى الوضوح مُنتف على كلا التقريرين فى الدلالة الوضعية المطابقية، فهى إذًا خارجة عن موضوع هذا الفنّ.

تمرين

١- عرف علم البيان فى الاصطلاح، ثم إيت بمثال توضح فيه ما تقول.

٢- بين لماذا قيد المعنى «بالواحد». وقيد الاختلاف «بالوضوح» فى الدلالة.

٣- عرف الدلالة وقسِّمها وعرف كل قسم مع التمثيل لكل ما تذكر.

٤- اذكر أى الدلالات هى موضوع علم البيان. مع التوجيه لما تقول.

٥- بين لماذا لم تكن الدلالة الوضعية المطابقية من مباحث علم البيان؟

***

تقسيم اللفظ إلى حقيقة، ومجاز، وكناية:

اللفظ المستعمل نوعان- نوع لا يتصرف فيه عند الاستعمال أى تصرف بل يبقى على أصل وضعه- ونوع يتصرف فيه عند الاستعمال.

فالأول: يسمى «حقيقة» وهى إما أن تكون فى إسناد اللفظ إلى غيره وإما أن تكون فى ذات اللفظ.

فإن كانت فى الإسناد سميت «حقيقة عقلية» وإن كانت فى ذات اللفظ سميت بأسماء تختلف باختلاف الواضع.

فإن كان الواضع من أرباب اللغة سميت حقيقة لغوية وإن كان من أهل الشرع سميت حقيقة شرعية وإن كان الواضع طائفة معينة كالنحاة مثلاً سميت حقيقة اصطلاحية، أو عرفية خاصة وإن كان الواضع طائفة غير معينة سميت حقيقة عرفية عامة.

والثانى: وهو ما يتصرف فيه عند الاستعمال - يسمى «مجازاً».

وهذا التصرف- إما أن يكون فى إسناد اللفظ إلى غيره، وإما أن يكون فى ذات اللفظ.

فإن كان التصرف فى الإسناد بأن أسند اللفظ إلى غير ما حقه أن يسند إليه سمى «مجازاً عقلياً»، وإن كان التصرف فى اللفظ ذاته- مفرداً كان أو مركباً بأن نقل من معناه الموضوع له إلى معنى آخر فإن كانت العلاقة بين المعنيين المشابهة سمى اللفظ المفرد



«استعارة» فحسب، وسمى المركب «استعارة تمثيلية» بشرط وجود القرينة المانعة فيهما كما سيأتى بيانه بعد، وإن كانت العلاقة غير المشابهة سمى اللفظ «مجازًا مرسلاً» مفردًا كان أو مركبًا وإن كانت القرينة غير مانعة من إرادة المعنى الأصلي سمى اللفظ «كناية» وسيأتى كل ذلك مفصلاً فى أبوابه- وإلى هنا وضح لك وجه تقسيم اللفظ إلى حقيقة ومجاز وكناية.

وإذ قد علمت: أن العلاقة بين المعنيين فى الاستعارة هى المشابهة، وجب التعرض أولا لبحث التشبيه إذ هو منها بمثابة الأساس من البناء، أو بمنزلة الأصل من الفرع.

المبحث الثالث فى التشبيه:

تعريفه- هو عند علماء «البيان» إلحاق أمر بأمر فى معنى مشترك بينهما بإحدى أدوات التشبيه لفظًا، أو تقديرًا لغرض.

ويسمى الأمر الأول «مشبهًا» والثانى «مشبهًا به»، والمعنى المشترك «وجه شبه» كالتشبيه فى قولك: «العلم كالنور فى الهداية» فهو إلحاق أمر «كالعلم» بأمر «كالنور» فى معنى «كالهداية» بأداة تشبيه «الكاف» ومثله قولك «على مثل الأسد فى الإقدام» وهند شبه البدر فى الإشراق، وكأن محمداً بحر فى الإمداد وهكذا ويصح حذف الأداة ووجه الشبه، فيقال فى الأمثلة السابقة: العلم نور، وعلى أسد، وهند بدر، ومحمد بحر.

أركان التشبيه:

أركانه أربعة-

١- المشبه.

٢- المشبه به.

٣- وجه الشبه.

٤- أداة التشبيه.

«فالعلم» فى المثال المتقدم هو المشبه، و«النور» هو المشبه به، و«الهداية» وجه الشبه و«الكاف» أداة التشبيه.

وفيه أربعة مباحث:

أ- مبحث الطرفين.

ب- مبحث وجه الشبه.

جـ- مبحث الأداة.

د- مبحث الأغراض وإليك بيانها على هذا الترتيب:

مبحث الطرفين:

الطرفان هما- كما قلنا- المشبه والمشبه به كما فى قولك: «محمد كسحبان» فالطرفان هما «محمد وسحبان» والأول مشبه، والثانى مشبه به.

وللتشبيه باعتبار الطرفين تقسيمات ثلاثة:

التقسيم الأول: ينقسم التشبيه بهذا الاعتبار إلى أربعة أقسام:

١- أن يكون طرفاه حسِّيين أى مدركين بإحدى الحواس الخمس- مثال ذلك فيما يدرك بحاسة البصر قولك: «وجه هند كالبدر، وشعرها كالليل» ومثاله فيما يدرك بحاسة السمع قولك: «أسمع صوتًا كتغريد الحمام، ودوياً كدوى الرعد»

- ومثاله فيما يدرك بحاسة الشم قولك: «عرف هند كأريج المسك» ومثاله فيما يدرك بحاسة اللمس قولك «جسمه كالعجين» - ومنه قول ذى الرمة فى تشبيه الجسم بالحرير:

لها بشر مثل الحرير ومنطق رخيم الحواشى-لاهراء ولا نزر(١)

ومثاله فيما يدرك بحاسة الذوق قولك: لعابه كالعسل، وشرابه كالحنظل فالطرفان فى هذه المثل جميعها حسيان «كما رأيت».

٢- أن يكون طرفاه عقليين أى مدركين بالعقل، كما تقول فى تشبيه العلم والجهل: «العلم كالحياة» و«الجهل كالموت» فالطرفان فى المثالين عقليان.

٣- أن يكون المشبه عقلياً والمشبه به حسيّاً كما تقول فى تشبيه الخلق الكريم. «خلق كالعطر» وكقولك فى تشبيه الرأى الواضح، والحظ العاثر «رأى كَفَلَقِ الصباح» و«حظ كالليل».

(١) رخيم الحواشى: فى أطرافه لين ونعومة، والهراء بالضم: الكلام الكثير الفاسد، والنزر: الكلام القليل أى لا تكثر فى الكلام إلى حد الهذيان ولا تقل منه إلى درجة العى.

٤ - أن يكون المشبه حسياً، والمشبه به عقلياً كتشبيه العطر بالخلق الكريم «عكس المثال السابق» وأشباهه بتقدير المعقول محسوساً مبالغة. إذ ينبغي أن يكون المشبه به أقوى حالاً من المشبه ولو تقديراً لأنه الأصل.

تنبيه:

من الحسي: ما لا تدركه الحواس بذاته ولكن تدرك مادته كقول الشاعر:

كأن الحباب[1] المستدير برأسه ... كواكب در في سماء عقيق

يشبه الفقاقيع الطافية على وجه الماء بكواكب من در، منثورة في سماء من عقيق، وليس من شك أن صورة الكواكب المصنوعة من الدر المنثور في سماء مصنوعة من عقيق شيء لا يدرك بالحس لعدم وجوده خارج الأعيان وإنما المدرك مادتها وهي «الدر، والعقيق، والكواكب، والسماء»، وهذا كاف في جعل مثل هذا التشبيه حسياً - فالحسي حينئذ هو ما يدرك بذاته، أو بمادته بإحدى الحواس الخمس، ليدخل فيه مثل هذا التشبيه الخيالي وهو الشيء المتخيل المركب من أمور مدركة بإحدى الحواس.

ومن العقلي: ما يخترعه الوهم من عند نفسه، من غير أن يكون له، ولا لمادته وجود خارج الأعيان كقول امرئ القيس:

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ... ومسنونة زرق كأنياب أغوال؟[2]

وكقوله تعالى في شجرة الزقوم: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصافات: ٦٥].

فإن أنياب الأغوال، ورؤوس الشياطين لم توجد هي ولا مادتها وإنما هي من اختراعات الوهم - فالعقلي حينئذ ما لا يدرك هو، ولا مادته بإحدى الحواس الخمس ليدخل فيه هذا التشبيه الوهمي اهـ.

التقسيم الثاني:

ينقسم التشبيه باعتبار الطرفين أيضاً أربعة أقسام:

١ - أن يكون طرفاه مفردين - وهما إما أن يكون مطلقين عن التقييد بنحو وصف،

---

(١) هو الفقاقيع التي ترى طافية على وجه الماء.

(٢) الأغوال جمع غول يزعمون أنه وحش بشع المنظر لا أصل له.

أو إضافة، أو حال، أو ظرف، أو نحو ذلك، أو يكونا مقيدين بشيء مما ذكر، أو يكون أحدهما مقيدًا، والآخر مطلقًا.

فالمفرادن المطلقان كما في قولك: لها لحظ كالسهم، وثغر كالدر، والمقيدان كما في تشبيه من لم يحصل من سعيه على نتيجة بالناقش على الماء فالمشبه هو الساعي المقيد بأن سعيه لم يأت بنتيجة والمشبه به هو الناقش المقيد بأن نقشه على صفحة الماء.

ومثال ما فيه المشبه مطلق، والمشبه به مقيد قول ابن المعتز يصف الشمس:

والشمس كالمرآة في كف الأشل ... لما رأيتها بدت فوق الجبل

يريد: أن يشبه الشمس في حركتها السريعة المتصلة، وإشراقها المتموج بالمرآة في يد المرتعش، فالمشبه وهو «الشمس» مفرد غير مقيد بشيء والمشبه به وهو «المرآة» مفرد مقيد بكونه في يد المرتعش.

ومثال ما فيه المشبه مقيد، والمشبه به مطلق عن القيد عكس هذا المثال أي تشبيه المرآة في كف الأشل بالشمس وكما تقول: «اللؤلؤ المنظوم كالثغر» ففيه تشبيه «اللؤلؤ» وهو مقيد «بالثغر» وهو مطلق.

٢- أن يكون طرفاه مركبين كما في قول الشاعر:

كأن سهيلاً والنجوم وراءه ... صفوف صلاة قام فيها إمامها

يريد: تشبيه هيئة سهيل، والنجوم مصطفة وراءه بهيئة إمام قائم يصلي والناس خلفه صفوف متراصة: فالمشبه مركب من سهيل، ومن النجوم وراءه، والمشبه به مركب كذلك من إمام قائم في محرابه، ومن صفوف المصلين خلفه[1] ومثله قول بشار بن برد:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا ... وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه[2]

يصف الشاعر ملحمة بين جيشين يقتتلان بالسيوف، وقد انعقد عليهما غبار كثيف فالمشبه مركب من النقع مثارًا فوق الرؤوس، ومن السيوف المتلاحمة اللامعة في اثنائه

---

(١) التشبيه بهذا الوضع أملك لقلب السامع مما لو أفردت أجزاؤه فقيل مثلا كأن سُهيلاً إمام وكأن النجوم صفوف صلاة يدرك ذلك الذوق السليم.
(٢) النقع: الغبار وتهاوى أي تتهاوى بحذف إحدى التائين بمعنى يتساقط بعضها إثر بعض.

والمشبه به مركب من الليل، ومن الكواكب المتهاوية وهو تشبيه «كما ترى» فيه من الدقة والإبداع ما جعل بشارًا وهو ضرير يسمو به إلى درجة يقف دونها العباقرة المبصرون ولو أنه أفرد التشبيه فشبه النقع وحده بالليل، والسيوف بالكواكب لصح ذلك، ولكن لا تحس تلك الروعة التي أحسستها من قبل، وما كان لبشار بهذا التشبيه أن يستوى على عرش السيادة بين أقرانه.

٣- أن يكون المشبه فردًا، والمشبه به مركبًا كقول الصنوبري يصف زهرًا يتحرك من أسفل إلى أعلى، وبالعكس حسب اتجاه الريح:

وكأن محمر الشقيـ ـق إذا تصوب أو تصعد

أعلام ياقوت نشر نَ على رماح من زبرجَد[1]

يريد: أن يشبه الزهر حال تصوبه وتصعده بأعلام الياقوت المنشورة على رؤوس رماح من زبرجد فالمشبه مفرد وهو «الشقيق» والمشبه به مركب من أعلام ياقوت، ورماح من زبرجد.

٤- أن يكون المشبه مركبًا، والمشبه به مفردًا كقول الشاعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي يصف الربيع:

يا صاحبيَّ تقصيا نظريكما تريا وجوه الأرض كيف تصور

تريا نهارًا مشمسًا قد شابه زهر الربا فكأنما هو مقمر[2]

يلفت الشاعر نظريْ صاحبيه إلى صنيع المبدع القادر فيما أخرج من نبات بهيج ناضر، وكيف أن النبات لشدة اخضراره وكثافته صار لونه يضرب إلى السواد، حتى نقص من ضوء النهار المشرق، وكأنه ليل سرى فيه ضوء القمر- يريد الشاعر أن يشبه هيئة النهار المشرق، وقد خالطت ضوءه خضرة الزهر القاتمة، فتضاءل ضوؤه بليل بزغ

(١) محمر الشقيق من إضافة الصفة للموصوف أي الشقيق المحمر وهو ورد أحمر في وسطه سواد ينبت في الجبال ويقال له أيضًا شقائق النعمان وتصوب مال إلى أسفل وتصعد مال إلى أعلى.

(٢) يقال تقصّى الشيء بلغ أقصاه أي غايته يريد: أمعنا في النظر وفكرا «وتصور» بحذف إحدى التاءين أي تتصور «وشابه» أي خالطه «والربا» جميع ربوة وهي ما ارتفع من الأرض، وخص زهر الربا بالذكر لأنه أنضر وأشد خضرة.

قمره- فالمشبه مركب من نهار تألقت شمسه ومن زهر نابت فى الربا والمشبه به مفرد وهو «الليل المقمر» وتقييده بالوصف المذكور لا ينافى إفراده.

تنبيهان:

الأول- اعلم أن المراد بالقيد فى التشبيه الذى كلا طرفيه أو أحدهما مقيد: هو ما يكون له مدخل فى وجه الشبه بحيث لا يتم التشبيه بدونه. ففى المثال المتقدم فى تشبيه الساعى المقيد بأن سعيه لم يكلل بالنجاح بالنقاش المفيد بأن نقشه على الماء لا بد فيه من اعتبار هذين القيدين لأن وجه الشبه بين الطرفين هو «تساوى الفعل وعدمه» وهذا المعنى لا يتم إلا باعتبار القيدين المذكورين.

وكذلك الحال فى تشبيه الشمس بالمرآة فى كف الأشل إذ لا بد من اعتبار كون المرآة فى يد مرتعش، لأن وجه الشبه بين الطرفين هو الهيئة الحاصلة من الحركة السريعة المتصلة مع الإشراق المتموج وهذا المعنى لا يستقيم ولا يكمل بدون ملاحظة هذا القيد- كذلك لا بد فى تشبيه اللؤلؤ المنظوم بالثغر من اعتبار قيد «المنظوم»، لأن وجه الشبه الهيئة الحاصلة من البريق وحسن التنسيق وهذا لا يتم إلا بمراعاة القيد المذكور.

فليس المراد إذًا مطلق قيد بل المراد قيد يكون له تعلق بوجه الشبه «كما علمت» فإن لم يكن كذلك فلا اعتبار له ا هـ.

الثانى الفرق بين المقيد من الطرفين والمركب منهما: أن المقصود بالذات فى المركب هو الأجزاء مجتمعة وليس فيها جزء قصد وحده بالتشبيه وإن صح أن يشبه بجزء من الطرف الآخر نحو ما فى بيت بشار السابق. فإن المشبه بمجموع النقع المثار، والأسياف المسلولة المتحركة إلى جهات مختلفة، والمشبه به مجموع الليل والكواكب المتهاوية ولم يتعلق الغرض بتشبيه النقع وحده بالليل. ولا بتشبيه السيوف وحدها بالكواكب وإن صح ذلك على ما سبق.

وأما المقيد فإن المقصود بالذات فيه هو أحد أجزاء الطرف، مع مراعاة قيد فيه، فالقيد إذًا ليس مقصودًا لذاته، بل لذلك الجزء كما فى تشبيه الساعى المقيد بأن سعيه لم ينتج بالنقَّاش المقيد بأن نقشه على الماء فإن المقصود بالذات هو كل من (الساعى والناقش) مراعى فى كل منهما قيده المذكور، فوضح الفرق بين الأمرين.

التقسيم الثالث:

ينقسم التشبيه باعتبار الطرفين أيضًا أربعة أقسام - ملفوف، ومفروق، وتسوية، وجمع.

فالملفوف: أن يتعدد طرفاه، ويجمع كل طرف مع مثله بأن يؤتى بالـمُشبَّهات أولا، ثم بالـمُشبَّهات بها ثانيًا كقول امرئ القيس يصف عقابا بكثرة اصطياد الطيور:

كـأن قلوب الطيـر رطبًـا ويابسًـا لدى وكرها العناب والحشف البالى[1]

شبه الرطب الطرى من قلوب الطير بالعناب فى الشكل والمقدار واللون وشبه اليابس العتيق منها بالحشف البالى فى هذه الثلاثة، وجمع بين المشبهين فى المصراع الأول، وبين المشبهين بهما فى المصراع الثانى «كما ترى».

وكما تقول: كالقمرين هند وسعاد، أو هما كالشمس والقمر -فقد جمع فيهما كل صنف على حدة- وسمى «ملفوفًا»، لأنه من اللف وهو الضم، وقد لف المشبهان «فيما مثلنا» أىَ ضم بعضهما إلى بعض، كما لف المشبهان بهما كذلك.

والمفروق: أن يتعدد طرفاه، ويجمع كل طرف منهما مع صاحبه بأن يجمع كل مشبه مع مشبه به كقول الشاعر:

الخـد ورد والصـدغ غـاليـة والريق خـمـر والـثغـر كـالدرر[2]

جمع الشاعر فى هذا البيت كل مشبه مع مشبه به كما ترى، وكقول المتنبى:

بدت قـمـرًا ومـالـت غـصن بان وفـاحت عنبـرًا ورنت غـزالا[3]

فقد شبه وجهها بالقمر وقدها بالغصن، وريحها بالعنبر، وطرفها بالغزال -وسمى مفروقًا، لأنه لم يجمع فيه بين المشبهات على حدة، ولا بين المشبهات بها كذلك كما فى القسم الأول بل فرق بينهما، فوضع كل مشبه به بجوار مشبهه على ما رأيت فى البيتين.

---

(١) أراد بالطير الجنس الصادق بالكثير والقليل «ورطبا ويابسا» حالان من القلوب، والعامل فيهما «كأن» لتضمنها معنى التشبيه أى أشبه قلوب الطير حال كون بعضها رطبًا وبعضها يابسًا، والوكر العش والعناب حب أحمر مائل إلى الكدرة فى حجم قلوب الطير، والحشف أردأ التمر.

(٢) المراد بالصدغ: الشعر المتدلى على الخد، والغالية: نوع من الطيب، والثغر: أراد به الأسنان.

(٣) البان: نوع من الشجر وقوله «رنت» من الرنو كسمو وهو إدامة النظر.

والتسوية: أن يتعدد المشبه دون المشبه به كما فى قول الشاعر:

صدغ الحبيب وحالى كلاهما كالليالى
وثغره فى صفاء وأدمعى كاللآلى

شبه الشاعر فى البيت الأول حاله، وصدغ حبيبه بالليالى فى السواد. وشبه فى البيت الثانى أدمعه، وثغر حبيبه باللآلىء فى الصفاء والتألق فالمشبه فيهما متعدد دون المشبه به -وسمى تشبيه التسوية، لأنه سوى فيه بين شيئين فى إلحاقهما بشىء واحد:

ذات حسن لو استزادت من الـ ـحسن لما أصابت مزيدا
فهى الشمس بهجة والقضيب الـ ـلدن قداً والريم طرفًا وجيدًا[1]

شبه الشاعر فى البيت الثانى هذه المرأة بثلاثة أشياء -«الشمس» وهى الكوكب المعروف، و«القضيب» وهو الغصن، و«الريم» وهو الغزال فالمشبه شىء واحد، هو «ذات الحسن» والمشبه به متعدد كما ترى -وسمى تشبيه الجمع لاجتماع شيئين أو أشياء فى مشابهة شىء واحد.

«ملاحظة» إن التفريق بين تشبيهى التسوية والجمع اصطلاح لهم وإلا فيجوز أن يعتبر فى كل منهما ما اعتبر فى الآخر ويسمى أحدهما باسم الآخر.

تمرين

١- عرف التشبيه لغة واصطلاحًا، وبين أركانه فى مثال من عندك.

٢- إيت بتشبيهات خمسة من إنشائك.

أولها: يدرك طرفاه بحاسة البصر ووجهه بحاسة الشم.

ثانيها: يدرك طرفاه بحاسة البصر أيضًا، ووجهه بحاسة اللمس.

ثالثها: يدرك طرفاه، ووجهه بحاسة الذوق.

رابعها: يدرك طرفاه ووجهه بحاسة السمع.

خامسها: فيها المشبه حسى، والمشبه به عقلى.

(١) اللدن: الطرى الغض، والقد: القامة، والطرف: العين، والجيد: العنق.

٣- بين فيما يأتى طرفى التشبيه ؛ والحاسة التى يدرك بها كل منهما :

صوت كتغريد البلابل، ونكهة كريح الند[١]. دواء كالعلقم، ولسع كلسع الأرقم[٢] رضاب[٣] كلعاب النحل، وجبين كالفرقد[٤] شعر كالحرير، وقدٌ كغصن البان. عبير كأنفاس الأزهار، ونغم كسجع الأطيار.

كأنما الماء فى صفاء ... وقد جرى ذائب اللجين[٥]

٤- بين فيما يأتى طرفى التشبيه وحاليهما ونوع التشبيه باعتبارهما.

١- علم لا ينفع كدواء لا ينجع.

٢- الصديق المنافق، والأخ الجاهل كجمر الغضا[٦].

٣- الحق سيف على أهل الباطل.

٤- إنما الدنيا كبيت ... نسجه من عنكبوت

٥- فكم معنى بديع تحت خط ... هناك تزاوج كل ازدواج

كراح فى زجاج أو كروح ... سرت فى جسم معتدل المزاج

٦- خود كأن بنانها ... فى خضرة النقش المزرد

سمك من البلور فى ... شبك تكون من زبرجد[٧]

٧- ليل وبدر وغصن ... شعر ووجه وقد

خمر ودر وورد ... ريق وثغر وخد

٨- الخد ورد والصدغ غالية ... والريق خمر والثغر من برد[٨]

---

(١) نوع من الطيب،

(٢) نوع خبيث من الحيات.

(٣) الرضاب اللعاب. (٤) النجم.

(٥) اللجين الفضة.

(٦) شجر مُرٌ مفرده غضاة.

(٧) البلور: معدن شفاف، والزبرجد: جوهر نفيس.

(٨) الغالية: نوع من الطيب: والبرَد: حب الغمام.

٩- بات نديما لى حتى الصباح   أغيد مجدول مكان الوشاح[١]

كأنما يبسم عن لؤلؤ   منضد أو برد أو أقاح

١٠- له خال على صفحات خد   كنقطة عنبر فى صحن مرمر[٢]

جواب السؤال الثالث

الجملة	المشبه	المشبه به	الحاسة
صوت كتغريد البلابل	الصوت	تغريد البلابل	السمع
نكهة كريح العنبر	النكهة	ريح العنبر	الشم
دواء كالعلقم	الدواء	العلقم	الذوق
لسع كلسع الأرقم	اللسع	لسع الأرقم	اللمس
رضاب كلعاب النحل	الرضاب	لعاب النحل	الذوق
جبين كالفرقد	الجبين	الفرقد	البصر
شعر كالحرير	الشعر	الحرير	اللمس
قدّ كغصن البان	القدّ	غصن البان	البصر
عبير كأنفاس الأزهار	العبير	أنفاس الأزهار	الشم
نغم كسجع الأطيار	النغم	سجع الأطيار	السمع

(١) الأغيد: الناعم البدن، الوشاح: جلد عريض يرصع بالجواهر ويشد فى الوسط للزينة، ومعنى مجدول مكان الوشاح: أنه ضامر البطن والخاصرتين، والمنضد: المنظم، والأقاح: جمع أقحوان بضم الهمزة والحاء وهو نَوْر كالورد أوراقه أشبه شىء بالأسنان.

(٢) المرمر: الرخام.

جواب السؤال الرابع

رقم	المشبه	المشبه به	حال المشبه	حال المشبه به	نوع التشبيه
١	علم لا ينفع	دواء لا ينجع	مفرد مقيد عقلى	مفرد مقيد حسى	
٢	الصديق النافع والأخ الجاهل	جمر الغضا	متعدد حسى	مفرد حسى	تسوية
٣	الحق	السيف	مفرد عقلى	« «	
٤	الدنيا	بيت العنكبوت	مفرد عقلى	« مقيد حسى	
٥	المعنى البديع تحت خط	الراح أو الروح	مفرد مقيد عقلى	« « « فى الأول	
٦	هيئة الأصابع مع النقش الأخضر	هيئة السمك المبلور بين الشبك المصنوع من زبرجد	هيئة مركبة من أشياء محسوسة	وعقلى فى الثانى هيئة مركبة من أشياء محسوسة	
٧	الليل والبدر والغصن	الشعر والوجه والقد	متعدد حسى	متعدد حسى	
٨	الخد والصدغ والريق والثغر	الورد والغالية والخمر والبرد	متعدد حسى	« «	ملفوف
٩	ثغره المفهوم من «يبسم»	اللؤلؤ والبرد والأقاح	مفرد حسى	« «	مفروق جمع
١٠	هيئة الخال على صفحة الخد	هيئة العنبر على صفحة المرمر	مركب حسى	مركب «	

تمرين يطلب جوابه على قياس ما سبق

بين فيما يأتى طرفى التشبيه وحاليهما، ونوع التشبيه باعتبارهما.

النشر مسك والوجوه دنانير وأطراف الأكف عنم (١)

(١) النشر: الطيب الرائحة، والعنم: شجر لين الأغصان يشبه أصابع اليد المخضبة وهو أملس دائم الخضرة.

يكاد بحكيك صوت الغيث منسكبًا لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا(١)
والبدر لو لم يغب والشمس لو نطقت والأسد لو لم تصد والبحر لو عذبا
فى رأس مشرقة حصاها لؤلؤ وترابها مسك يشاب بعنبر
لعاب الأفاعى القاتلات لعابه وأرى الجنى اشتارته أيد عواسل(٢)

كالقمرين محمد وعلى. ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٤، ٥] لها لحظ كالسهم، ولفظ كالسحر.

إنى وتزيينى بمدحى معشرًا كمعلق درًا على خنزير

تمرين آخر يطلب جوابه

١- مثل لما يأتى: تشبيه مقيد الطرفين، تشبيه أحد طرفيه حسى والآخر عقلى. تشبيه أحد طرفيه مقيد والآخر مركب. تشبيه مفروق وآخر ملفوف، تشبيه طرفاه مركبان حسيان. تشبيه تسوية.

٢- اجعل كلا من الأشياء الآتية مشبهًا به، ثم بين نوع التشبيه فيه: الدر، الغصن، الورد، ثم بين من أى أنواع التشبيه قولهم: هو بدر حسنًا. وشمس علوًا.

٣- اجعل ما يأتى من الكلمات وجه شبه فى عبارة من محض إنشائك: الطيب، الرعد، السماحة، العدالة، الصلابة، البهجة، القوة، الجمال.

***

مبحث وجه الشبه:

الوجه هو المعنى الذى اشترك الطرفان فيه كما تقول: محمد كأخيه فى الكرم فوجه الشبه هو «الكرم»، لأنه المعنى الذى اشترك فيه محمد وأخوه.

غير أنه يشترط فيه: أن يكون مقصودًا للمتكلم، فليس كل معنى يشترك الطرفان فيه «وجه شبه» ما لم يقصد جعله موضع اشتراك وإلا فإن الطرفين قد يشتركان فى كثير من

(١) صوت الغيث. انصبابه؛ والمحيا: الوجه.
(٢) الأرى عسل النحل وشار العسل اشتاره، استخرجه.

المعانى كالحيوانية، والجسدية، والوجود وغير ذلك كما فى المثال المذكور ومع ذلك لا يعد واحد منها وجه شبه إلا إذا قصد إليه المتكلم، واعتبره وجهًا للشبه بين الطرفين، كأن تقول لإنسان يقسو على آخر بالضرب المبرح «ارْفقْ به فهو مثلك» أى فى الحيوانية أو فى الجسدية.

وللتشبيه باعتبار هذا الوجه تقسيمات عدة:

التقسيم الأول:

ينقسم التشبيه بهذا الاعتبار إلى قسمين: تحقيقى، وتخيلى.

فالتحقيقى: أن يكون وجه الشبه فيه قائمًا بالطرفين حقيقة كما تقول:

وجه هند كالبدر وشعرها كالليل، فوجه الشبه بين الطرفين هو «الإشراق» فى الأول «والسواد» فى الثانى وكلا المعنيين قائم بالطرفين على وجه الحقيقة.

والتخيلى: ألا يكون الوجه قائمًا بالطرفين، أو بأحدهما إلا تخيلاً وهو أن يثبته الخيال بجعل غير المحقق محققًا كقول الشاعر:

يا من له شعر كحظى أسود ... جسمى نحيل من فراقك أصفر

فوجه الشبه بين الشعر والحظ هو «السواد» وليس موجودًا فى المشبه به حقيقة بل تخيلاً، لأن الحظ ليس من ذوات الألوان فإذا قيل: يا من له حظ كحظى أسود كان مثالاً لما يكون فيه وجه الشبه فى الطرفين متخيلاً.

التقسيم الثانى:

ينقسم التشبيه باعتبار الوجه أيضًا إلى ثلاثة أقسام: واحد، ومنزل منزلة الواحد، ومتعدد.

فالواحد: ما لا تركيب فيه ولا تعدد، «كالحمرة» فى قولك: خده كالورد و«الكرم» فى قولك: محمد كحاتم و«كالهداية» فى قولك: العلم نور فوجه الشبه فى هذه المثل شىء واحد «كما ترى».

والمنزل منزلة الواحد: ما كان الوجه فيه هيئة مركبة، انتزعها العقل من عدة أمور بحيث لا يصلح واحد منها على انفراده وجه شبه كقول الشاعر:

والبدر فى كبد السَّماءِ كدرهم ... ملقى على ديباجة زرقاء

فوجه الشبه «كما ترى» مجموع الهيئة المركبة، من عدة أشياء هى ظهور صورة بيضاء، مشرقة مستديرة، فى رقعة مبسوطة زرقاء، ولا يصح «بلاغة» جعل واحد من هذه الأشياء وجه شبه على حدة، لأن القصد تشبيه الطرفين فى هذه الهيئة المجتمعة.

وإنما نزل القسم منزلة الواحد، لأن الوجه فيه مركب من أشياء تضامت وتلاصقت حتى صارت كالشىء الواحد، لا يقبل التجزئة وإنما لم يكن واحداً حقيقة لتركيب الوجه من هذه الأشياء، ولا تركيب فى الواحد.

والمتعدد: ما كان وجه الشبه فيه عدة أمور جعل كل منها وجه شبه على حدة كما فى قولك: هذه الفاكهة كالتى أكلناها أمس فى الطعم، واللون، والرائحة -وكما فى قولك: عباس كأخيه فى الطول، والضخامة والوسامة ومثله فى الحلم والكرم، والذكاء فوجه الشبه فى هذه المثل أمور متعددة كل منها يصلح أن يكون وجه الشبه على انفراده إذ ليس القصد: تشبيه الطرفين فى هيئة مركبة من هذه الأمور، بل في كل واحد منها على حدة.

تنبيهان:

الأول: إن الفرق بين الوجه المركب من عدة أشياء وبين المتعدد هو أن المركب منظور فيه إلى مجموع الأشياء، والهيئة المركبة منها باعتبارها وحدة لا تتجزأ، إذا حذف أحدها اختل التشبيه، كما فى قول الشاعر المتقدم:

والبدر فى كبد السماء كدرهم ملقى على ديباجة زرقاء

فإن وجه الشبه فيه: مجموعة الأمور المتقدم ذكرها وهى ظهور صورة بيضاء، مشرقة، مستديرة، فى رقعة زرقاء، مبسوطة، فلو حُذف من هذه المجموعة واحد «كالاستدارة أو الإشراق» مثلا لم يتم التشبيه بين الطرفين -أما الوجه المتعدد فإن المنظور فيه إلى أمور متعددة، بقصد جعل كل واحد منها على استقلاله وجه شبه بحيث لو حذف أحدها لم يختل التشبيه كما فى المثال السابق فى تشبيه الفاكهة بأخرى فى الطعم، والرائحة، واللون فإنك لو حذفت اللون مثلاً، أو الطعم، أو الرائحة لم يختل التشبيه، إذا ليس الغرض: جعل وجه الشبه الهيئة الحاصلة من مجموع هذه الأمور بل المراد جعل كل واحد وجه شبه، من غير أن يتقيد أحدها بالآخر.

الثانى: إذا كان وجه مركبًا وجب أن يكون الطرفان مركبين أو مقيدين، أو أحدهما مركبًا، والآخر مقيَّدًا ولو تقديرًا -ذلك أن وجه الشبه قائم بالطرفين، منتزع منهما، وليس معقولاً أن تقوم هيئة مركبة من عدة أمور بشىء واحد، أو أن تنتزع من شىء واحد فوجه الشبه فى البيت «السابق» هو الهيئة المركبة من الأشياء المذكورة، وتلك الهيئة لا يمكن أن تقوم بشىء واحد، ولا أن تنتزع منه -كذلك وجه الشبه فى تشبيه الشمس بالمرآة فى كف الأشل هو الهيئة الحاصلة من جملة أشياء هى الاستدارة، والإشراق، وتموجه الناشىء من الحركة السريعة المتصلة وأحد الطرفين فيه وهو «الشمس» وإن أفرد لفظًا هو مقيد معنى بجملة قيود هى الإشراق المتموج، والحركة السريعة المتصلة، والاستدارة وبهذا صح أن يكون منتزعًا للهيئة المذكورة.

التقسيم الثالث:

ينقسم التشبيه باعتبار الوجه أيضًا إلى ثلاثة أقسام:

أن يكون وجه الشبه فيه حسياً أى مدركًا بالحس -مفردًا كان أو مركبًا، أو متعددًا.

فالمفرد الحسى «كالإشراق» فى قولك: له وجه كالبدر، و«كالنعومة» فى قولك: له جسد مثل الحرير، و«كالطيب» فى قولك: عرفه كشذا المسك إلى آخر ما تقدم من الأمثلة في الأمور الحسية.

والمركب الحسى: ماتقدم فى تشبيه «البدر فى كبد السماء» بدرهم ملقى على ديباجة زرقاء» فإن وجه الشبه «كما بيَّنا غير مرة، هو الهيئة الحاصلة من ظهور صورة بيضاء مشرقة مستديرة، فى رقعة مبسوطة زرقاء وهذه الهيئة حسية تدرك بحاسة البصر.

والمتعدد الحسى: ما تقدم فى تشبيه فاكهة بأخرى فى الطعم، واللون، والرائحة، فوجه الشبه كل واحد من هذه الأمور الثلاثة وجميعها حسى يدرك الأول منها بحاسة الذوق، والثانى بحاسة البصر، والثالث بحاسة الشم.

٢- أن يكون وجه الشبه فيه عقلياً أي مدركًا بالعقل -مفردًا كان أو مركبًا، أو متعددًا.

فالمفرد العقلى: «كالهداية» فى قوله ﷺ: «**أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**» و«كالجرأة» فى قولك: عمر كالأسد فوجه الشبه فى هذين المثالين لا يدرك بشىء من الحواس، وإنما يدرك بالعقل.

والمركب العقلى كقول الشاعر:

والمستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

فوجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من الالتجاء من الضّار إلى ما هو أضر طمعًا فى الانتفاع به وهذه الهيئة مما يدرك بالعقل.

والمتعدد العقلى كقولك: محمد كأبيه فى شجاعته، وحلمه، وإيمانه فوجه االشبه كل واحد من هذه الأمور الثلاثة. والجميع مما لا يدرك بغير العقل.

٣- أن يكون الوجه مختلفًا -بعضه حسى وبعضه عقلى كما فى وجه الشبه المتعدد كأن تشبه رجلاً بآخر فى طوله وجسامته، وكرمه وشهامته، فوجه الشبه كل واحد من هؤلاء الأربعة. غير أن الأولين منهما حسيان، والآخرين عقليان كما ترى.

تنبيهان:

الأول: اعلم: أن الوجه المختلف كما يكون فى المتعدد «كما مثلنا» يكون أيضًا فى المركب المنزل منزلة الواحد، باعتبار الأجزاء التى تركب منها كما فى تشبيه المرأة الحسناء الوضيعة الأصل بخضراء الدمن (١) فى حسن المنظر، مع سوء المخبر، فإن، وجه الشبه مجموع الأمرين المذكورين. أولهما حسى والآخر عقلى -غير أن علماء البيان يعتبرون المركب من حسى من قبيل العقلى فالمركب حينئذ -إما حسى فقط. أو عقلى فقط كما هو الشأن فى الوجه المفرد -بخلاف الوجه المتعدد فإن فيه الأنواع الثلاثة.

الثانى: اعْلمْ: أنه إذا كان الوجه حسياً كله أو بعضه فلا بد أن يكون الطرفان حسيين أيضًا، وذلك لأحد سببين:

أحدهما: أنه لا بد من قيام وجه الشبه بالطرفين تحقيقًا للتشارك بينهما والحسى لا يقوم بغير الحسى فالبياض مثلاً مما يدرك بحاسة البصر فلو جعل مشتركًا بين شيئين وجب أن يكون من المبصرات حتى يتأتى قيام البياض بهما وهكذا يقال فى باقى المحسات.

(١) هى شجرة تنبت فى معاطن الدواب تكون ناضرة بهيجة، ولكن لا ثمر فيها وهى بمثابة مثل يضرب لكل وضيع يبهرك منظره ويسوؤك مخبره.

ثانيهما: أنه لا بد من إدراك الوجه فى الطرفين ليتحقق لنا التشارك فيه والحواس لا تدرك غير المحسات فحاسة البصر مثلاً لا تدرك إلا ما كان مبصَرًا، وحاسة اللمس لا تدرك إلا ما كان ملموسًا وهكذا ومحال أن تدرك هذه الحواس شيئًا من المعقولات فلا تبصر معنى «الكرم» ولاتلمس اليد معنى «الشجاعة» ولا تشم الأنف معنى «الحلم».

أما الوجه العقلى فيصح أن يكون طرفاه عقليين، أو حسيين، أو مختلفين، فالعقليان كأن تشبه وجود الجاهل بعدمه فى الخلو من الفائدة فالطرفان وهما «الوجود والعدم» عقليان -والحسيان كأن تشبه قوى البأس بالجبل فى الصمود والطرفان وهما «قوى البأس والجبل» حسيان، والمختلفان كأن تشبه السيرة الحميدة بأريج المسك أو العكس فى ارتياح النفس إلى كل فالطرفان فى المثالين مختلفان، أحدهما حسى والآخر عقلى، ووجه الشبه فى الجميع عقلى «كما رأيت».

وإنما صح هذا التعميم فى الوجه العقلى لجواز قيام المعقول بالمحسوس كقيام معنى الفصاحة «بسحبان». وقيام معنى الشاعرية «بزهير» -ولجواز أن يدرك العقل أمرًا معقولاً فى شىء محسوس كإدراك معنى الشجاعة فى «خالد بن الوليد» وإدراك معنى الجود فى «حاتم».

التقسيم الرابع:

ينقسم باعتبار الوجه إلى قسمين - تمثيل، وغير تمثيل.

فالتمثيل: ما كان وجه الشبه فيه هيئة مركبة من عدة أمور -حسيًا كان الوجه أو عقليًا- فمثال الحسى ما سبق فى قول الشاعر:

والبدر فى كبد السَّمَاءِ كدرهم ... ملقى على ديباجة زرقاء

فإن وجه الشبه «كما عرفت من قريب، هو الهيئة المركبة من عدة أمور كلها مدرك بالحس -ومثله قول الشاعر:

وكأن أجرام النجوم لوامعًا ... درر نثرن لى بساط أزرق

فوجه الشبه أيضًا هو الهيئة المركبة من صور بيض مشرقة، منثورة فى رقعة مبسوطة زرقاء وكلها أشياء حِسية كما ترى -ومثال الوجه العقلى ما تقدم لك فى قول الشاعر:

والمستجير بعمرو عند كربته ... كالمستجير من الرمضاء بالنار

فإن وجه الشبه «كما عرفت» هيئة مركبة من أمور عقلية فى الالتجاء من الضار إلى ما هو أضر، مع الطمع فى الانتفاع به -ومثله قوله تعالى فى تشبيه حال اليهود بحال الحمار: ﴿ مَثَلُ الَّذين حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ [الجمعة: ٥] فإن وجه الشبه هيئة مركبة من أمور عقلية هى حرمان الانتفاع، بأبلغ نافع مع معاناة الكد في تحمله(١).

وغير التمثيل: ما لم يكن الوجه فيه هيئة منتزعة من متعدد بأن كان أمرًا واحدًا أو متعددًا -«فالأول كحسن النغم» فى تشبيه صوت حسن بتغريد البلابل، «وكالمضاء» فى تشبيه العزيمة بالسيف و«كالإشراق» ، فى تشبيه الحجة الواضحة بالشمس، ونحو ذلك مما يكون وجه الشبه فيه شيئًا واحدًا، لا تركيب فيه -والثانى كما فى تشبيه فاكهة بأخرى في الطعم، والرائحة واللون، فإن وجه الشبه كل واحد من هذه الثلاثة لا الهيئة المركبة منها على ما سبق بيانه.

تنبيه:

ما تقدم فى تشبيه التمثيل هو مذهب جمهور البيانيين فهم «كما عرفت» لا يفرقون فيه بين الحسى والعقلى فالمراد فيه عندهم على أن يكون هيئة مركبة من عدة أمور -حسية كانت أو عقلية.

وللسكاكى فيه مذهب وهو أن تشبيه التمثيل عنده خاص بالمركب العقلى كما فى تشبيه «المستجير بعمرو عند كربته» فى البيت السابق وكما فى تشبيه حال اليهود بحال الحمار فى الآية الكريمة وحينئذ يكون تشبيه التمثيل عنده أخص منه عند الجمهور فمثل قول الشاعر المتقدم:

«وكأن أجرام النجوم لوامعًا» الخ، وقول الآخر: «والبدر فى كبد السماء كدرهم» إلخ، وغيرهما من كل تشبيه، فيه الوجه هيئة منتزعة من أمور محسوسة -كل ذلك من

(١) فقد روعى فى الحمار فعل خاص هو الحمل وأن يكون المحمول أوعية العلوم ومستودع ثمار العقول، وكون الحمار جاهلاً بما فيها مع تكبده مشاق الحمل وروعى مثل ذلك فى جانب اليهود وكل هذه الأشياء أمور عقلية.

قبيل تشبيه التمثيل عند الجمهور لأن وجه التشبيه هيئة مركبة من عدة أمور كما سبق بيانه وليس من تشبيه التمثيل عند السكاكى، لأن وجه الشبه فيها ليس عقلياً أى ليس مركبًا من أمور عقلية كما هو الشرط عنده فى تشبيه التمثيل.

أما نحو التشبيه فى قول الشاعر: والمستجير بعمرو عند كربته «البيت» وفى آية اليهود السابقة: فمن تشبيه التمثيل عند الطرفين، أما عند الجمهور فلأن الوجه فيهما هيئة مركبة من عدة أمور وأما عند السكاكى فلأن وجه الشبه فيهما مركب عقلى.

التقسيم الخامس:

ينقسم التشبيه باعتبار الوجه أيضًا إلى قسمين -مفصل، ومجمل. فالمفصل: ما صرح فيه بذكر وجه الشبه على طريقته[1] كما تقول: طبع فؤاد كالنسيم رقة أو فى رقته، يده كالبحر سخاء أو فى سخائه، وكلامه كالدر أو فى حسنه، وقوامه كالسيف استقامة أو فى استقامته، فكل هذه المثل من قبيل المفصل التصريح فيها بذكر الوجه كما رأيت.

ومن قبيل المفصل قولهم فى تشبيه الكلام السهل، الخفيف على السمع: «ألفاظه كالعسل فى الحلاوة»، وفى تشبيه الحجة الواضحة: «حجة كالشمس فى الظهور» فوجه الشبه فى المثالين مذكور «كما ترى» وهو قائم بالطرفين، غير أنه فى المشبه تخيلى، وفى المشبه به تحقيقي وقد سبق الكلام فيه[2].

والمجمل: ما لم يصرح فيه بذكر وجه الشبه على طريقته وهو نوعان:

---

(١) هى أن يذكر الوجه مجروراً «بفى» أو منصوبًا على التمييز على معنى «فى» كالأمثلة المذكورة ومن هنا يعلم أن وجه الشبه كما يكون مجروراً «بفى» يكون منصوبًا على التمييز على معنى «فى» واحترز به عن نحو قولهم: يد فؤاد كالنهر تفيض، ووجه هند كالبدر يضىء فليس ذلك من قبيل المفصل لعدم ذكر الوجه على طريقته المذكورة.

(٢) أما ما قيل من أن فى مثل هذين المثالين تسامحًا من حيث أن الوجه لم يذكر وإنما ذكر ملزومه وهو «الحلاوة» فى الأول «والظهور» فى الثانى -فغير سديد، لأن ذكر «الحلاوة» والظهور، إن كان من قبيل التعبير بالملزوم عن اللازم الذى هو «ميل النفس» فى الأول «وزوال الحجاب» فى الثانى كان من قبيل المجاز ولا تسامح فيه؛ لأن الوجه مذكور غاية الأمر أنه عبر عنه بملزومه -وإن لم يكن من المجاز فخطأ إذ لا واسطة بين الحقيقة والمجاز غير الخطأ ولا ينبغى حمل الكلام الفصيح على الخطأ.

أ- ظاهر يستوى فى إدراكه العامة والخاصة كتشبيه الشَّعر بالفحم والقَدِّ بالغصن والوجه بالبدر فأوجه الشبه فى هذه المثل من الوضوح، بحيث لا تحتاج إلى إعمال فكر.

ب- خفى يحتاج فى فهمه إلى تأمل ونظر مثاله ما روى: أن فاطمة بنت الخرشب[1] الأنمارية سئلت عن بنيها الأربعة: أيهم أفضل؟ فقالت: هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها تريد أن تقول: هم -فى تناسبهم فى الشرف والشجاعة وعدم تفاوتهم فيهما، بحيث يمتنع تفضيل أحدهم عن الآخر كالحلقة المتصلة الجوانب فإن أجزاءها متناسبة فى الصورة، يمتنع تعيين بعضها طرفًا وبعضها وسطًا فوجه الشبه إذًا هو « التناسب الكلى الخالى عن التفاوت» وقد أشعر به قولها: «لا يدرى أين طرفاها» إلا أنه فى المشبه تناسب فى الشرف، وفى المشبه به تناسب فى صورة الأجزاء وهو «كما ترى» خفى دقيق، فوق متناول مدارك العامة ولا يدركه إلا من ارتفع منهم إلى طبقة الخاصة.

تنبيه:

من هذا المثال السابق يتضح: أن التشبيه المجمل لا يخرجه عن إجماله أن يذكر لأحد الطرفين، أو لكليهما وصف مشعر بوجه الشبه.

فمثال ما ذكر فيه وصف المشبه به دون المشبه قول فاطمة المتقدم. فإن قولها: «لا يدرى أين طرفاها» وصف للمشبه به، مشعر بوجه الشبه الذى هو «التناسب الكلى» إذ يفهم من عدم دراية الطرفين معنى التناسب فى الأجزاء -ومثله قول زياد الأعجم:

فـإنّا ومـا تـلقى لنـا أن هجـوتـنا ... لكالبحـر مهما تلق فى البـحر يغرق[2]

(١) بضم الخاء والشين -وسبب هذا القول أنها سئلت عن بنيها الأربعة الذين رزقتهم من زوجها وهم ربيع الكامل وعمارة الوهاب وقيس الحفاظ وأنس الفوارس سئلت: أيهم أفضل؟ فقالت عمارة؛ ثم بدا لها غير هذا فقالت: لا بل فلان، ثم بدا لها غير ذلك فقالت: لا، ثم قالت: ثكلتهم إن علمت أيهم أفضل، هم كالحلقة إلخ -وقيل: إنه من قول كعب الأشعرى فى وصف بنى المهلب للحجاج حين قال له: كيف تركت الناس. فقال كعب تركتهم بخير، أدركوا ما أملوا وأمنوا مما خافوا، فقال الحجاج: فكيف بنو المهلب فيهم؟ فقال هم حماة السرح نهارًا فإذا أليلوا ففرسان البيات؛ فقال الحجاج: فأيهم كان أنجد؟ أى أشجع فقال: هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها.

(٢) أن هجوتنا بفتح همزة (أن)، وهو مصدر مؤول من أن والفعل مجرور بحرف جر مقدر: والتقدير بهجائك.

يشبه زياد حال قومه إذ يرميهم المخاطب بالنقيصة فلا تضرهم، ولا يظهر لها فيهم أثر لخطورة شأنهم بحال البحر العظيم لا يتأثر بما يُلقى فيه ووجه الشبه أن كلا الطرفين من العظمة والخطر بحيث لا يَنال منهما وقوله:

«مهما تلق فى البحر يغرق» وصف للمشبه به مشعر بهذا الوجه.

ومثال ما ذكر فيه وصف المشبه دون المشبه به قوله عليه الصلاة والسلام: «أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» فوجه الشبه فى الحديث «الهداية» وقد أشعر به قوله: بأيهم اقتديتم اهتديتم» وهو وصف خاص بالمشبه.

ومثال ما ذكر فيه وصفهما معًا قول أبى تمام يمدح الحسن بن رجاء:

صدفت عنه ولم تصدف مواهبه ... عنى وعاوده ظنى فلم يخب

كالغيث إن جئته وافاك ريقه ... وإن ترحلت عنه لج فى الطلب(١)

وصف الشاعر الممدوح الذى هو «المشبه» بأن عطاياه مغدقة، سابغة عليه -أعرض عنه، أو أقبل عليه، ثم وصف الغيث الذى هو المشبه به بأنه يصيبك -أقبلت عليه، أو تجنبته ووجه الشبه «مطلق الإفاضة فى الحالين» والوصفان المذكوران مشعران بهذا الوجه.

وصفوة القول: أن التشبيه المجمل هو ما لم يذكر فيه وجه الشبه على طريقته السابقة -ظاهرًا ذلك الوجه، أو خفيًا «كما بيّنا»، وأن وصف أحد الطرفين أو كليهما بما يشعر بالوجه «كما رأيت» لا يتنافى مع الإجمال لأن المدار فى كون التشبيه مجملاً على ألا يذكر وجه الشبه ذاته لا وصف مشعر به اهـ.

التقسيم السادس:

ينقسم التشبيه باعتبار الوجه أيضًا إلى قسمين -قريب مبتذل، وبعيد غريب، وإليك بيانهما

فالقريب المبتذل: ما ينتقل فيه الذهن من المشبه إلى المشبه به من غير تأمل ونظر بسبب وضوح وجه الشبه فيهما كتشبيه حسناء الوجه بالقمر فى الإشراق.

وحسن الصوت بالبلبل فى حسن النغم فكلا التشبيهين قريب، فى متناول العامة، مبتذل، يكثر تداوله بين الناس لظهور وجه الشبه بين الطرفين «كما ترى»:

(١) صدف من باب ضرب أعرض، والريق من كل شىء أفضله؛ ولج فى الطلب الح فيه.

وأسباب: وضوح وجه الشبه ثلاثة:

أ- أن يكون الوجه شيئًا واحداً لا تعدد فيه، ولا تفصيل كالمثالين السابقين فإن وجه الشبه فى الأول الإشراق» وفى الثانى، «حسن النغم» وكلاهما شىء واحد، ولا شك أن إدراك الشىء الواحد لا يحتاج سوى ملاحظة واحدة، بخلاف غيره فإنه يحتاج إلى عدة ملاحظات.

ب- أن يكون فى الوجه نوع تفصيل يحتاج إلى تعدد الملاحظة -غير أنه يسرع حضور صورة المشبه به فى الذهن عند حضور صورة المشبه لشدة التناسب بين الصورتين كأن تشبه العنب بالبرقوق فى حجمه ولونه، ففى وجه الشبه بين الطرفين تفصيل ما إذ لوحظ فيه أمران- الحجم واللون وهذا يقتضى شيئًا من غرابة التشبيه وبعده ولكن عارض ذلك ما يقتضى قربه وابتذاله وهو سرعة حضور المشبه به فى الذهن عند حضور صورة المشبه لما بينهما من شدة الانسجام، وقوة المناسبة إذ أن العنب والبرقوق من فصيلة واحدة ويجمعهما زمن واحد وسوق واحدة، فلا أثر للتفصيل فى وجه الشبه، مع قوة هذه المناسبة -ومثله تشبيه الجرة الصغيرة بالكوز فى «المقدار والشكل» فإن سرعة حضور صورة الكوز فى الذهن عند حضور صورة الجرة فيه لشدة المناسبة بين الصورتين عارضت التفصيل فى الوجه على نحو ما ذكرنا فى المثال الأول كان التشبيه قريبًا مبتذلاً.

ج- أن يكون فى الوجه شىء من التفصيل -(كسابقه) يحتاج إلى تعدد الملاحظة - غير أنه يكثر حضور صورة المشبه به فى الذهن مطلقًا أى لا بقيد حضور صورة المشبه وذلك لكثرة مشاهدة صورة المشبه به، وتكررها على الحس فإن المشاهد كثيراً يكثر خطوره بالبال عادة كتشبيه إنسان بالقمر فى الرفعة والهداية، وكتشبيه المرأة المجلوة بالشمس فى الاستدارة والاستنارة ففى وجه الشبه بين الطرفين فى (المثالين) شىء من التفصيل إذ لوحظ فيه أمران -الرفعة والهداية «فى الأول» والاستدارة والاستنارة فى الثانى» وهذا يقتضى غرابة التشبيه وبعده ولكن عارض ذلك ما جعله قريبًا مبتذلاً وهو كثرة حضور صورة المشبه به فى الذ هن لكثرة مشاهدتها إذ ليس من شك أن صورة «القمر» فى المثال الأول، وصورة «الشمس» فى المثال الثانى مما يشاهد كثيرًا.

والغريب البعيد: هو ما لا ينتقل فيه الذهن من المشبه إلى المشبه به بعد إعمال فكر ودقة نظر بسبب خفاء وجه الشبه فيهما.

وأسباب خفاء الوجه ثلاثة أيضًا:

أ - أن يكون الوجه كثير التفصيل، يحتاج إلى كثرة الملاحظات والاعتبارات كما في تشبيه الخد بالشقيق في وقول الشاعر:

لا تعجبوا من خاله في خده ... كل الشقيق بنقطة سوداء

فوجه الشبه بين الطرفين هو الهيئة الحاصلة من وجود نقطة مستديرة سوداء وسط رقعة مبسوطة حمراء وفيه من كثرة التفصيل والاعتبارات ما لا يقع في نفس مريد التشبيه إلا بعد تأمل وروية -وكما في تشبيه الشمس بالمرآة في كف الأشل فإن الهيئة المشتركة في كليهما- على ما تقدم بيانه- لا تقوم بنفس مريد التشبيه إلا بعد أن يتأمل ويتعمل.

ب- أن يندر حضور صورة المشبه به في الذهن عند حضور صورة المشبه لبعد التناسب بين الصورتين، وعدم التجانس بينهما كما في تشبيه القمر بالعرجون في قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩][1]

فصورة العرجون في ذاتها غير نادرة الحضور في الذهن ولكنها تندر عند استحضار صورة «القمر» للبون الشاسع بين الصورتين فإن القمر مسكنه في السماء، والعرجون في الأرض. ، والقمر من فصيلة الكواكب، والعرجون من قبيل النباتات، والقمر مثال العلو والهداية، والعرجون شيء تافه حقير لا تكاد تظهر له فائدة فشتان ما بين الصورتين، وناء ما بين الطرفين وكقول الشاعر:

ولازوردية تزهو بزرقتها ... بين الرياض على حمر اليواقيت

كأنها فوق قامات ضعفن بها ... أوائل النار في أطراف كبريت[2]

---

(١) هو عذق النخل إذا يبس.

(٢) لازوردية بكسر الزاي وفتح الواو وسكون الراء صفة محذوف أي رب أزهار من البنفسج لازوردية نسبة إلى الحجر المسمى باللازورد لكونها على لونه فهي نسبة تشبيهية وتزهو من الزهو وهو الكبر، ونسبة التكبر إلى البنفسج تجوز، وحمر اليواقيت عن إضافة الصفة للموصوف أي رب أزهار من البنفسج لازوردية نسبة إلى الحجر المسمى باللازورد استعارة أراد بها الأزهار الحمر لمشابهة الأزهار لها وهو المناسب للبنفسج بدليل قوله «بين الرياض».

كان المناسب للشاعر أن يشبه صورة أزهار البنفسج وهى على سيقانها بما يناسبها من الأزهار إذ هو الذى يتبادر إلى الذهن عند استحضار صورة البنفسج، ولكنه شبهها بصورة النار فى أطراف الكبريت أول شبوبها ووجه الشبه: الهيئة الحاصلة من تعلق أجرام صغيرة لطيفة ذات لون خاص بجرم دقيق يخالفها لونًا فصورة النار فى أطراف الكبريت غير نادر الحضور فى الذ هن لأنها فى متناول الناس، واقعة بين أيديهم وأرجلهم، لكنها تندر عن حضور صورة البنفسج وهو على سيقانه لما بينهما من عد م التجانس وبعد الموطن -فذاك زهر ندى لطيف، وهذا لهب حار عنيف، وذاك يسكن الخمائل. وهذا يستوطن المنازل فبعد ما بين الطرفين.

جـ- أن يندر حضور المشبه به فى الذهن مطلقًا أى سواء حضرت صورة المشبه فى الذهن أولا وذلك لأمور منها:

١- أن يكون ا لمشبه به وهميًّا أي من اختراع الوهم كما فى تشبيه النصال المسنونة الزرق بأنياب الأغوال فى قول الشاعر السابق فإن أنياب الأغوال مما لا وجود لها إلا فى الوهم.

٢- أن يكون المشبه به خياليًّا أى من نسيج الخيال كصورة أعلام من ياقوت، منشورة على رماح من زبرجد فى قول الشاعر المتقدم، إن هذه الصورة وما شاكلها من الهيئات المركبة لا وجود لها فى غير الخيال.

٣- أن يندر تكرر صورة المشبه به على الحس كصورة المرآة فى كف الأشل فقد ينقضى عمر الإنسان ولا يرى مرآة فى كف إنسان أشل.

تنبيه:

إنما كانت كثرة حضور صورة المشبه به فى الذهن سببًا فى ظهور وجه الشبه، وندرة حضور صورته سببًا فى خفاء الوجه لأن وجه الشبه «كما علمت» مشترك بين الطرفين، قائم بهما، فتصوره فيهما موقوف على تصورهما فإذا كان المشبه به كثير الحضور فى الذ هن، أو نادر الحضور فيه لزم أن يكون وجه الشبه أيضًا كثير الحضور أو نادرًا تبعًا له، ومن هنا كان وضوحه أو خفاؤه.

تمرين

١ - عرف وجه الشبه: ثم إيت بمثال يكون أحد الطرفين فيه حسيّاً والوجه الآخر عقليّاً وبآخر يكون الوجه في أحد الطرفين تخيليّاً.

٢ - بين وجه الشبه ونوع التشبيه باعتبار هذا الوجه فيما يأتي:

- لفظ كالسحر وخلق كالعطر.

٢ - له صوت كرنين الأوتار.

٣ - التقى كالمصباح يضيء في الظلام.

٤ - وما المرء إلا كالشهاب وصوته ... يوافي تمام الشهر ثم يغيب

٥ - محمد كأبيه شجاعة وإيمانًا وكرمًا.

٦ - له قول يخترق القلوب كالسهم.

٧ - مهفهف وجنتاه ... كالخمر لونًا وطعمًا

٨ - طلق شديد البأس راحته ... كالبحر فيه النفع والضرر

٩ - هذا أبو الهيجاء في الهيجاء ... كالسيف في الرونق والمضاء

١٠ - وقد لاح في الصبح الثريا كما ترى ... كعنقود ملاحية حين نورا[1]

١١ - كأنك شمس والنجوم كواكب ... إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

١٢ - شبيه البدر في الحسن وفي بعد المنال.

١٣ - السفرجل كالبرتقال في لونه، وشكله، وحجمه.

١٤ - أنت كالمصباح في ضوئه وهدايته.

١٥ - النساء حبائل الشيطان.

(١) الثريا طائفة من النجوم متقاربة على شكل خاص «وملاحية» بضم الميم وتشديد اللام عنب أبيض في حبّه طول وتخفيف اللام فيه أكثر والإضافة بيانية، و«نور» ظهر نوره، أي تفتح زهره.

كأن صغرى وكبرى من فقاقعها حصباء در على أرض من الذهب[1]

جواب التمرين الثانى

الرقم	وجه الشبه	نوع التشبيه
١	هو فى المثال الأول التأثير وفى الثانى حسن الرائحة.	تحقيقى فى المثال الأول تخييلى فى الثانى وهو واحد عقلى فى المثال الأول حسى فى الثانى وهو غير تمثيل لعدم تركيب الوجه، ومجمل لعدم التصريح به وقريب لظهوره.
٢	جمال النغم.	تحقيقى واحد حسى غير تمثيل مجمل قريب.
٣	الإضاءة فى الظلام.	تخيلى واحد حسى غير تمثيل مجمل قريب.
٤	وجود يعقبه فناء	تحقيقى مركب عقلى تمثيل مجمل غريب.
٥	الشجاعة والإيمان والكرم	تحقيقى متعدد عقلى غير تمثيل مفصل غريب.
٦	النفاذ	تخييلى واحد عقلى غير تمثيل ومجمل قريب.
٧	اللون والطعم	تحقيقى فى اللون تخييلى فى الطعم وهو متعدد حسى غير تمثيل ومفصل غريب.
٨	الانتفاع والضرر	تحقيقى متعدد عقلى غير تمثيل مجمل غريب.
٩	الرونق والمضاء	تحقيقى متعدد حسى فى الروفق عقلى فى المضاء غير تمثيل مفصل غريب
١٠	هيئة التئام الصور البيض الصغيرة فى المراى المتقاربة على شكل خاص	تحقيقى مركب حسى تمثيل مجمل غريب
١١	هيئة إخفاء الصغير بجانب الكبير	تحقيقى مركب عقلى تمثيل مجمل غريب.
١٢	الحسن وبعد المنال	تحقيقى متعدد حسى فى الحسن عقلى بعد المنال غير تمثيل مفصل غريب.
١٣	اللون والشكل والمقدار	تحقيقى متعدد حسى غير تمثيل مفصل قريب.

(١) «الفقائيع» هى ما يطفو على وجه الماء كالبرد ومفرده فقاعة على أنة زنة «والحصباء» الحصا.

(تابع) جواب السؤال الثانى

الرقم	وجه الشبه	نوع التشبيه
١٤	الضوء والهداية	تخييلى فى الضوء عقلى فى الهداية غير تمثيل مفصل قريب.
١٥	الاصطياد بالإغواء	تحقيقى واحد عقلى غير تمثيل مجمل قريب. تحقيقى واحد عقلى غير تمثيل مجمل قريب.
١٦	الهيئة الحاصلة من ظهور صور بيض على رقعة صفراء	تحقيقى مركب حسى تمثيل مجمل غريب.

تمرين يطلب جوابه على قياس ما سبق

كلام ذى الفهاهة كسكوته، وإشارة الفصيح كعبارته؛ قال الشاعر:

الشمس من مشرقها قد بدت ... مشرقة ليس لها حاجب
كأنها بوتقة أحميت ... يجول فيها ذهب ذائب

الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر. قد بدت هند قمراً، وتضوعت مسكًا، وخطرت رمحاً. فلان كالبحر لا يعكره ولوغ الكلاب، إنك كالبحر فى مده وجزره، وكالدهر فى إقباله وإدباره، الأمانى حلم اليقظان، حجة كفلق الصبح. مرآة الغريبة كالشمس مستديرة وصفاء النار في أطراف الكبريت كالبنفسج قال الشاعر:

نرجس أغن كأن إبرة روقه ... قلم أصاب من الدواة مداداها
وأرض كأخلاق الكريم قطعتها ... وقد كحل الليل السماك فأبصرا

●●●

مبحث الأداة

الأداة لفظ يدل على معنى التشبيه كالكاف تقول: محمد كالبدر، فالكاف فى قولك (كالبدر) أداة تشبيه لأنها دالة عليه. ومثل الكاف ما يفيد معنى المشابهة والمماثلة كلفظ (مثل وشبه) وكأسماء الفاعل المشتقة مما يفيد معنى التشبية كمماثل، ومشابه، ومحاك، ومضاه تقول: هند مثل الغزال، ومحمد شبه الغمام- وتقول: هى مماثلة الغزال، وهو مشابه الغمام، ومحاكى الغيث، ومضاهى النجم بالإضافة فى جميعها.

والأصل فى (الكاف) وما شاكلها من الأسماء المضافة لما بعدها (كما رأيت) أن يليها المشبه به لفظا (كما مثلنا) أو تقديراً كقوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم﴾ [البقرة: ١٩] بعد قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧] الآية فالمشبه به فى الآية قد ولى الكاف تقديراً والأصل: أو كمثل ذوى صيب- أما تقدير (ذوى) فلأن الضمائر الثلاثة فى ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم﴾ [البقرة: ١٩] للمنافقين وهم ليسوا مذكورين فى الآية، فبقيت الضمائر بلا مرجع، ولا بد لها منه كما هو الشأن فيها- وأما تقدير (مثل) فلأجل أن يشاكل المعطوف عليه وهو قوله: ﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧]، وقد يليها غير المشبه به إذا كان المشبه به مركبا أى هيئة منتزعة من أمور لم يعبر عنها بمفرد دال عليها[1] لكن بشرط أن يذكر بعد الكاف ونحوها بعض هذه الأمور التى انتزعت عنها تلك الهيئة كما فى قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾ فليس المراد تشبيه حال الدنيا بالماء حتى يكون هذا المثال مما ولى فيه المشبة به كاف التشبيه بل المراد تشبيه حال الدنيا فى إقبالها على الإنسان. واغتراره بابتسامتها الخادعة، وطلائها الكاذب، وما يعقب ذلك من زوال نعيمها، وإمحاء بهجتها ونضارتها بحال النبات، يغذية الماء فتنضر خضرته، وتبتسم زهرته ثم لا يلبث أن تنطفىء هذه النضرة، وتذبل هذه الزهرة، ويتحول النبات

---

(١) احترز به عما عبر فيه عن الهيئة بمفرد كما فى آية اليهود فقد عبر فيها عن المشبه به المركب بلفظ «مثل» قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ﴾ .إلخ.

النضر البهيج إلى هشيم تذروه عواصف الرياح كأن لم يكن، ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من حسن وبهجة وهناء، يعقبه تلف وشقاء وفناء فأنت ترى أن المشبه به لم يل الكاف؛ لأنه (الهيئة الحاصلة) لكن وليها شيء يتعلق به هو (الماء) إذ هو أحد أجزاء الهيئة المذكورة.

والأصل في (كأن) الدالة على التشبيه أن يليها المشبة (عكس الكاف وأخواتها) تقول: (كأن عنترة أسد) فعنترة هو المشبه، وقد ولي (كأن) ويقول الله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ فضمير النسوة هو المشبه وما بعده هو المشبه به.

ومثل (كأن) في هذا الحكم ما له معمولان من الأفعال أو الأصناف المفيدة لمعنى التشبيه تقول: ماثل أويماثل خالد أسدًا، وشابه أو يشابه علي حاتم، وحاكي أو يحاكي شوقي أبا الطيب فالذي ولي الأفعال في هذه المثل هو (المشبه)- وتقول: خالد ماثل أو يماثل الأسد وعلي شابه أو يشابه حاتمًا وشوقي حاكي أو يحاكي أبا الطيب وتقول: خالد مماثل أسدًا، وعلي مشابه أو مشبه حاتمًا، وشوقي محاك أو مضاه أبا الطيب، فالضمائر المستكنة في هذه الأفعال أو الأوصاف هي (المشبهات) وقد وليتها. لأنها فواعل والفاعل مرتبته بعد الفعل- كما عرفته في محله.

تقسيم التشبيه باعتبار الأداة:

ينقسم التشبيه بهذا الاعتبار إلى قسمين. مرسل، ومؤكد.

فالمرسل: ما ذكرت فيه الأداة لفظًا، أو تقديرًا فمثال ما ذكرت فيه الأداة لفظًا قولك: سجعه كسجع الحمام، ووشيه كوشي الطاووس، ومثال ما قدرت فيه الأداة قولك: (سجعه سجع الحمام) (ووشيه وشي الطاووس) إذا قدرت في نفسك: أنه على معنى الكاف، وأن المشبه مثل المشبه به لا عينه.

والمؤكد: ما تركت فيه الأداة لفظًا وتقديرًا أي ترك التصريح بها، وتتناسى تقديرها في نظم الكلام أيضًا إشعارًا بأن المشبه عين المشبه به مبالغة كما تقول في المثالين السابقين: سجعه سجع الحمام، ووشيه وشي الطاووس فتترك ذكر الكاف، ولا تقدرها في نفسك ادعاء منك أن المشبه هو المشبه به نفسه. لا شيء سواه مبالغة- ومثله قوله تعالى: «وهي تمر مر السحاب» يريد- وهو أعلم بمراده-: أن الجبال يوم القيامة بعد

النفخة الأولى- تسير في الهواء كالسحاب تسوقه الرياح فهو تشبيه مؤكد تناسى فيه تقدير الكاف ليكون المعنى. أن مرور الجبال يوم القيامة هو مرور السحاب بعينه وهذا المعنى هو ما ينبغي أن يفهم تصويراً للحالة التى ستكون، ولو فرض تقدير الكاف فى الكلام لكان تشبيهاً مرسلاً.

إذا علمت هذا علمت أن كل مثال تركت فيه الأداة يحتمل أن يكون من قبيل المؤكد إن لم تقدر فيه الأداة وأن يكون من قبيل المرسل إن قدرت الأداة مالم تقم قرينة على المراد.

ومن التشبيه المؤكد: ما أضيف فيه المشبه به إلى المشبه كما فى قول الشريف الرضى يستمطر الرحمة على قبور الموتى:

أوصى النسيم بواديكم ولا برحت ... حوامل المزن فى أجداثكم تضع[(١)]

يقول: أقام النسيم بواديكم، تهب عليه نفحاته، ولا فتئت غوادى السحب ترطب ثرى قبوركم، والشاهد فى قوله «حوامل المزن» يريد: أن المزن الممتلئة بالماء كالحوامل من الحيوان فقد شبه المزن بالحوامل بجامع المنفعة فى« كل»، ثم تُركت أداة التشبيه وتنوسيت، ثم أضيف المشبه به إلى الشبه «كما ترى» وفى التعبير بقوله (تضع) مع قوله: «حوامل المزن» براعة بارعة فى مراعاة التناسب- ومثله قول الشاعر يصف اعتدال الريح وقت الأصيل، أى وقت اصفرار أشعة الشمس حينما تميل إلى الغروب:

والريح تعبث بالغصون وقد جرى ... ذهب الأصيل على لجين الماء[(٢)]

شبه الشاعر الماء بالفضة فى النقاء والصفاء ثم أضاف المشبه به إلى المشبه بعد حذف الأداة وتناسيها فى نظم الكلام:

وسمى التشبيه (مؤكدًا) لأنه أكد وقرر بدعوى اتحاد الطرفين وأن المشبه هو المشبه به، لا يتميز أحدهما عن الآخر فى شىء.

---

(١) «المزن» أراد بها السحاب، والأجداث جمع جدث بفتح الجيم والدال وهو «القبر».

(٢) الأصيل هو الوقت بين العصر والغروب ويعد من أطيب الأوقات و «ذهبه» صفرته بسبب شعاع الشمس فيه وإطلاق الذهب عليه «استعارة» و «اللجين» الفضة وهو مضاف إلى الماء من إضافة المشبه به إلى المشبه.

مبحث أغراض التشبيه:

أغراض التشبيه . هى البواعث التى تحمل المتكلم على أن يعقد شبها بين شيئين وهى على ضربين :

١ - ما يعود على المشبه وهو الأكثر .

١ - ما يعود على المشبه به .

الأغراض التى تعود على المشبه وهى سبعة:

الأول بيان حال المشبه إذا كان المخاطب يجهل حال ذلك المشبه ويريد أن يعرف حال أى وصفه الذى هو عليه . فيلحق بمشبه به معروف لدى المخاطب بيانًا لهذه الحال كقول امرئ القيس السابق :

كأن قلوب الطير رطبًا ويابسًا   لدى وكرها العناب والحشف البالى

شبه الرطب من قلوب الطير ، واليابس منها بالعناب ، والحشف البالى بيانًا لما فيها من الأوصاف كالشكل ، والمقدار . واللون - وكما فى تشبيه ثوب بأخر فى بياضه أو سواده . أو نحو ذلك .

وينبغى لتحقيق هذا الغرض أن يكون المشبه به معروفًا عند المخاطب بوجه الشبه لأن الغرض تعريف حال المشبه المجهول للمخاطب فلو لم يكن المشبه به معروفا لدى المخاطب من قبل لزم تعريف المجهول بالمجهول .

وليس بلازم هنا أن يكون المشبه به أتم وأقوى فى وجه الشبه من المشبه وإن كان الشأن فيه ذلك لأن المخاطب إنما يجهل حال المشبه ، ويريد مجرد تصورها وهذا يكفى فيه أن يكون المشبه به معروفًا بوجه الشبه عند المخاطب فإذا قيل : مالون ثوبك الذى اشتريته؟ فقلت : كهذا الثوب فى سواده مثلاً فقد تم الغرض ؛ ولا يتوقف على كون هذا الثوب أتم من الثوب المشترى فى سواده . لأن ذلك زائد على المطلوب .

الثانى: بيان مقدار حال المشبه من القوة والضعف وذلك إذا كان المخاطب يعلم حال المشبه ويجهل مقدار هذه الحال ويريد الوقوف على مقدارها ، فيلحق حينئذ بشىء يعلم المخاطب مقدار حاله كقول الشاعر :

فيها اثنتان وأربعون حلوبة سوداً كخافية الغراب الأسحم(١)

شبه النياق السود بخافية الغراب فى شدة السواد وبهذا التشبيه اتضحت حال المشبه واستقر فى الذهن مقدار سواده، وأنه بيِّن الحلكة الشديدة- وكتشبيه صوت ضعيف بالهمس، أو قوى بالرعد بيانا لمقدار ضعف هذا الصوت أو قوته.

ولتحقيق هذا الغرض ينبغى أن يكون المشبه به أعرف وأشهر بوجه الشبه من المشبه لدى المخاطب كما فى الأمثلة المذكورة.

غير أنه يجب هنا أن يكون المشبه به مساويًا للمشبه فى وجه الشبه لا أكثر ولا أقل إذ لو كان المشبه به أتم فى وجه الشبه، أو أنقص منه لم يتعين المقدار، فلم يتم الغرض من التشبيه كما فى تشبيه شراب بالثلج فى شدة البرودة، أو بالنار فى شدة الحرارة- اللهم إلا إذا قصدت المبالغة.

الثالث: بيان إمكان المشبه أى بيان أن المشبه أمر ممكن الوجود وذلك إذا كان أمرًا غريبًا شأنه أن ينازع فيه؛ ويدعى امتناعه، فيمثل حينئذ بشىء مسلم الوقوع ليكون دليلاً على إمكان وجوده كما فى قول أبى الطيب من قصيدة يرثى بها والدة سيف الدولة:

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال

ادعى الشاعر أن الممدوح من السمو والرفعة بحيث فاق الجنس البشرى الذى هو أحد أفراده، وصار كأنه جنس آخر، ولما كان هذا المعنى «فى بادى الرأى» غريبًا فى بدايته، لا تقبله العقول لاستبعاد أن يخرج الشىء عن جنسه أراد أن يؤيده بما لا نزاع فيه ليتبين إمكانه، فشبهه بشىء أقرته العقول، وآمنت به، وهو «المسك» فإنه خرج عن أصله، وتحول إلى جنس آخر لما فيه من معنًى ليس فى سائر الدماء أى وإذا جاز أن يفوق الشىء أصله لميزة فيه فليس ببعيد أن يفوق الممدوح جنسه لما فيه من جليل الصفات- ومن هذا البيان يتبين أمران:

أحدهما: أن قوله: (فإن المسك إلخ) لم يؤت به جوابًا للشرط فى المصراع الأول وإنما سيق مساق الدليل على هذا الجواب وكأنه يقول: فإن تفق الأنام وأنت منهم فلا

(١) «الحلوبة» الناقة ذات اللبن الغزير والخافية «ريش» فى الطائر يختفى إذا ضم جناحية «والأسحم» شديد السواد.

(المسك) فقد حذف الجواب وهو قوله: (فلا بدع ولا بدع ولا غرابة لأن لك نظيراً هو غرابة). واستغنى عنه بهذا الدليل.

ثانيهما: أن التشبيه فى (البيت) ليس صريحًا بل دل عليه الكلام ضمنًا، ذلك أن المعنى الصريح لهذا الكلام، هو أنه لا بدع ولا عجب أن يخرج الممدوح عن بنى جنسه لمعنى فيه ليس فيهم لأن المسك بعض دم الغزال، وهو (مع ذلك) لا يعد من الدماء لما اختص به من معنى كريم ليس فيها ومفهوم هذا. أن حال الممدوح شبيهة بحال المسك. وبهذا التشبيه الضمنى تبين أن المشبه أمر ممكن الوجود.

ولتحقيق هذا الغرض ينبغى أن يكون المشبه به أعرف وأشهر بوجه الشبه من المشبه كالذى قبله.

وليس بلازم هنا أن يكون المشبه به أتم من المشبه فى وجه الشبه لأن المطلوب فيه إثبات نظير المشبه ليفيد عدم استحالته. وهذا يكفى فيه مجرد وجود وجه الشبه به خروجًا ولا يتوقف الغرض على أن يكون الوجه فيه أتم منه فى المشبه فإذا قلت لإنسان: إنك فى خروجك عن جنسك كالمسك تم الغرض بمجرد العلم بخروج المسك عن جنسه وإن لم يكن المسك أتم منه فى هذا الخروج، وإن كان الواقع أن المسك أتم خروجًا عن جنسه من الممدوح.

الرابع: تقرير حال المشبه، وتمكينها فى نفس السامع بإبرازها فى صورة هى فيها أوضح وأقوى وذلك فيما إذا كان المشبه مما يدرك بالحس إذ التمثيل بالمحسوس يفيد زيادة قوة وتمكين. كما فى قول الشاعر:

إن القلوب إذا تنافر ودها ... مثل الزجاجة كسرها لا يُجْبَرُ

شبه الشاعر القلوب المتنافرة بالزجاجة المتصدعة بجامع تعذر العودة إلى الحالة الأولى ولما كان تنافر القلوب، وتعذر عودتها إلى التواصل كما كانت من الأمور المعقولة التى لا تطمئن إليها النفس أيما اطمئنان أراد أن يبرز هذا المعنى فى شىء يُرى بالعين لتسكن إليه النفس. وتؤمن به إيمانًا قويًا، فشبه بالزجاجة إذا تصدعت، ومثل هذا التشبيه تجد فيه من تقرير الغرض، وتمكنه فى الذهن مالا تجده فى غيره، لأن الجزم بالأمور الحسية أتم منه بالأمور العقلية وليس من شك فى أن التئام الزجاجة بعد صدعها

من الأمور المقطوع بتعذرها لتقررها فى عالم الحس ألا ترى لو وصفت يومًا بالطول، فقلت: يوم كأطول ما يتوهم، أو كأنه لا آخر له أكنت تحس من الأنس والأريحية بمثل ما تجده فى قول الشاعر:

ويوم كظل الرُّمح قصــر طوله ... دم الزق عنا واصطكاك المزاهر[1]

وهل تراك لو وصفته بالقصر فقلت: هو كالقصر ما يتصور، أو كلمح البصر أكنت ترى فيه من تجسيم المعنى وتشخيصه ما تراه فى قولهم: أيام كأباهيم القطا[2] أو فى قول الشاعر:

ظللنا عند باب أبى نعـيـم ... بيـوم مـثل سـالفـة الذباب[3]

ذلك أن اطمئنان القلب إلى المحسوس أقوى وأتم (كما عرفت) لهذا يقول الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وإن شئت المثل الأعلى لهذا النوع فعليك (بكتاب الله) فى غير موضع منه، قال تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ﴾ [البقرة: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور: ٣٩]- إلى غير ذلك من إبراز المعانى المحجوبة عن العيان فى معارض الحس والمشاهدة ليكون ذلك أمكن فى النفس، فيقوى إيمانها بالمعنى، واطمئنانها إليه.

وهذا الغرض لا يتحقق إلا بالأمرين جميعًا- أن يكون المشبه به أعرف بوجه الشبه لدى المخاطب كما سبق وأن يكون أتم وأقوى فى وجه الشبه من المشبه، لأن النفس (كما قلنا) إلى الأتم الأقوى أميل إلي غيره فإذا قلت مثلا: إن القلوب المتنافرة يتعذر

---

(١) المراد بدم الزق الخمر وهو على تقدير مضاف أى شرب دم الزق والزق وعاء الخمر و «عنا» الحال من دم الزق أى حالة كونه صار عناء والمزاهر جمع مزهر بكسر الميم وهو العود الموسيقى، واصطكاكها ضرب بعضها ببعض.

(٢) الأباهيم جمع إبهام بكسر الهمزة وهو أكبر أصابع اليد والرجل والقطا جمع قطاة وهى طائر سريع الحركة.

(٣) سالفة الذباب: مقدم أعناقه.

عودتها إلى التواصل صح أن يتوهم إمكان عودتها إليه فإذا مثلت هذا المعنى بالزجاجة المتصدعة التى لا يتوهم فيها مطلقًا أن تعود إلى الالتئام ثانيًا تمكن المعنى فى النفس وامنت به إيمانها بالمعنى الممثل به.

الخامس: تزيين المشبه للسامع أى تصويره له بصورة جميلة بأن يلحق بمشبه به قد استقر فى النفس حسنه وحبه ليتخيله السامع كذلك فيرغب فيه كما فى قول الشاعر:

سوداء واضحة الجبين ... كمقلة الظبى الغرير(١)

شبه الوجه الأسود بمقلة الظبى فى حسن سواده واستدارته تزيينا له عند السامع - وكما فى تشبيه صوت حسن بصوت داود، أو جلد ناعم بالحرير أو نكهة فم بالعطر أو نحو ذلك.

السادس: تقبيح المشبه للسامع أى تصويره بصورة قبيحة بأن يلحق بمشبه به تنفر منه النفس ليتخيله السامع كذلك، فينفر منه كما فى قول الشاعر:

وإذا أشار محدثًا فكأنه ... قرد يقهقه أو عجوز تلطم

شبه الشاعر إنسانًا يشير فى حديثه بقرد يضحك، أو عجوز تلطم خديها فى بشاعة المنظر وقبحه تشويها فى نظر السامع.

وإذا كان المقصود تزيين المشبه أو تقبيحه بإلحاقه بمشبه به حسن أو قبيح وجب لتحقيق هذين الغرضين أن يكون المشبه به أتم من المشبه فى وجه الشبه ولا شك أن فى سواد مقلة الظبى من الحسن ما ليس فى وجه أسود. وأن فيما تراه من قباحة القرد والعجوز المذكورين مالا تجده فى إنسان يشير محدثًا، مهما قبح منظره، وساء خلقه.

السابع: استطراف المشبه أى جعله طريفًا بديعًا فى خيال السامع وذلك يكون بأمرين:

الأول: أن يبرز فى صورة ممتنعة الوجود عادة كما فى تشبيه فحم سرت فيه النار ببحر من المسك موجه الذهب فإن صورة البحر المذكور عزيزة الوجود، «كما ترى» فإذا أبرز المشبه الذى لا يؤبه له لتفاهته «كالفحم المذكور» فى صورة شىء نفيس ممتنعة «كالصورة المذكورة للبحر» تخيله السامع طريفًا بديعًا.

(١) «الغرير» الحسن الشكل.

الثاني: أن يشبه بشىء يندر حضوره فى الذهن عند حضور المشبه لما بينهما من بعد المناسبة كقول عدى بن الرقاع، يصف قرن الغزال:

تزجى أغن كــأن إبرة روقــه ... قلم أصــاب مـن الدواة مـدادها[1]

فصورة القلم عليه أثر المداد قلما تخطر بالبال عند تصور قرن الغزال فقد أراد الشاعر عناقًا بين متباعدين، وتآلفًا بين مختلفين ومن هنا جاء الاستطراف- ومثله ما تقدم له فى تشبيه أزهار البنفسج فوق سيقانها بالنار فى أطراف الكبريت، حيث أراك شبهًا لنبات غض وأوراق رطبة بلهب نار فى جسم استولى عليه اليبس ومبنى الطباع على أن الشىء إذا ظهر فى مكان لم يعهد ظهوره فيه كانت صبابة النفس به أكثر، وكان الشغف به أكثر، والميل إليه أجدر.

ولا يشترط لتحقيق هذا الغرض ما اشترط فى غيره، من كون المشبه به أشهر وأتم فى وجه الشبه من المشبه بل كلما كان المشبه به أندر وأخفى كان التشبيه لتأدية هذا الغرض أتم وأوفى.

الأغراض التى تعود على المشبه وهى اثنان:

الأول: إيهام المتكلم المخاطب أن المشبه أتم وأقوى فى وجه الشبه من المشبه به، وذلك كما فى التشبيه المقلوب أو المعكوس. وهو أن يجعل فيه الناقص مشبها به قصداً إلى ادعاء أنه أكمل من المشبه به الأصلى مبالغة كقول محمد بن وهيب، يمدح المأمون الخليفة العباسى:

وبدا الصــبــاح كــأن غــرته ... وجـه الخليـفـة حين يمتدح[2]

يريد الشاعر أن يشبه وجه الخليفة بغر الصباح فى الضياء والإشراق جاعلاً وجه الخليفة مشبهًا به، وغرة الصباح مشبهًا قاصدًا إيهام أن وجه الخليفة أتم وأكمل فى الإشراق من غرة الصبح مبالغة.

---

(١) «تزجى» تسوق و «الأغن» غزال فى صوته غنة، و «روقه» قرنه و«إبرة» طرف القرن و «المداد» الحبر و«الدواة» المحبرة.

(٢) المراد بالغرة هنا الصباح فالإضافة بيانية وأصل الغرة بياض فى جبهة الفرس فوق الدرهم وقد استعير للإشراق.

وإنما قيد الشاعر إشراق وجه الخليفة بوقت الامتداح ليدل على أمرين:

أحدهما: اتصاف الممدوح بحسن قبوله للمدح الدال على تقديره للمادح وتعظيمه له ولو كان غير قابل للمدح لعبس فى وجهه، وتجهم له.

ثانيهما: اتصافه بالكرم إذ الكريم هو الذى يتهلل وجهه، وتنبسط أساريره للمدح ولو كان لئيما ضنينا لقطب جبينه وأشاح بوجهه- ونظيره قول البحترى يصف بركة المتوكل:

كأنها حين لجت فى تدفقها يد الخليفة لما سال واديها

فقد أراد البحترى أن يوهم أن يد الخليفة أقوى تدفقًا بالعطاء من البركة بالماء فعكس التشبيه كما ترى.

الثانى: بيان اهتمام المتكلم بالمشبه به، كأن يشبه الجائع وجه حبيبته بالرغيف فى الاستدارة والاستلذاذ به ليدل بهذا التشبيه على اهتمامه بالرغيف، وأنه لشدة شغفه لا يغيب عن خاطره ويسمى هذا المشبه (إظهار المطلوب)، ولا بد فى مثل هذا من قرينة تدل قصد المتكلم والقرينة هنا عدوله عن تشبيه الوجه بما يناسبه إلى التشبيه بغير المناسب كما فى المثال المذكور.

تقسيم التشبيه باعتبار الغرض:

ينقسم التشبيه بهذا الاعتبار إلى قسمين- مقبول، ومردود- وهاكهما:

فالمقبول: ما كان وافيًا بالغرض الذى سيق لأجله التشبيه.

فإن كان الغرض بيان حال المشبه وجب أن يكون المشبه به معروفًا بوجه الشبه عند المخاطب من قبل لئلا يؤدى إلى التشبيه بالمجهول- وإن كان الغرض بيان مقداره وجب أن يكون المشبه به على حد المشبه فى وجه الشبه لا أقل ولا أكثر- وإن كان الغرض بيان إمكانه وجب أن يكون وجه الشبه مسلم الوقوع فى المشبه به- وإن كان الغرض تقريره وجب أن يكون المشبه به أتم فى وجه الشبه من المشبه- وإن كان الغرض تزيينه أو تقبيحه، وجب أن يكون المشبه به أتم فى وجه الشبه من المشبه أيضًا- وإن كان الغرض

استطرافه وجب أن يكون المشبه به غريبًا فى بابه، أو بعيد التصور وقد تقدمت أمثلة كل هذا، فلا داعى لإعادتها.

والمردود: ما لم يكن وافيًا بالغرض المسوق له التشبيه.

ففى بيان الحال: أن يكون المشبه به مجهول الصفة للمخاطب، كأن تشبه له ثوبًا فى لونه بآخر لا يعرف لونه أصلاً.

وفى بيان المقدار: أن يكون المشبه به أقل أو أكثر من المشبه فى وجه الشبه كأن تشبه له ثوبًا أبيض بآخر أقل أو أكثر منه بياضًا.

وفى بيان الإمكان: أن يكون وجه الشبه غير مسلَّم الوجود فى المشبه كأن أشبه رجلاً فاق جنسه لميزه فيه بآخر جنسه كذلك.

وفى التقرير: ألا يكون المشبه به أتم فى وجه الشبه من المشبه كأن تشبه من لم يحصل من سعيه على فائدة بمن ينقش على حجر، أو بساع آخر لم يحصل من سعيه على نتيجة.

وفى تزيينه أو تقبيحه: ألا يكون المشبه به أتم فى وجه الشبه من المشبه كأن تشبه وجهًا أسود بالفحم مريدًا تقبيحه، أو أن تشبه إنسانًا يتكلم بحسناء تبتسم مريدًا تحسينه.

وفى الاستطراف: ألا يكون المشبه به غريبًا فى بابه أو بعيد التصور فى الذهن كأن تشبه فحمًا تتخلله نار بقطع من حديد فى أثنائها لهب، أو تشبه أزهار البنفسج بما يماثلها من الأزهار فليس المشبه به غريبًا فى الأول ولا بعيد التصور فى الثانى.

تمرين

١- ما هى أداة التشبيه مثل لنوعين منها فى جملتين من عندك، مبينا أركان التشبيه فيهما.

٢- اذكر الفرق بين (الكاف وكأن) ومثل لما تقول من إنشائك.

٣- هل قوله تعالى ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ الآية من قبيل ما ولى فيه الكاف المشبه فيه؟ ومن أى قبيل قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ﴾. الآية. ونحو قولهم: محمد يماثل الأسد؟ وضح ما تقول وضوحًا تامًا.

٤- عرف كلا من التشبيه المرسل والمؤكد، مع بيان نوع التشبيه فى قولهم: صوته مزمار داود مع بيان علة التسمية فى كليهما.

٥- متى يكون التشبيه لبيان الإمكان وبم يتحقق؟ مثل لما تقول.

٦- بم يكون التشبيه مردودًا غير مقبول بين ذلك فى مثال من عندك.

٧- بين أركان التشبيه فى الأبيات الآتية:

١- والشمس بين الأرائك قد حكت	سيفًا صقيلاً فى يد رعشاء
٢- كأن على قلبى قطاة تذكرت	على ظما وِردًا فهزت جناحها[(١)]
٣- يجود بالوعد ولكنه	يدهن من قارورة فارغه
٤- من يهن يسهل الهوان عليه	ما لجرح بميت إيلام
٥- وكأن الجو ميدان وغى	رفعت فيه المذاكى رهجًا[(٢)]
٦- ليس الحجاب بمقصٍ عنك لى أملاً	إن السماء ترجى حين تحتجب
٧- جمال الوجه مع قبح النفوس	كقنديل على قبر المجوسى
٨- وإنما الحقد كمثل النار	كامنة فى باطن الأحجار
٩- وما كمد الحُسَّاد شيئًا قصدته	ولكنه من يزحم البحر يغرق
١٠- هو السيف إن لاينته لان متنه	وحداه إن خاشنته خشنان

٨- بين طرفى التشبيه ووجهه ونوعه باعتبار الأداة، والغرض منه فيما يأتى:

١- الخل كالماء يبدى لى ضمائره	مع الصفاء ويخفيها مع الكدر
٢- وصبغ شقائق النعمان يحكى	يواقيتًا نظمن على اقتران[(٣)]
٣- كأن سواد الليل والفجر ضاحك	يلوح ويختفى أسود يتبسم
٤- أنا الذهب الإبريز مالى آفة	سوى نقص تمييز المعاند فى نقدى[(٤)]

---

(١) القطاة: طائر خفيف الحركة، والورد بكسر الواو: الإشراف على الماء.

(٢) «المذاكى» الخيل والرهج «بفتح الراء والهاء: الغبار.

(٣) الصبغ: اللون و «شقائق النعمان زهر أحمر يشوبه نقط سود و «اليواقيت» جمع ياقوت: جوهر نفيس صلب شفاف مختلف الألوان مفرده ياقوتة و«نظمن» بمعنى اجتمعن فى سلك واحد و«الاقتران» بمعنى المقارنة والمماثلة.

(٤) «الإبريز» الخالص، والآفة: العاهة.



٥- والنفس كالطفل إن تهمله شب على ... حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

٦- بعثوا الرعب فى قلوب الأعادى ... فكأن القتال قبل التلاقى

٧- كريشة فى مهب الريح ساقطة ... لا تستقر على حال من القلق

٨- وكأنما المريخ بين نجومه ... ياقوته فى لؤلؤ متبدد(١)

٩- وإن تكن تغلب الغلباء عنصرها ... فإن فى الخمر معنى ليس فى العنب

الجواب على السؤال السابع

رقم	المشبه	المشبه به	الأداة	وجه الشبه
١	الشمس مع قيدها	السيف مع قيده	حكت	سرعة ترديد البريق
٢	القلب الخافق	القطاة مع قيدها	كأن	شدة الاهتزاز
٣	الوعد الكاذب	القارورة الفارغة	محذوفة	عدم الانتفاع
٤	من يقبل الهوان	الميت	، ،	عدم التأثر
٥	الجو	الميدان مع قيده	كأن	هيئة الغبار مع الاصفرار
٦	حجاب الممدوح	حجاب السماء	محذوفة	تحقيق الرجاء
٧	جمال الوجه مع قيده	القنديل مع قيده	الكاف	مخالفة الظاهر للباطن
٨	الحقد	النار مع قيدها	الكاف	ظهور الأثر بالمعالجة
٩	المتكلم	البحر	محذوفة	بعد المنال
١٠	ضمير الغيبة	السيف	متروكة أو مقدرة	اختلاف الأثر باختلاف المؤثر

تمرين يطلب جوابه على قياس ما سبق

بيان أركان التشبيه فيما يأتى :

وكأن دجلة إذ تلاطم موجه ... ملك يعظم خيفة ويبجل(٢)

رضاك شباب لا يليه مشيب ... وسخطك داء لا يعيه طبيب

كأنك من كل النفوس مركب ... فأنت إلى كل النفوس حبيب

(١) المريخ: نجم، والمتبدد: المتفرق.
(٢) «دجلة» بفتح الدال وكسرها: نهر ببغداد.

إذا الثـــريا اعـــتــرضت عند طلوع الفــجـــر
حـــســبتـــهـــا لامـــعـــة ســـبـــيكة من ذهب(١)

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ذخراً يكون كصالح الأعمال

والنقع ليل سماء لا نجوم له إلا الأسنة والهندية البتر(٢)

ركبوا على سنن الوفا ودموعهم بحر وشدة شوقهم ملاح(٣)

وإنى جواد لم يحل لجامه ونصل يمان أغفلته الصياقل(٤)

***

---

(١) «السبيكة» قطعة من الذهب المذاب.

(٢) «النقع» الغبار و«الأسنة» جمع سنان وهو نصل الرمح و«الهندية» السيوف و« البتر» جمع أبتر وهو القاطع.

(٣) سنن الوفا: طريقه وهو مقصور «وفاء» و«الملاح» متعهد النهر.

(٤) الجواد الفرس تجود فى سيرها أى تسرع و«يحل» من التحلية وهى الزخرفة و «النصل» حد السيف، و«يمان» نسبة إلى اليمن أى من صنع أهلها و«الصياقل» هم الذين يجلون السيوف ويزيلون ما عليها من الصدأ.

الجواب عن السؤال الثامن

رقم	المشبه	المشبه به	وجه الشبه	نوع لانشبيه باعتبار الأداة	وجه الشبه
١	الخل	الماء	الإظهار عند الصفاء والإخفاء عند الكدر	مرسل لذكر الأداة وهى الكاف	تقرير حال المشبه
٢	هيئة ألوان شقائق النعمان المختلفة المنضم بعضها إلى بعض	هيئة اليواقيت المنظومة فى سلك واحد	الهيئة المركبة من ألوان مختلفة	مرسل لذكر الأداة وهى قوله (يحكى)	تحسين المشبه
٣	هيئة سواد الليل حال انشقاق الفجر	هيئة الرجل الأسود عندما يبتسم	الهيئة الحاصلة من سواد كثير يخالطة بياض قليل	مرسل لذكر الأداة وهى كان	بيان حال المشبه
٤	ضمير المتكلم	الذهب الأبريز	الخلوص مما يشين	مؤكد لحذف الأداة	بيان مقدار حال المشبه
٥	النفس	الطفل	متابعة ما ألف فى المبدأ	مرسل لذكر الأداة	تقرير حال المشبه
٦	الرعب	القتال	حصول الاضطراب	" " " "	بيان مقدار حال المشبه
٧	الرجل المقصود بالهجاء	الريشة فى مهب الرياح	عدم الاستقرار	" "	تقرير حال المشبه
٨	هيئة المريخ بين النجوم	هيئة الياقوتة بين اللؤلؤ المتفرق	الهنية الحاصلة من وجود شىء أحمر بين أشياء بيض مشرقة		بيان حال المشبه
٩	حال المدوحة	حال الخمر	فوقان الأصل	تشبيه ضمنى	بيان إمكان المشبه

تمرين يطلب جوابه على قياس ما سبق

بين أركان التشبيه ونوعه والغرض منه فيما يأتى :

وإن صخراً لتأتم الهداة به   كأنه علم فى رأسه نار

﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [الإنسان: ١٩]، ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ [النساء: ١٠]، هو كالفراشة، العلماء فى الأرض كالكواكب فى السماء، النحو فى الكلام كالملح فى الطعام، الحياة كسحابة الصيف، سكبت عيناى غيث الدموع.

تزدحم الناس على بابه   والمنهل العذب كثير الزحام

كأن المعلم بين التلاميذ ملك بين الرعية، المشتغل بما لاطائل تحته كالراقم على الهواء. نزل بساحتنا كأنه مطر الربيع ﴿وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾[المنافقون: ٤]. لئن أكُ أسد فالمسك لونى.

ظهور العدل يمحو كل شر   إذا جاء الصباح مضى الظلام
كأنك قائم فيهم خطيبًا   وكلهم قيام للصلاة
عدوى البليد إلى الجليد سريعة   والجمر يوضع فى الرماد فيخمد
والمستجير بعمرو عند كربته   كالمستجير من الرمضاء بالنار
والورد فى أعلى الغصون كأنه   ملك تحف به سراة جنوده
وانظر لنرجسه الجنى كأنه   طرف تنبه بعد طول هجوده
كأنما النهر صفحة كتبت   أسطرها والنسيم منشئها
هو البحر من أى النواحى أتيته   فلجته المعروف والجود ساحله
وحديقة غنَّاء تنتظم الندى   بفروعها كالدر فى الأسلاك

***

فصل فى بيان مراتب التشبيه:

للتشبيه مراتب ثلاث، تتفاوت بحسبها قوة وضعفًا، وهاك بيانها:

فالأولى: وهى عليا المراتب- ما ترك فيها ذكر الوجه والأداة جميعًا كما تقول: محمد أسد فهذا التشبيه يفيد من قوة المبالغة مالا يفيد غيره.

وجه ذلك: أنه مشتمل على معنى الاتحاد بين الطرفين من وجهين:



١- أن ترك الوجه يفيد بحسب الظاهر[١] عموم جهة الإلحاق أى أن المشبه وهو «محمد» فى المثال المذكور يماثل المشبه به وهو «الأسد» فى جميع صفاته من القوة، والجرأة، والمهابة، والضخامة، وما إلى ذلك من أوصاف هذا الحيوان إذ لا ترجيح لبعض الأوصاف على بعض عند ترك الوجه «وهذا يقوى دعوى الاتحاد بين الطرفين- بخلاف ما لو ذكر الوجه لفظًا أو تقديرًا، فقيل: محمد أسد فى الجرأة أو محمد أسد على تقدير «فى الجرأة» فإنه يفيد أن «محمدًا» يماثل الأسد فى وصف الجرأة فقط، لا فى سائر صفاته، فتضعف بذلك دعوى الاتحاد.

٢- أن ترك الأداة يفيد بحسب الظاهر[٢] أيضًا: أن المشبه به فى المثال المذكور محمول على المشبه، والحمل يقتضى اتحادهما معنى. أى أن يكون المشبه هو بعينه المشبه به، وليس شيئًا سواه وإلا ما صح الحمل فيهما لا متناع حمل أحد المتباينين على الآخر- بخلاف ما لو ذكرت الأداة لفظًا أو تقديرًا فقيل: محمد كالأسد، أو محمد أسد على تقدير الكاف فإنه يفيد أن المشبه غير المشبه به، وهذا يضعف دعوى الاتحاد بينهما.

فترك الوجه والأداة إذًا يفيدمعنى اتحاد الطرفين من جهتين- كما بينا، لهذا كان التشبيه عند تركهما[٣] فى المرتبة الأولى.

الثانية: وهى الوسطى- ما ترك فيها ذكر أحدهما- الوجه أو الأداة كما تقول: محمد كالأسد «أو محمد أسد فى الجرأة وإنما كان التشبيه فى هاتين الصورتين فى المرتبة الوسطى لاشتماله على معنى اتحاد الطرفين من جهة واحدة أى من جهة عموم الإلحاق كما فى صورة ترك الوجه، أو من جهة حمل أحد الطرفين على الآخر كما فى صورة ترك الأداة.

والثالثة: وهى المرتبة الأخيرة- ما ذكر فيها الوجه والأداة جميعًا، «عكس الأول»

(١) إنما كانت إفادته العموم بحسب الظاهر، لأن الوجه فى الحقيقة وصف خاص قصد اشتراك الطرفين فيه «كالجرأة» مثلا كما سبق بيانه.

(٢) إنما كان الحمل ظاهرًا أيضًا، لأنه لا حمل فى الحقيقة وإنما هو تشبيه أحدهما بالآخر.

(٣) إنما عبرنا بالترك فى جانب حذف الوجه والأداة، لأن معناه عدم الذكر لفظًا وتقديرًا وهذا هو المراد، لأن مدار المبالغة على دعوى الاتحاد وهى لا تجامع التقدير فى نظم الكلام.

كما تقول: محمد كالأسد في الجرأة وإنما كانت هذه المرتبة دنيا المراتب الثلاث لخلو التشبيه فيها عن دعوى الاتحاد التي هي مدار المبالغة فيه.

تنبيهان:

الأول: أن وصف التشبيه بالعلو، والتوسط، والانحطاط فرع من تحققه وهو إنما يتحقق بالطرفين- المشبه، والمشبه به، فلا بد إذًا من ذكرهما، أما المشبه به فلأنه الأصل المقيس عليه وأما المشبه فلأنه المقيس- غير أنه يجوز حذف المشبه لفظًا فقط إذا دلت عليه قرينة كأن يكون بينك وبين مخاطبك مذاكرة في شأن «محمد» مثلا، فتقول له: ما حال محمد؟ فيقول لك: «أسد» على تقدير «محمد أسد» فتحذف المشبه لدلالة الكلام السابق عليه- لكن لا بد من تقديره في نظم الكلام، وإلا كان استعارة لا تشبيهًا.

الثاني: إن إطلاق وصف البليغ على التشبيه الذي حذفت منه الأداة طريقة لبعضهم، وذهب آخرون إلى أن التشبيه البليغ: هو ما كان بعيدا غريبا ذكرت الأداة فيه أو لم تذكر، كما سبق في تشبيه الهيئات المنتزعة من أمور متعددة لما هو مذكور في الطباع من أن الشيء الذي ينال بعد مشقة وعناء يكون وقعه في النفس أحلى وألطف، والنفس به أضن وأشغف حتى قال بعض الأدباء: ما أشبه هذا الضرب من التشبيه بالجوهر في الصدف لا يبرز لك إلا أن تشقه عنه. أو بالحبيب المتحجب لا يريك وجهه حتى تستأذن، وقديمًا قال الشاعر العربي:

وزاده كلفًا في الحب أن منعت ... وحب شيء إلى الإنسان ما مُنعا

خاتمة:

تقدم: أن المشبه به ينبغي أن يكون أعرف بوجه الشبه من المشبه، أو أتم وأقوى منه فيه- حقيقة إذا عاد الغرض على المشبه، أو ادعاء إذا عاد على المشبه به- كما سبق تفصيله.

ومتى كان الأمر كذلك جيء بصيغة التشبيه المعروفة إشعارًا بهذا التفاوت ودلالة على أن أحدهما ناقص. والآخر كامل كما تقول: هذا الشيء كهذا الشيء، أو مثله. أو شبهه، أو يحاكيه. أو يماثله. أو كأنه هو. أو غير ذلك من أنواع صيغ التشبيه الدالة وضعًا على أن بين الشيئين تفاوتًا.

فإذا أريد مجرد الجمع بين الشيئين في أمر من غير قصد إلى تمييز أحدهما- سواء وجد تفاوت بينهما أو لا- فالأفضل العدول عن صيغ التشبيه المذكورة إلى التعبير بصيغة التشابه، أو ما يماثلها احترازًا عن ترجيح أحد المتساويين الذى هو مقصود كما تقول: تشابه محمد والأسد وتماثل وجهه والبدر. وتحاكى نواله والغيث ونحو ذلك: من كل فعل لا مفعول له للإشعار بأن ليس بين الطرفين تفاوت- ومنه قول إسحق الصابى(١):

تشابه دمعى إذ جرى ومدامتى ... فمن مثل ما فى الكأس عينى تسكب

فو الله ما أدرى:أبالخمر أسبلت ... دموعى أم من عبرتى كنت أشرب(٢)

خيل للشاعر- من شدة ما يعانيه من ألم الجوى، أنه يبكى بدل الدمع دمًا- فشبه دمعه الهاطل على خده بما فى كأسه من خمر فى الحمرة- غير أنه بالغ فى التشبيه فزعم: أن الدمع والخمر تساويا فى وجه الشبه، بحيث لا يفضل أحدهما الآخر فيه، حتى أشكل عليه الأمر، فلم يعرف أكان يشرب من دمعه، أو من خمره لهذا عدل عن التعبير بصيغة التشبيه الدالة على التفاوت إلى صيغة التشابه المفيدة لمعنى التساوى الذى أراده- ونظير قول الصابى قول الصاحب:

رق الزجاج وراقت الخمر ... فتشابها فتشاكل الأمر

فكأنما خمر ولا قدح ... وكأنما قدح ولا خمر(٣)

ويجوز فى هذه الحالة أيضًا الإتيان بصيغة التشبيه رغم ادعاء التساوى بين الطرفين لغرض ما كان أحدهما موضع حديث المتكلم، أو محل اهتمامه، فيجريه على لسانه أولاً، ويجعله حينئذ مشبهًا فإذا كان يتحدث مثلاً عن الليل يتألق فيه بياض الصبح، صح أن يشبه ذلك بجواد أدهم ذى غرة كما فى قول الشاعر العربى:

والصبح فى طرة مسفر ... كأنه غرة مهر أشقر(٤)

---

(١) هو إبراهيم الصابى اليهودى كان يحفظ القرآن جيدًا ولم يشرح الله صدره بالإسلام كما هداه لمحاسن الكلام.

(٢) والمدامة الخمر، وأسبلت العين، هطلت وسالت، والعبرة بفتح العين الدمع وهو المراد، وبالكسر بمعنى الاعتبار.

(٣) «كأن» هنا للشك لا للتشبيه وذلك أمارة التساوى، والقدح: الكأس.

(٤) طرة كل شىء طرفه يريد آخر الليل، والأشقر من الخيل الأحمر المشوب بسواد.

وإذا شغف بحب فرسه الدهماء، ذات الغرة البيضاء جاز أن يشبه ذلك بظلمة الليل ينشق عن وجه الصباح كقول الشاعر:

وجـــهـــه صـــبـــح ولكـــن ســـــائـر الجـــســـم ظلام

والشاعر فى كلا الحالين إنما يرمى إلى ما فى الطرفين من مجرد ظهور بياض فى سواد من غير قصد إلى قوة أو ضعف -غير أن الأفضل «كما قلنا» هو التعبير بصيغة تشابه، لأنها أدل على المراد وأصرح فى معنى التساوى بين الطرفين.

الاختلاف فى صيغة التشبيه:

اختلف الرأى فى صيغة التشبيه أهى من قبيل الحقيقة. أم من قبيل المجاز؟ فالرأى الأول -وهو الراجح- أنها من قبيل الحقيقة، ذلك أن كلا من المشبه والمشبه به مستعمل فى معناه الذى وضع له «فمحمد» فى نحو «محمد كالبدر» مستعمل فى الذات المعروفة -كما أن «البدر» مستعمل فى الجرم المعروف.

وقيل: هى من قبيل المجاز، لأن المعنى المراد من قولنا. محمد كالبدر: أنه تناهى فى حسنه حتى بلغ مستوى البدر فيه، وهذا المعنى غير ما وضع له التركيب إذ أن معناه بحسب الوضع: أن «محمدًا» قريب فى الحسن من البدر، ولم يبلغ فيه مبلغه.

●●●

المبحث الرابع فى الحقيقة والمجاز

تقدم أن قلنا: إن اللفظ المستعمل نوعان:

١- نوع لا يتصرف فيه عند الاستعمال أى تصرف، بل يبقى على أصل وضعه ويسمى عندهم حقيقة.

٢- نوع يتصرف فيه عند الاستعمال ويسمى عند هم «مجازاً» والحقيقة إما أن تكون فى إسناد اللفظ إلى غيره وإما أن تكون فى ذات فإن كانت الحقيقة فى الإسناد بأن أسند اللفظ إلى ما حقه أن يسند إليه سميت «حقيقة عقلية»[١] كإسناد الإنضاج إلى الله فى قولك: «أنضج الله الثمر» أو إلى ضميره فى نحو: «إن الله منضج الثمر» فلفظ «أنضج»، أو منضج لم يتصرف فيه بشىء بل أسند إلى ما حقه أن يسند إليه، وهو الله تعالى فى الأول، وضميره فى الثانى وإذاً تكون:

الحقيقة العقلية: هى إسناد الفعل أو ما يدل على معنى الفعل إلى شىء بنى الفعل أوما يدل على معناه له[٢] فى اعتقاد المتكلم فيما يفهم من ظاهر حاله -والمراد بالشىء: خصوص الفاعل أو نائب الفاعل -ظاهراً كان أو ضميراً.

فمثال إسناد الفعل إلى الفاعل ما تقدم من قولك: أنضج الله الثمر فقد أسند الفعل وهو (أنضج) مبنياً للمعلوم إلى شىء هو «الله تعالى» والفعل على هذه الصورة مبنى وموضوع لأن يسند إلى الله تعالى فى اعتقاد المتكلم فى ظاهر حاله إذ ظاهر من حاله: أنه مؤمن، يسند الأشياء إلى الله سبحانه لأنه لم ينسب قرينة على أنه غير مؤمن، يضيف الأشياء إلى غير الله.

ومثال إسناد الفعل إلى نائب الفاعل قولك (أُنضج الثمر) بالبناء للمجهول فقد أسند الفعل وهو (أنضج) مبنيّاً للمجهول إلى شىء هو (الثمر) والفعل على هذه الصورة مبنى؛ لأن يسند إلى (الثمر) لأنه المفعول الواقع عليه الإنضاج.

(١) إنما سميت كذلك لأن إسناد الشىء إلى غيره حكم عقلى.

(٢) المراد بالفعل: ما اصطلح عليه النحاة وهو ما دل على حدث مقرون بأحد الأزمنة الثلاثة، والمراد بما يدل على معناه المصدر وسائر المشتقات كاسم الفاعل واسم المفعول، والصفة المشبهة، وأفعل التفضيل، وغير ذلك.

ومثال إسناد ما يدل على معنى الفعل قولك: جاء النَّابه ذكره، المحمود طبعه، الجميل صنعه (فالنابه) اسم فاعل مسند إلى (ذكره) و(المحمود) اسم مفعول مسند إلى (طبعه) و(الجميل) صفة مشبهة مسندة إلى (صنعه) وكلها دالة على معنى الفعل، ومسندة إلى ما حقها أن تسند إليه.

أقسام الحقيقة العقلية:

تنقسم الحقيقة العقلية إلى أربعة أقسام:

الأول: ما طابق الواقع والاعتقاد كقول المؤمن: (أنبت الله الزرع) إذا كان المخاطب يعلم أن المتكلم مؤمن، ينسب الآثار كلها لله، أو كان يجهل حاله إذ المفهوم من ظاهر حال المتكلم أنه مؤمن، وأن الإسناد إلى ما بنى الفعل له فى يقينه واعتقاده.

الثاني: ما طابق فى الواقع فقط كقول الكافر وهو يخفى حاله عن المخاطب: (شفى الله المريض) فالظاهر من حال المتكلم أنه مؤمن يعتقد ما يقوله إذ أنه لم ينسب قرينه على أنه كافر، بل ستر حاله وأخفاها.

الثالث: ما طابق الاعتقاد فقط كقول الكافر: (أنبت الغيث الشجر) إذ اكان المخاطب يعلم أن المتكلم كافر، يضيف الإنبات إلى الغيث. أو كان يجهل حاله إذ المفهوم من ظاهر حاله حينئذ أنه كافر يعتقد ما يقول، وأن الإسناد إلى ما بنى الفعل له فى اعتقاده.

الرابع: ما لم يطابق الواقع، ولا الاعتقاد كقولك كذبًا: (زارنى محمد) وأنت وحدك، دون المخاطب تعلم أنه لم يزرك فالمفهوم من ظاهر حالك حينئذ أنك صادق فيما تقول. وأن الإسناد إلى ما بنى الفعل له فى اعتقادك.

فكل هذه الأقسام الأربعة من قبيل الحقيقة العقلية، لأن الفعل أسند فى جميعها إلى ما حقه أن يسند إليه عند المتكلم فى ظاهر حاله.

وإن كانت الحقيقة فى ذات اللفظ سميت (حقيقة لغوية) نسبة إلى اللغة كلفظ (أسد) المستعمل فى الحيوان المفترس فى قولك: (رأيت أسدًا فى غابة) فلفظ (أسد) لم

يتصرف فيه بشيء بل استعمل فى معناه الأصلى -وإذًا تكون الحقيقة اللغوية : هى الكلمة المستعملة فى المعنى الذى وضعت له [١] .

وهى تسمى بأسماء تختلف باختلاف الواضع:

فإن كان الواضع من أرباب اللغة الفصحاء سميت (حقيقة لغوية) فقط كلفظ (الأسد) المستعمل فى المعنى الذى وضعه له أهل اللغة (وهو الحيوان المفترس).

وإن كان الواضع من أهل الشرع سميت حقيقة لغوية شرعية كلفظ (الصلاة) المستعمل فى المعنى الذى وضعه له أهل اللغة الشرعيون (وهو الأفعال والأقوال الخاصة).

وإن كان الواضع طائفة خاصة (كالنحاة) مثلاً سُميت (حقيقة لغوية اصطلاحية أو عرفية خاصة) كالفاعل المستعمل فى المعنى الذى وضعه له علماء اللغة النحاة وهو الاسم المرفوع بعد فعل مبنى للمعلوم أو شبهه.

وإن كان الواضع غير طائفة بعينها سميت (حقيقة لغوية عرفية عامة) كلفظ (دابة) المستعمل فى المعنى الذى تواضع عليه الناس وتعارفوه وهو ذات الأربع من الدواب كالحمار والفرس.

تمرين

١- عرف الحقيقة العقلية، واذكر لها مثالين من عندك -أحدهما لإسناد الفعل، والآخر لإسناد ما هو بمعناه وبين هل إسناد منبت إلى (الله) فى قول المؤمن: الله منبت الزرع من قبيل الحقيقة العقلية؟ وجه ما تقول.

٢- اذكر أقسام الحقيقة العقلية ومثل لكل قسم مع الإيضاح التام.

٣- بين ما طابق الواقع والاعتقاد، وما طابق أحدهما، وما لم يطابق واحداً منهما فيما يأتى:

---

(١) الوضع تعيين اللفظ للدلالة على المعنى بنفسه لا بقرينة تنضم إليه ليخرج المجاز فإن دلالة اللفظ فيه بواسطة القرينة، ودخل المشترك لأنه معين للدلالة على كل من معنييه أو معانيه بنفسه، فالعين وضعت تارة للدلالة على الجارية وأخرى للدلالة على الباصرة -وهكذا، وعدم فهم إرادة أحد معنييه أو معانيه الوضعية لعارض الاشتراك لا ينافى ذلك

١- قال كافر: قوّس ظهرى الزمان، وشيبتنى الهموم والأحزان لمن يعلم أنه كافر أو لمن يجهل حاله.

٢- قال مؤمن: أزهى الله الزهر لمن يعلم أنه مؤمن، أو لمن يجهل حاله.

٣- قال كافر: أشاب الله لحيتى، لمن يخفى عنه حاله.

٤- قال رجل وهو يكذب: لقينى أخوك اليوم لمن لا يعلم أنه كاذب.

٥- بين فيما يأتى نوع الحقيقة:

١- «الزكاة» لمقدار من المال يعطى للفقير.

٢- «المفعول» لاسم منصوب بعد فعل.

٣- «الطائر» لذى المنقار من ذوات الجناح.

٤- الدابة لكل ما يدب على وجه الأرض.

٥- «الفاعل» لمن وقع منه الفعل.

٦- «الخبر» الركن الثانى من الإسناد الخبرى.

***

والمجاز: -إما أن يكون فى إسناد اللفظ إلى غيره، وإما أن يكون فى ذات اللفظ- فإن كان المجاز فى الإسناد بأن أسند اللفظ إلى غير ما حقه أن يسند إليه سمى مجازاً عقلياً[1] أو (إسنادًا مجازيًا) كإسناد (أنضج) فى المثال المتقدم إلى (الربيع) فى قول المؤمن لمخاطب يعلم إيمانه: أنضج الربيع الثمر والأصل: أنضج الله الثمر وقت الربيع (فالله» هو المسند إليه الحقيقى «لأنضج» وقد تصرف فى «أنضج» بإسناده إلى غير ما حقه أن يسند إليه وهو «الربيع» فالربيع إذًا مسند إليه مجازى ومثل الفعل فى ذلك الوصف فى نحو قولك: الربيع منضح[2] الثمر -ولابد لذلك من علاقة بين المسند إليه الحقيقى والمجازى، كما لابد من قرينة دالة على التجوز كما سيأتى بيانه وإذًا يكون:

(١) سمى بذلك، لأن التصرف واقع فى الإسناد وهو أمر عقلى.

(٢) أى بإسناده إلى ضمير الربيع.

المجاز العقلى: إسناد الفعل أو ما يدل على معنى الفعل إلى غير ما حقه أن يسند إليه لعلاقة مع قرينة صارفة عن أن يكون الإسناد إلى ما هو له أى على حقيقته.

وذلك كإسناد الفعل المبنى للفاعل إلى المفعول فى قولك: رضيت عيشته فقولك «رَضيت» فعل مبنى للفاعل وكان حقه أن يسند إلى الفاعل الحقيقى الذى هو صاحب العيشة، فيقال مثلاً: رضى محمد عيشته لكنه أسند إلى المفعول الذى هو «العيشة» إسنادًا مجازيًا للمشابهة بين «العيشة ومحمد» فى تعلق الفعل بهما. فتعلقه (بمحمد) من حيث صدوره منه، وتعلقه (بالعيشة) من حيث وقوعه عليها (فالعيشة) حينئذ مسند إليه مجازى- ومنه قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [القارعة: ٧] فقد أسند فيه اسم الفاعل إلى ضمير (العيشة) إسنادًا مجازيًا من إسناد ما هو بمعنى الفعل إلى غير ما حقه أن يسند إليه.

وكإسناد الفعل المبنى للمجهول إلى الفاعل فى قولك (غمر السيل) فقولك (غمر) فعل مبنى للمجهول، وكان حقه أن يسند إلى المفعول الحقيقى الذى هو (الوادى) فيقال: غمر الوادى لكنه أسند إلى الفاعل الذى هو (السيل) إسنادًا مجازيًا للمشابهة بين (السيل والوادى) فى تعلق الفعل بهما، أما تعلقه (بالوادى) فمن حيث وقوعه عليه، وأما تعلقه (بالسيل) فمن حيث صدوره منه، فالسيل حينئذ مسند إليه مجازى - ومنه قولهم: (سيل مفعم) بفتح العين بالبناء للمجهول بمعنى (مغمور) فقد أسند فيه اسم المفعول إلى ضمير (السيل) إسنادًا مجازيًا من إسناد ما هو بمعنى الفعل إلى غير ما حقه أن يسند إليه.

وكإسناد الفعل إلى المصدر فى قولك: (جد جده) وكان حقه أن يسند إلى الفاعل الحقيقى الذى هو (الإنسان) فيقال: جد الإنسان جدًا لكنه أسند إلى المصدر إسنادًا مجازيًا للمشابهة بين المصدر والفاعل الحقيقى فى تعلق الفعل بهما، فتعلقه بالمصدر من حيث إنه جزء مفهومه، وتعلقه بالفاعل الحقيقى من حيث صدوره منه، فالمصدر إذًا مسند إليه مجازى.

وكإسناد الفعل إلى ظرف الزمان فى قولك (صام نهاره) برفع (نهاره) على الفاعلية، وكان حقه أن يسند إلى الفاعل الحقيقى، فيقال صام محمد فى نهاره لكنه أسند إلى الظرف الذى هو (النهار) إسنادًا مجازيًا، للمشابهة بين (محمد والظرف)

فى تعلق الفعل بهما، فتعلقه (بمحمد) من حيث صدوره منه وتعلقه (بالنهار) من حيث وقوعه فيه. فالظرف حينئذ مسند إليه مجازى -ومنه قولهم: نهاره صائم، وليله قائم فقد أسند فيهما اسم الفاعل إلى ضمير الظرف وهو (النهار) فى المثال الأول و(الليل) فى المثال الثانى إسنادًا مجازيًا من إسناد ما هو بمعنى الفعل إلى غير ما حقه أن يسند إليه.

وكإسناد الفعل إلى ظرف المكان فى قولك: جرى النهر برفع (النهر) على الفاعلية، وكان حقه أن يسند إلى الفاعل الحقيقى الذى هو «الماء» فيقال: جرى الماء فى النهر لكنه أسند إلى الظرف الذى هو (النهر) أى مجرى الماء إسنادًا مجازيًا وتعلقه بالنهر من حيث وقوعه فيه. فالظرف حينئذ مسند إليه مجازى. ومنه قولهم: نهر جار أسند فيه اسم الفاعل إلى ضمير الظرف وهو (النهر) إسنادًا مجازيًا من إسناد ما هو بمعنى الفعل إلى غير ما حقه أن يسند إليه.

وكإسناد الفعل إلى السبب فى قولك: (بنى الأمير القصر) وكان حقه أن يسند إلى الفاعل الحقيقى الذى هو (العملة) اذ هم البانون حقيقة، فيقال بنى العملة القصر بأمر الأمير لكنه أسند إلى السبب الباعث الذى هو (الأمير) إسنادًا مجازيًا للمشابهة بين (الأمير والعملة) فى تعلق الفعل بهما فتعلقه (بالأمير) من حيث إنه سبب فى البناء وتعلقه (بالعملة) من حيث صدوره منهم فالأمير إذًا مسند إليه مجازى، ومنه قوله تعالى (يا هامان ابن لى صرحًا) فقد أسند فيه الفعل إلى ضمير (هامان) إسنادًا مجازيًا من إسناد الفعل إلى السبب -وهكذا، ومما تقدم تعلم أن:

علاقة المجاز العقلى:

هى مشابهة المسند إليه المجازى للمسند إليه الحقيقى فى تعلق الفعل بكل منهما وإن اختلفت جهة التعلق كما عرفت مما سردناه عليك من الأمثلة.

وقرينة المجاز العقلى:

هى الأمر الصارف عن أن يكون الإسناد على حقيقته، لأن المتبادر إلى الفهم عند انتفاء القرينة هو الحقيقة -بمعنى أن ظاهر الكلام بغض النظر عن القرينة يفيد أن الفعل أو ما فى معناه مسند إلى ما حقه أن يسند إليه.

والقرينة نوعان -لفظية، ومعنوية:

فاللفظية هي لفظ يذكر فى الكلام يصرفه عن حقيقته، ويدل على التجوز فى الإسناد كما تقول: «هزم الأمير خصمه وهو فى قصره، فهو «كما ترى» إسناد الفعل إلى غير ما حقه أن يسند إليه لأن الأمير لم يفعل شيئًا والذى سوغ إسناد الهزيمة إليه: أنه سبب فيها والقرينة الدالة على هذا التجوز قولك «وهو فى قصره» إذ دل على أن الهازم غير الأمير.

والمعنوية: شيء خارج عن اللفظ، يصرف الكلام عن حقيقته، ويدل على التجوز فى الإسناد، وذلك أحد أمرين:

الأول- أن يكون قيام المسند بالمسند إليه مستحيلاً عقلاً، أو عادة فمثال المستحيل عقلاً قولهم: «محبتك جاءت بى إليك» فإسناد المجيء إلى ضمير المحبة مجاز عقلى أسند فيه الفعل إلى غير ما حقه أن يسند إليه، والذى سوغ هذا الإسناد:

أن المحبة سبب فى المجيء، وقرينة المجاز استحالة قيام المجيء بالمحبة عقلاً -والمراد بالمستحيل عقلاً: ما كان مستحيلاً بالضرورة، وهو ما لو خلا العقل ونفسه لعده محالاً على البديهة كما فى المثال المذكور ومَثله قولك أقدمنى بلدك حق لي عليك. فالقرينة على التجوز فى الإسناد استحالة قيام الإقدام بالحق عقلاً -ومثال المستحيل عادة قولهم: هزم القائد الجيش فإسناد هزيمة الجيش إلى القائد مجازَ عقلى على قرينته استحالة أن يهزم القائد الجيش وحده فى العادة، وإن أمكن ذلك عقلاً.

الثانى: أن يكون الكلام صادرًا عن الموحد كأن يقول المؤمن: قوست ظهرى أحداث الزمان، وأشابت رأسى نوائبه، فهذان الإسنادان من قبيل المجاز العقلى أسند فيهما الفعلان إلى غير ما حقهما أن يسندا إليه بناء على أن أحداث الزمان ونوائبه سبب فى التقويس والإشابة، وقرينة التجوز فيهما صدور هذا القول من مؤمن يرى أن الله تعالى مصدر الأفعال كلها.

وليس هذا مما استحالته عقلية حتى يكون داخلاً فى الأمر إذ لم يجمع ذوو العقول على استحالة مثل هذا بدليل أن كثيرًا من العلماء ذهبوا إليه وقالوا به، واحتجنا فى الرد عليهم إلى الدليل.

فالقرينة فى هذين الأمرين معنوية إذ لم يكن فى الكلام لفظ صريح يدل على التجوز فى الإسناد.

وإن كان المجاز فى ذات اللفظ بأن نقل من معناه الموضوع له إلى معنى آخر - فإما أن يكون هذا اللفظ مفردًا، أو مركبًا.

المجاز المفرد:

هو الكلمة المستعملة فى غير المعنى الذى وضعت له لعلاقة بين المعنى الأول والثانى مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأول(١).

والعلاقة فيه: هى المناسبة(٢) بين المعنى الموضوع له باللفظ، والمعنى المقصود.

وقرينته: هى الأمر الذى يحمله المتكلم دليلاً على أنه أراد باللفظ غير المعنى الموضوع له، مثال ذلك لفظ «الأسد» المستعمل فى الرجل الجرىء فى قولك: رأيت أسدًا على فرس، كلفظ (النبات) المستعمل فى الماء فى قولك: «أمطرت السماء نباتًا» فكل من لفظى (الأسد والنبات) مجاز مفرد لأنه كلمة مستعملة فى «غير المعنى الموضوع له» والعلاقة بين المعنيين (فى الأول) مشابهة الرجل للأسد فى الجرأة، (وفى الثانى) سببية الماء للنبات، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقى قولك فى المثال الأول (على فرس) إذ ليس ذلك من شأن الحيوان المفترس، والقرينة فى الثانى: (أمطرت) إذ أن النبات لا يمطر.

تقسيم المجاز المفرد:

ينقسم المجاز المفرد باعتبار العلاقة إلى قسمين - استعارة، ومجاز مرسل ولكل منهما مبحث خاص سيأتى فيما بعد.

---

(١) بقيد (المستعملة) تخرج الكلمة قبل الاستعمال فلا توصف بحقيقة ولا مجاز، وبقيد «فى غير ما وضعت له» تخرج الحقيقة، وبقيد «العلاقة» يخرج الغلط اللسانى كقولك: «هذا أسد» مشيرًا إلى حجر، إذ لا علاقة بين الأسد والحجر وبقيد «مانعة» تخرج الكناية فإن قرينتها غير مانعة كما سيأتى وهذا التعريف بالمعنى الإسمى وهو المشهور، وقد تطلق على فعل المتكلم، فيقال: هى استعمال الكلمة إلخ.

(٢) تكون بالمشابهة بين المعنيين كما فى الاستعارة، وبغيرها كما فى المجاز المرسل على ما سيأتى.

فإن كانت العلاقة بين المعنيين المشابهة سمى اللفظ (استعارة) كما فى لفظ (الأسد) المستعار للجريء فى المثال الأول وإن كانت العلاقة بينهما غير المشابهة سمى اللفظ (مجازاً مرسلاً) كما فى لفظ (النبات) المستعمل فى (الماء) فى المثال الثانى، وإليك بيان القسم الأول.

الاستعارة:

هى الكلمة المستعملة فى غير المعنى الذى وضعت له العلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الموضوع له كقولك: رأيت قمراً يتكلم.

وطريقة إجرائها: أن يقال فى هذا المثال وأشباهه: شبه الوجه الصبوح بالقمر فى الإشراق ثم تنوسى التشبيه، وادعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به، وداخل فى جنسه، ثم استعير لفظ المشبه به وهو (القمر) للمشبه وأطلق عليه كأنه موضوع له، باعتباره أحد أفراد القمر -وهكذا يقال فى كل استعارة، أى فى كل كلمة استعملت فى غير ما وضعت له لعلاقة المشابهة.

أركانها -هى: كما يؤخذ من التعريف ثلاثة -(المستعار منه) وهو ذات المشبه به، و(المستعار له) وهو (ذات المشبه) و (المستعار) وهو اللفظ الموضوع فى الأصل للمشبه به.

فإذا قيل: (رأيت أسداً يرمى) فقد شبه الرجل الجرىء بالأسد -على ما سبق- ثم استعير اسم المشبه به للمشبه -فالمعنى به وهو (الحيوان المفترس) مستعار منه لأن اللفظ الموضوع له وهو (أسد) أخذ منه وأعطى لغيره، فهو كالإنسان يستعار منه أو به لغيره والمعنى المشبه هو (ذات الرجل الجرىء) مستعار له، لأن اللفظ الذى لغيره أعطى له فهو كالإنسان يُستعار له الثوب من صاحبه ولفظ (أسد) مستعار لأنه أتى به من صاحبه، واستعير لغيره كاللباس المستعار من صاحبه للابسه -وثلاثتها هى أركان الاستعارة، والدعائم التى تقوم عليها [1].

ما لا بد منه لتحقيقها:

يتبين مما تقدم فى طريقة إجرائها أن لا بد لتحقيقها من أمور أربعة:

(١) من هذا البيان يعلم أن التشبيه إنما يكون فى المعانى وأمّا الاستعارة ففى الألفاظ.

١- أن يتناسى التشبيه، ويجعل كأن لم يكن، و، يدعى حينئذ: أن المشبه فرد من أفراد المشبه به(١) مبالغة في اتصاف المشبه بوجه الشبه -غير أن التشبيه الذى يجب تناسيه هو الذى بنيت عليه الاستعارة وإذًا فلا مانع من أن يقول: (رأيت أسدًا يتكلم مثل الفيل في الضخامة) فالذى بنيت عليه الاستعارة هو تشبيه الرجل بالأسد في الجرأة وهذا هو الذى يجب تناسيه فيها فتشبيهه بعد ذلك بالفيل لا يضر بالاستعارة لعدم بنائها عليه.

٢- ألا يذكر وجه الشبه، ولا أداته لا لفظًا ولا تقديرًا فإن ذُكرا، أو ذكر أحدهما كان الكلام تشبيهًا، لا استعارة كما تقول: محمد كأبى العلاء في شعره، أو محمد كأبى العلاء، أو محمد أبو العلاء في شعره.

٣- ألا يجمع فيها بين الطرفين أصلاً، أو يجمع بينهما على وجه لا يدل على التشبيه. فمثال الأول قولك: لقيت بحرًا يعظ الناس، وقولك: أظفار المنية نشبت بفلان ففى الأول: شبه الواعظ بالبحر في الإفاضة، ثم استعير لفظ المشبه به للمشبه فالمذكور هو لفظ المشبه به فقط، وهو لفظ بحر، وفى الثانى: شبهت المنية بالأسد في الاغتيال، ثم استعير تقديرًا لفظ (الأسد) للمنية ثم حذف ورُمز له بشىء من لوازمه وهو (الأظفار) على ما سيأتى فالمذكور هو لفظ المشبه لا غير وهو (المنية) -ومثال الثانى- وهو ما جمع فيه بين الطرفين على وجه لا ينبىء عن التشبيه قول الشاعر:



لا تعجبوا من بلى غلالته ... قد زر أزراره على القمر(٢)

فلفظ (القمر) في الشطر الثانى من البيت استعارة، لأنه منقول من معناه الأصلى إلى (الإنسان الجميل) وقد جمع فيها بين الطرفين -المشبه وهو الضمير في (أزراره) والمشبه به وهو (القمر) ولكن على وجه لا يدل على التشبيه، لأن سياق الكلام إنما هو لإثبات فعل واقع على القمر لا لإثبات التشبيه إذ هو مكنون في النفس، لا يدرك إلا بتأمل ونظر.

---

(١) ويقدر أن «الأسد في المثال السابق» موضوع لفردين أحدهما متعارف وهو الحيوان المفترس» والآخر غير متعارف وهو الرجل الجرىء.

(٢) البلى من بلى الثوب إذا فسد. والغلالة بكسر الغين ثوب قصير ضيق الكمين كالقميص.

فإذا جمع بين الطرفين على وجه ينبىء عن التشبيه، ويدل عليه بألا يصح المعنى إلا بمراعاة التشبيه كان الكلام تشبيهًا لا استعارة وذلك إذا كان المشبه به خبرًا عن المشبه، أو فى حكم الخبر عنه كأن يقع حالاً منه، أو صفة له.

فمثال ما إذا كان خبرًا قولك: (خالد بن الوليد أسد) فقد جمع فيه بين الطرفين على وجه ينبىء عن التشبيه - لأن سياق الكلام (ظاهرًا) إنما هو لإثبات معنى (الأسد) لخالد ، وهو ممتنع عن الحقيقة، فيحمل على أنه لإثبات شبه معنى الأسد لخالد، فيكون الإتيان (بالأسد) لإثبات هذا الشبه ولأن حمل الأسد على (خالد) يقتضى اتحاد المحمول والمحمول عليه فى المعنى ليصح الحمل واتحادهما ممتنع لتباين المفهومين فتعين الحمل على التشبيه بتقدير أداته فلهذين السببين كان جديرًا أن يسمى تشبيهًا، لا استعارة.

ومثال ما فى حكم الخبر قولك: كر خالد على الأعداء أسدًا، ومررت برجل أسد جمع فيهما بين الطرفين على وجه يدل على التشبيه للسببين المتقدمين فكان الكلام فيهما تشبيهًا.

٤- أن يكون المشبه به كليًا حقيقة، أو تأويلاً، حتى يتأتى ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به، واعتباره فردًا من أفراده.

فالكل الحقيقى كاسم الجنس فى مثل (الأسد) فإن معناه كلى، يصدق على كثيرين فيصح حينئذ جعله استعارة للرجل الجرىء، باعتباره داخلاً فى جنس الأسد ادعاء، وفردًا من أفراده.

والكلى التأويلى كعلم الشخص الذى اشتهر بوصف، بحيث إذا أطلق ذلك العلم فهم منه ذلك الوصف وصار العلم كأنه موضوع للذات المستلزمة لذلك الوصف (كحاتم) علمًا على الطائى المعروف[1] فإنه اشتهر بالجود وذاع صيته فيه حتى صار إذا أطلق لفظ (حاتم) فهم منه فإذا شبه شخص بحاتم فى الجود وأريد استعارته وجب أن يتأول فى حاتم، فيجعل كأنه موضوع لذى الجود وهو «كما ترى» معنى كلى، فيصبح حينئذ فردًا من أفراد «حاتم» ادعاء، فيقال: مثلاً رأيت اليوم «حاتمًا» ويراد محمد الكريم

(١) هو عبد الله بن سعد المضروب به المثل فى السماحة والسخاء.

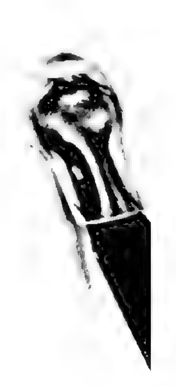
-وهكذا كل علم شخص اشتهر بنوع من الوصف جعله استعارة بهذا التأويل المتقدم «كمادر[١]» المشتهر بالبخل «وقس[٢]» المشتهر بالفصاحة «وباقل[٣]» المشتهر بالعى والفهاهة.

ولا تصح الاستعارة فى علم الشخص بغير تأويله بما يجعله كليًا «كما عرفت» لأن معناه قبل التأويل جزئى لتشخصه وتعينه خارجًا، فتصوره يمنع من وقوع الاشتراك فيه «فزيد» مثلا لا يصح جعله استعارة لشخص آخر بينه وبين زيد مشابهة إذًا هى تقتضى ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به، «كما سبق» وهذا يقتضى عموم المشبه به و«زيد» المذكور لا عموم فيه إذ لا يشمل الذى وضع له، اللهم إلا إذا عرف بوصف، واشتهر به فإنه حينئذ يصح جعله استعارة بتأويله كليًا، باعتبار هذا الوصف كما سبق بيانه فى «حاتم».

تقسيم الاستعارة باعتبار ذكر أحد الطرفين:

تنقسم بهذا الاعتبار قسمين -تصريحية، ومكنية- فإن كان المذكور هو المشبه به دون المشبه سميت الاستعارة تصريحية وإن كان العكس سميت مكنية -وإذًا يكون

الاستعارة التصريحية:



هى لفظ المشبه به المستعار للمشبه كقولك: «زارنى بحر فى منزلى».

وإجراؤها أن يقال: شبهنا الجواد، بالبحر فى الإمداد ثم تناسينا التشبيه، وادعينا: أن المشبه فرد من أفراد المشبه به، ثم استعرنا لفظ المشبه به وهو «بحر» للمشبه استعارة تصريحية وسميت بذلك التصريح فيها بلفظ المشبه به، كما فى المثال المذكور».

---

(١) هو رجل من بنى هلال -قيل سمى مادرًا لأنه سقى إبلاً له من حوض فلما شربت الإبل بقى فى أسفل الحوض ماء قليل فسلح فيه ومدر الماء به أى خلطه به بخلا مخافة أن يستقى من حوضه أحد.

(٢) هو أحد خطباء العرب الأعلام فى العصر الجاهلى.

(٣) هو رجل من إياد كان شديد العى فى المنطق . اتفق أنه اشترى ظبيا بأحد عشر درهمًا فقيل له: بكم اشتريته؟ ففتح كفيه، وفرق بين أصابعه، وأخرج لسانه ليشير إلى العدد المذكور فانفلت منه الظبى فضرب به المثل فى العى والفهاهة.

وهى باعتبار اللفظ المستعار قسمان -أصلية، وتبعية.

فالأصلية: ماكان اللفظ المستعار فيها اسم جنس [(١)] حقيقةً، أو تأويلاً.

فالأول: «كأسد» من قولك: «رأيت أسدًا فى منزلنا»، تريد رجلاً جريئًا وكالمصدر من نحو ذلك: «هالنى قتل عباس خصمه» تريد الضرب المبرح فيشبه الضرب الأليم بالقتل فى قسوة الألم، ثم يستعار لفظ «القتل» للضرب الأليم بعد تناسى التشبيه والادعاء السابقين. فالاستعارة فى المثالين أصلية لأن اللفظ المستعار فيهما اسم جنس حقيقة فهو معنى كلى بذاته، صادق على كثيرين، غير أنه «فى الأول» ا سم ذات «وفى الثانى» اسم معنى.

والثانى كالأعلام الشخصية المشتهرة بوصف «كمادر» من قولك: «رأيت اليوم مادرًا» تريد رجلاً بخيلاً، فيشبه الرجل البخيل «بمادر» فى البخل، ثم يستعار لفظ «مادر» للرجل البخيل بعد التناسى والادعاء فالاستعارة فيه أصلية أيضًا، لأن اللفظ المستعار فيه اسم جنس تأويلاً وقد سبق لك بيان التأويل فيه.

وسميت أصلية -نسبة إلى الأصل بمعنى الكثير الغالب، ولا شك أنها أكثر وجودًا فى الكلام من التبعية الآتية بعد -أو نسبة إلى الأصل بمعنى الاستقلال وعدم التبعية لاستعارة أخرى، تعتبر أولاً، كما سيأتى فى التبعية والتبعية ما كان اللفظ المستعار فيها فعلاً، أو اسمًا مشتقًا، أو حرفًا -والأسماء المشتقة (كما علمت) فى غير هذا الفن، اسم الفاعل، واسم المفعول والصفة المشبهة، وأفعل التفضيل، واسما الزمان والمكان، واسم الآلة -وما إلى ذلك من سائر المشتقات، وهاك أمثلتها على التوالى.

الاستعارة فى الفعل:

الفعل له مادة هى حروفه الدالة على الحدث، وله صيغة وهى الهيئة الدالة على الزمان كما فى صيغتى الماضى والمضارع -والاستعارة فى الفعل، باعتبار مادته، غيرها باعتبار صيغته، على ما سيأتى بيانه بعد.

---

(١) اى اسمًا غير مشتق اي معنى كليًا يصدق على كثرين (كأسد وقمر) فى أسماء الذوات فى (كالقتل والضرب) فى أسماء المعانى.

فمثالها فى الفعل من حيث مادته قولك : نطقت الحال بكذا فالنطق (كما هو معلوم) وصف للإنسان لا للحال وإنما توصف الحال بالدلالة .

وتقريرها حينئذ أن يقال : شبهت الدلالة الواضحة بالنطق فى إيضاح المعنى، ثم استعير لفظ (النطق) بعد التناسى والادعاء للدلالة الواضحة ، فصار النطق بمعنى الدلالة الواضحة ، ثم اشتق من النطق بهذا المعنى (نطقت) بمعنى (دلت) على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية -ومنه قوله تعالى : ﴿ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [الروم : ١٩] فالإحياء وهو إيجاد الروح إنما يناسب الحيوان لا الأرض والذى يناسب الأرض إنما هو (التزيين) فيشبه حينئذ (تزينها) بالنبات ذى الخضرة والنضرة (بالإحياء) فى الحسن والنفع ، ثم يستعار لفظ (الإحياء) بعد التناسى والادعاء للتزيين، ثم يشتق من الإحياء بمعنى (يحيى) بمعنى (يزين) على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ، ومثالها فى الفعل من حيث صيغته قوله تعالى : ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [النحل : ١] فمن المعلوم أن أمر الله لم يأت بعد وإنما سيأتى ، بدليل قوله ﴿ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ فكان سياق الكلام أن يقول : يأتى أمر الله . ولكنه عبر بصيغة الماضى تجوزاً فى التعبير مبالغة ، لأن أمر الله آتٍ لا محالة .

وتقرير الاستعارة فيه أن يقال : شبه الإتيان فى المستقبل بالإتيان فى الماضى فى تحقيق الوقوع ، ثم استعير لفظ (الإتيان فى الماضى) بعد التناسى والادعاء للإتيان فى المستقبل ثم اشتق منه (أتى) بمعنى (يأتى) على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية -ومثله قوله تعالى : ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾ [الاعراف : ٤٤] فمما لاشك فيه أن النداء المذكور إنما يكون فى الدار الأخرى فكان سياق الكلام أن يقول وينادى أصحاب الجنة، لكنه عبر بصيغة الماضى تجوزاً .

وإجراء الاستعارة فيه على نحو ما سبق فى (أتى أمر الله) فيقال : شبه النداء فى المستقبل بالنداء فى الماضى فى تحقيق الوقوع ، ثم استعير (لفظ النداء فى الماضى) بعد التناسى والادعاء للنداء فى المستقبل ، ثم اشتق منه (نادى) بمعنى ينادى على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

وكما تستعمل صيغة الماضى فى المستقبل -كما مثلنا- تستعمل صيغة المضارع فى الماضى كما فى قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات: ١٠٢] فالرؤية المذكورة وقعت (بالفعل) فكان سياق الكلام أن يقول: (إنى رأيت) لكنه عبر (بأرى) تجوزًا فى العبارة.

وتقرير الاستعارة فيها أن يقال: شبهت الرؤية الماضية بالرؤية الحاضرة فى استحضار الصورة الغريبة وهى صورة ذبح إبراهيم عليه السلام لابنه ثم استعير لفظ الاستعارة التبعية -وعلى هذا يقاس.

الاستعارة فى المشتقات:

مثالها فى اسمى الفاعل والمفعول قولك: حكم على قاتلك بالسجن أي ضاربك ضربًا مبرحًا، وقولك: (رفع مقتولك أمره إلى الحاكم) أى مضروبك ضربًا شديدًا.

وإجراء الاستعارة فيهما أن يقال: شبه الضرب الأليم بالقتل فى قسوة الألم ثم استعير لفظ (القتل) بعد التناسى والادعاء للضرب الشديد ثم اشتق من القتل بمعنى الضرب الشديد (قاتل أو مقتول) بمعنى ضارب أو مضروب ضربًا شديدًا على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

ومثالها فى «الصفة المشبهة» قولك: «إنما أصادق الأعمى عن العورات» فقد شبه غض البصر بالعمى فى عدم الرؤية، ثم استعير لفظ «العمى» بعد التناسى والادعاء لغض البصر، ثم اشتق من العمى بمعنى غض البصر «أعمى» بمعنى غاض البصر على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

ومثالها فى «أفعل التفضيل» قول الشاعر:

ولئنْ نطقت بشكر ربِّك مُفصحًا ... فلسانُ حالى بالشِّكاية أنْطَقُ

شبهت الدلالة بالنطق على نحو ما سبق ثم استعير النطق للدلالة، ثم اشتق من النطق بمعنى الدلالة «أنطق» بمعنى (أدل) على طريق الاستعارة التبعية.

ومثالها فى اسمى الزمان والمكان قولك: (هذا مقتل فلان) مشيرًا إلى مكان ضربه، أو زمانه، فيشبه الضرب الشديد بالقتل على قياس ما سبق فى اسمى الفاعل والمفعول

ثم يشتق من القتل بمعنى الضرب الشديد (مقتل) اسم زمان أو مكان على سبيل الاستعارة التبعية -ومنه قوله تعالى: ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢]؟ فمما لا ريب فيه أن هذا لسؤال منهم إنما يكون بعد البعث من القبور فالمراد (بالمرقد) حينئذ موضع الموت أي القبر، لا موضع الرقاد وهو النوم شبه الموت بالرقاد في عدم الحس، وعدم النفع، ثم استعير لفظ (الرقاد) بعد التناسي والادعاء للموت ثم اشتق من الرقاد بمعنى الموت (مرقد) بمعنى مكان الموت، وهو القبر على سبيل الاستعارة التبعية -وإن قدر (المرقد) مصدراً ميمياً بمعنى (الرقاد) واستعير للموت كانت الاستعارة أصلية لأن اللفظ المستعار حينئذ اسم جنس غير مشتق.

ومثالها في اسم الآلة قولك: (هذا مفتاح الملك) مشيراً إلى أحد وزرائه.

وتقرير الاستعارة فيه أن يقال: شبهت الورارة[1] بفتح الأبواب المغلقة في التوصل إلى المقصود، ثم استعير لفظ (الفتح) بعد التناسي والادعاء للوزارة، ثم اشتق من الفتح بمعنى الوزارة (مفتاح) بمعنى وزير على سبيل الاستعارة التبعية -وهكذا يقال في سائر المشتقات، ولا يعوزك القياس.

وسميت الاستعارة في الفعل والاسم المشتق تبعية لجريانها فيهما تبعًا لجريانها في المصدر (كما رأيت) -فتشبيه الدلالة بالنطق في قولك: (نطقت الحال بكذا) يتبعه تشبيه (دل بنطق) واستعارة النطق للدلالة يتبعه كذلك استعارة (نطق لدل) لأن الفعل مشتق من المصدر فكل تصرف يجري في المصدر يجري نظيره في الفعل تبعًا له -وهكذا سائر المشتقات.

الاستعارة في الحرف:

مثالها قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨].

اعلم: أن لام العلة موضوعة لترتب ما بعدها على ما قبلها ترتيب العلة على المعلول كما تقول: اشتريت هذا الكتاب لأقرأ فيه فإن القراءة مترتبة على الاشتراء، وعلة باعثة عليه.

(١) مصدر بمعنى المؤازرة.

إذا علمت هذا فاعلم أن (اللام) فى الآية المذكورة مستعملة فى غير ما وضعت له لأن ما بعدها -وإن كان مترتبًا على ما قبلها -ليس علة باعثة عليه ذلك أن آل فرعون لم يلتقطوا موسى عليه السلام ليكون لهم عدواً وحزنًا وإنما التقطوه ليكون حبيبًا لهم وسروراً لكن لما كانت النتيجة المترتبة على التقاطهم هى العداوة والحزن. لا المحبة والسرور، شبه العداوة والحزن المترتبان على الالتقاط فى الواقع بالمحبة والسرور اللذيْن كانا ينبغى أن يترتبا عليه، ثم استعملت اللام فيه تجوزاً.

وإجراء الاستعارة فيه أن يقال: شبه العداوة والحزن المترتبان على الالتقاط بالعلة الحقيقة التى هى (المحبة والسرور) بجامع الترتب على الالتقاط فى كل فسرى هذا التشبيه إلى تشبيه ترتب العداوة والحزن على الالتقاط بترتب العلة الحقيقية عليه بجامع مطلق ترتب شىء على شيء ثم استعيرت (اللام) الموضوعة لترتب العلة الحقيقية على الالتقاط لترتب غير العلة الحقيقية عليه على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

ومثله قوله تعالى: ﴿لَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] فلفظ (فى) موضوع لتلبس الظرف بالمظروف الحقيقيين -كما تقول: الماء فى الكوز فإن الماء مظروف فى الكوز، والكوز ظرف له وحينئذ فكلمة (فى) فى الآية مستعملة فى غير ما وضعت له لأن ما بعدها لا يصلح أن يكون ظرفًا لما قبلها على الحقيقة لما كانت الجذوع متمكنة من المصلوبين تمكن الظرف من المظروف شبهت الجذوع بالظرف الحقيقى فى التمكن. ثم استعير لها لفظ (فى) تجوزاً فى التعبير.

وإجراء الاستعارة فيه أن يقال: شبهت الجذوع المستعلى عليها بالظروف الحقيقية بجامع التمكن فى كل فسرى هذا التشبيه إلى تشبيه تلبس الجذوع بالمصلوبين بتلبس الظرف بالمظروف الحقيقيين بجامع تلبيس شىء بشىء ثم استعيرت (فى) الموضوعة لتلبس الظرف بالمظروف الحقيقيين لتلبس الجذوع المستعلى عليها بالمستعلى على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

ومثله قولهم: (محمود فى نعمة) فلفظ (فى) كما علمت موضوعة لتلبس الظرف بالمظروف الحقيقيين كما فى المثال السابق، وحينئذ فلفظ (فى) فى المثال المذكور

مستعمل فى غير ما وضع له لأن ما بعده لا يصلح للظرفية الحقيقة (كما ترى) لكن لما كانت النعمة متمكنة من (محمود) تمكن الظرف من المظروف شبهت النعمة بالظرف الحقيقى واستعمل فيها لفظ (فى) تجوزاً.

وتقرير الاستعارة فيه على نحو ما سبق فتشبه النعمة بالظرف الحقيقى بجامع التمكن فى كل، ثم يسرى هذا التشبيه تلبس النعمة بمحمود بتلبس الظرف بالمظروف الحقيقين بجامع مطلق تلبس شىء بشىء، ثم استعار (فى) الموضوعة لتلبس الظرف بالمظروف الحقيقية لتلبس النعمة بمحمود على سبيل الاستعارة التبعية -وهكذا يقال فى أمثال ما ذكر.

وسميت الاستعارة فى الحروف تبعية لأنها تابعة لتشبيهين سابقين عليها «كما رأيت» وهذا القدر كاف فى تسميتها «تبعية».

تنبيه:

علمت مما سبق فى استعارة الحرف أنه لا بد من تشبيهين يسبقانها أحدهما فى مدخول الحرف، والثانى فى معناه فالتشبيه فى آية (فالتقطه آل فرعون) جرى أولاً فى مدخول لام العلة وهو «العداوة والحزن» فى جانب المشبه «والمحبة والسرور» فى جانب المشبه به ثم جرى ثانيًا فى معنى اللام وهو ترتب العلة على المعلول -والتشبيه فى آية (لأصلبنكم) جرى أولاً فى مدخول الحرف وهو (الجذوع) فى جانب المشبه (والظروف الحقيقية) فى جانب المشبه به. ثم جرى ثانيًا فى معنى الحرف وهو (تلبس الظرف بالمظروف) -والتشبيه فى المثال الأخير جرى أولاً فى مجرور الحرف وهو (النعمة) فى جانب المشبه، (والظرف الحقيقى) فى جانب المشبه به ثم جرى ثانيًا فى معنى الحرف وهو تلبس الظرف بالمظروف وعلى هذا يكون القياس ا هـ.

تقسيم آخر للاستعارة التصريحية:

تنقسم الاستعارة التصريحية إلى ثلاثة أقسام -مرشحة، ومجردة، ومطلقة فالمرشحة: ما قرنت بما يلائم المستعار منه أى المشبه به كما فى قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦] شبه إيثار الباطل على

الحق. واختياره دونه بالاشتراء الذى هو استبدال مال بآخر بجامع استبدال شىء مرغوب عنه بشىء مرغوب فيه. ثم اسعتير اسم المشبه به وهو (الاشتراء) بعد التناسى والادعاء للمشبه، وهو (الإيثار والاختيار) ثم اشتق من الاشتراء بمعنى الإيثار والاختيار (اشتروا) بمعنى آثروا واختاروا استعارة تبعية. والقرينة حالية إذ لم يقع اشتراء حقيقى بين الضلالة والهدى وقد قرنت بذكر (الربح والتجارة) اللذين هما من ملائمات الاشتراء الحقيقى وكقولك (رأيت أسداً يخطب القوم له لبدٌ) فقد استعير (أسد) للرجال الجرىء بقرينة يخطب القوم. استعارة أصلية وقد قرنت بقولك (له البد) وهو وصف خاص بالأسد لأنه الشعر المتلبد على منكبيه.

وسميت (مرشحة) لأن الترشيح معناه التقوية، وذكر ملائم للمشبه به يبعدها عن الحقيقة ويقوى فيها دعوى الاتحاد التى هى مبنى الاستعارة.

والمجردة: ما قرنت بما يلائم المستعار له أى (المشبه) كما تقول (رأيت بحراً على فرس يعطى) فلفظ (بحر) مستعار للجواد بقرينة (على فرس) وقد قرنت بما يلائم المشبه وهو قولك (يعطى) -كقول البحترى:

يؤدونَ التَّحيةَ مِنْ بعيدٍ ... إلى قمرٍ من الإيوانِ (١) باد

فالقمر مستعار للإنسان الجميل بقرينة قوله: يؤدون التحية من بعيد وقوله: (من الإيوان باد) تجريد لأنه من ملائمات الإنسان الذى هو المشبه.

وسميت (مجردة) لتجردها عما يقوى فيها دعوى الاتحاد ذلك أن ذكر ملائم المشبه يدنيها المعنى الحقيقى ويضعف فيها دعوى اتحاد الطرفين -وقد اجتمع الترشيح والتجريد فى قول زهير بن أبى سلمى:

لدى أسد شاكى السلاحِ مُقْذَفٌ ... لـه لبـدٌ أظفَـارهُ لم تقلَّم

فقوله (شاكى السلاح) أى تامة تجريد لأنه من ملائمات المشبه وهو الرجل الشجاع، و (له لبد) ترشيح، لأنه من ملائمات المشبه به وهو (الأسد) -وأما قوله (مقذف) فإن أريد به (المقذوف باللحم) كناية عن الضخامة لم يكن تجريداً ولا

(١) اسم لبناء ضخم ومنه إيوان كسرى.

ترشيحًا لملائمته لكل منهما، وإن أريد به الذى يقذف بنفسه فى المعارك -سواء أكان بآلة حرب أو بغيرها فكذلك فإن كان القذف فى المعارك بآلة حرب كان تجريدًا لأنه يناسب الشجاع من الرجال إذ هو الذى يحمل السلاح وأما قوله: (أظفاره لم تقلم) فلبس تجريدًا ولا ترشيحًا لأنه كناية عن نفى الضعف فهو قدر مشترك بين الطرفين وقرينة الاستعارة قوله: (لدى أسد) على تقدير (أنا لدى أسد) فإن كانت القرينة حالية اعتبر هذا تجريدًا لملائمته للمشبه -ومما اجتمع فيه الأمران الترشيح والتجريد قول الشاعر:

رَمَتْنَى بسهمٍ ريشهُ الكحل لم يضرَّ ظواهرَ جِلدى وهو للقلبِ جَارحُ

شبه النظر بالسهم فى شدة التأثير، واستعار السهم للنظر (وريشه) ترشيح لأنه من ملائمات المشبه به من قولهم: راش السهم إذا ألزق عليه الريش ليكون أحكم فى الرماية، و(الكحل) تجريد لأنه من ملائمات المشبه والقرينة حالية بهذا الاعتبار فإن اعتبر (الكحل) قرينة كان قوله (ريشه) ترشيحًا، واعتبرت الاستعارة مرشحة.

واعلمْ: أن اعتبار الترشيح والتجريد إنما يكون بعد استيفاء الاستعارة قرينتها فقولك: (رأيت بدرًا يضحك) استعارة لا ترشيح فيها ولا تجريد، لعدم اقترانها بما يلائم أحد الطرفين، وأما قوله (يضحك) فهو قرينة الاستعارة فلا يعتبر تجريدًا، وإن كان من ملائمات المشبه لأن التجريد أو الترشيح: (كما قلنا) إنما يعتبر بعد تمام الاستعارة وهى إنما تتم بالقرينة ولو أن القرينة فى هذا المثال حالية لكان قولك (يضحك) تجريد لأنه يلائم المشبه.



والمطلقة: ما لم تقترن بشىء من ملائمات أحد الطرفين كقولك: (عطشى إلى لقائك شديد» شبه الشوق بالعطش بجامع ما يترتب على كل من التلهف، ثم استعير العطش للشوق، والقرينة قولك (إلى لقائك) وكقولك غرست الجميل فلم يثمر. شبه فعل الجميل بالغرس بجامع ما يترتب على كل من العائدة، ثم استعير الغرس لفعل الجميل، ثم اشتق منه غرس بمعنى فعل الجميل (على سبيل الاستعارة التبعية) والاستعارة فى المثالين مطلقة لعدم اقترانها بشىء يلائم أحد الطرفين.

ومن قبيل الاستعارة المطلقة ما اجتمع فيه ترشيح وتجريد (كالبيتين السابقين) لأنهما باجتماعهما يتعارضان . فيتساقطان . فكأن لا ترشيح ولا تجريد ، اللهم إلا إذا زاد أحدهما على الآخر فإنه حينئذ يرجح جانبه وبناء عليه يكون قول (زهير) السابق : لدى أسد شاكى السلاح (البيت) من قبيل الاستعارة المجردة إن جعلت القرينة حالية . لأن ملائمات المشبه حينئذ تكون أكثر من ملائمات المشبه به -كما أن قولك (رأيت أسداً على فرس منفوش اللبدة رهيب الزئير) من قبيل الاستعارة المرشحة على تقدير أن القرينة حالية لأن ملائمات المشبه به أكثر ، فهى بهذا الاسم أجدر ، ورجح بعضهم جانب السابق لسبقه -وسميت مطلقة لإطلاقها عن التقييد بما يلائم أحد الطرفين .

موازنة بين الاستعارات الثلاث:

الاستعارة المرشحة (كما قلنا) : ما ذكر فيها ملائم المشبه به وهذا مما يزيد الاستعارة قوة ، ذلك أن مبنى الاستعارة (كما علمت) على تناسى التشبيه وادعاء أن المشبه هو المشبه به ، لا شىء سواه والترشيح الذى هو ذكر ملائم المشبه به إمعان فى هذا التناسى وغلو فى دعوى الاتحاد ، وكأن ليس هناك استعارة حتى إنك لتجد الشاعر أو الناثر يمعن فى إنكارهم ، ويخيل للسامع أن الأمر محمول على حقيقته ، لا تجوز فيه -ألا ترى إلى قول أبى تمام :

وَيَصْعَدُ حتّى يظن الجهولُ بأن له حاجةً فى السَّماءِ

فقد استعار لفظ (الصعود) وهو العلو الحسى المكانى لعلو المرتبة ، ثم بنى كلامه على أنه صعود حسى حقيقة فذكر ما يلائمه . من ظن الجهول أن له حاجة فى السماء -وإذا كان هذا شأن المرشحة كانت جديرة أن تحتل المكان الأول بين أختيها- ويلى المرشحة فى القوة الاستعارة المطلقة إذ هى (كما عرفت) ما لم يذكر معها شىء يلائم أحدالطرفين فهى -وإن خلت مما يقوى تناسى التشبيه ، ويدعم دعوى الاتحاد من ذكر ما يلائم المشبه به -ليس فيها ما ينافيها . من ذكر ملائم المشبه وإذا كان هذا حالها كانت خليقة أن تحتل مكانًا وسطًا بين المرشحة والمجردة ومن هنا يبدو لك واضحًا أن الاستعارة المجردة فى

المرتبة الدنيا لاشتمالها على ما يلائم المشبه إذ هو يتعارض مع ما نقتضيه الاستعارة من تناسى التشبيه، ودعوى الاتحاد قضاء لحق المبالغة.

قرينة الاستعارة التصريحية:

القرينة هى -كما سبق- الأمر الذى يجعل للمتكلم دليلاً على أنه أراد باللفظ غير معناه الأصلى -وهى أيضًا لفظية، وغير لفظية.

فاللفظية: لفظ يلائم المشبه يذكر فى الكلام ليصرفه عن إرادة معناه الأصلى مثال ذلك «فى الأصلية» قولك: «كلمنى بحر» فبحر مستعار للرجل العالم أو الكريم (استعارة أصلية) وقرينتها لفظ (كلمنى) لأن البحر الحقيقى لا يتكلم ومثالها (فى التبعية) قولك (قتل علىٌّ خصمه بحاد لسانه) استعار القتل للإيذاء الشديد بجامع الألم الأليم، ثم اشتق من القتل بمعنى الإيذاء الشديد (قتل) بمعنى آذى إيذاءً شديدًا، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية والقرينة قولك (بحاد لسانه) إذ ليس اللسان أداة قتل، وكل من القرينتين ملائم للمشبه«كما رأيت».

وغير اللفظية: أمر خارج من اللفظ، يصرف الكلام عن إرادة معناه الحقيقى كدلالة الحال، أو استحالة المعنى.

فمثال ما قرينته حالية: «أرى قمرًا» والسامع يرى فتاة حسناء مقبلة «فالقمر» مستعار للفتاة الجملية (استعارة أصلية) وقرينتها دلالة الحال.

ومثال ما قرينته الاستحالة قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١] شبه كثرة الماء كُثرةً جاوزت الحد بالطغيان بجامع تجاوز الحد فى كل. ثم استعير الطغيان للكثرة، واشتق منه (طغى) بمعنى كثر حتى جاوز الحد (استعارة تبعية) والقرينة استحالة صدور الطغيان من الماء إذ هو من شأن الإنسان، وكقول الشاعر:

جـمـع الحقُّ لنا فى إمـام ... قـتـل البُـخْلَ وأحْـيـا السَّـمَـاحا

استعير القتل للمحو والإزالة، واستعير الإحياء للإكثار، ثم اشتق من القتل (قتل) بمعنى أزال، ومن الإحياء (أحيا) بمعنى أكثر على سبيل الاستعارة التبعية، والقرينة استحالة وقوع القتل على البخل والإحياء على السماح.

والقرينة إما أمر واحد أو متعدد -فالأول كما فى قولنا: (رأيت بين الناس أسدًا) استعير لفظ (أسد) للرجل الجرىء، والقرينة أمر واحد هو قولنا: «بين الناس» لأنَّ الأسد الحقيقى لا يُرى بينهم، إذ هو حيوان غير مستأنس، وكقولهم: نطقت الحال بكذا فهو استعارة تبعية قرينتها شىء واحد كذلك هو استحالة قيام النطق بالحال، والثانى كقول الشاعر:

فــإن تعــافــوا العــدل والإيمان فــإن فى أيمانـنـا نيــرانـا[1]

يقول: إن كرهتم الإنصاف، وإقرار الأمور فى نصابها، وأبيتم التصديق بما جاء به النبى ﷺ قهرناكم عليها بما فى أيدينا من سيوف تلمع كمشعل النيران، استعير لفظ (النيران) للسيوف (استعارة أصلية) والقرينة على أن المراد بالنيران السيوف هى كل من (العدل والإيمان) باعتبار تعلق العيافة أى الكراهة بهما ووجه كون ذلك قرينة على أن المراد (السيوف): هو أن الذى يدعو إلى العدل والإيمان آخذ بالشريعة، وهى إنما تحمل من يخالف على الطاعة بحد السيف، لا بالإحراق، وكقولهم:

رويدك: قـد طغى حُـبِّى ودمـعى وبات القلبُ يحترقُ اشْـتِيـاقـا

استعير الطغيان للكثرة (كما تقدم) استعارة تبعية والقرينة هى كل من الحب والدمع، باعتبار تعلق الطغيان بهما تعلق استحالة.

وقد تكون القرينة معانى ملتئمة. أى مرتبطًا بعضها ببعض، بحيث يكون المجموع قرينة، لا كل واحد منها كما فى قول البحترى:

وصَـاعـقـةٌ من نَـصْلِه تَنْكـفى بهـا على أرؤس الأقرانِ خَمْسُ سَحَائبِ[2]

شبه أنامل يد الممدوح بالسحائب فى عموم العطايا، ثم استعار لفظ (السحائب) لأنامل يده، وجعل القرينة على الاستعارة مجموع أشياء- فذكر أن هناك صاعقة، وأنها ساقطة من حد سيفه: منقلبة على رؤوس الأقران. ثم ذكر عدد أصابع اليد، ، هو (خمس) فاتضح من مجموع ذلك كله أنه أراد بالسحائب: أصابع اليد لما بينها وبين السحائب: من جامع النفع، وهموم العطاء.

(١) «تعافوا» من عاف الشىء يعافه إذا كرهه ومجه، «الإيمان» الأول بكسر الهمزة التصديق، والأيمان الثانى بفتح الهمزة جمع يمين، والمراد اليد اليمنى.
(٢) الصاعقة فى الأصل نار سماوية تهلك من تصيبه، والنصل: حد السيف وتنكفى تنقلب، والأقران جمع قرن بكسر القاف وهو المماثل والنظير.

قد يقال: إن قوله (وصاعقة من نصله) كاف فى الدلالة على الاستعارة، وكذا قوله: (على أرؤس الأقران)، وكذلك تحديد العدد بالخمس، فالقرينة إذًا متعددة، وليست معانى ملتئمة متضامنة كما قيل- ويجاب: بأن الاستعارة لا يكتمل وضوحها إلا بهذه مجتمعة- وقد يجاب بأن المراد بالتئام المعانى: ارتباطها، لا على وجه العطف المؤذن بالاستقلال.

تنبيه:

ما تقدم من أن القرينة قد تكون أكثر من أمر واحد كما فى قول الشاعر المتقدم وإن تعافوا العدل (البيت) مبنى على جواز تعدد القرينة، وهذا هو الرأى الأغلب إذ لا مانع من اعتبار كل واحد قرينة على حدة.

وقال بعضهم: لا يجوز تعدد القرينة، لأن الصرف عن إرادة المعنى الحقيقى- إن كان بمجموع الأمور المذكورة، فالقرينة هى تلك الأمور مجتمعة، لا كل واحد منها وإن كان أحدها كافيًا فى الصرف على المعنى الأصلى، فلا حاجة لما عداه، فيعتبر تجريدًا، لأنه فى التصريحية من مُلاءَمات المشبه.

الاستعارة المكنية:

هى فى اصطلاح جمهور البيانيين- لفظ المشبه به المستعار فى النفس للمشبه، والمحذوف المدلول عليه بذكر لازمه كقول أبى ذؤيب الهذلى(١):



وإذا المنيـــةُ أنشـــبتْ أظفَـــارَهَا ألفَـــيتَ كــلَّ تميمـــةٍ لا تنفعُ(٢)

يقول الشاعر: إذا حان الأجل عجزت عنده الحيل، ولا مرد لقضاء الله.

وإجراؤها أن يقال: شبهت المنية بالأسد فى اغتيال النفوس ثم استعير فى النفس لفظ الأسد (للمنية)، بعد تناسى التشبيه، وادعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به ثم قدر حذفه، ودل عليه بذكر لازمه وهو (الأظفار) على سبيل الاستعارة المكنية. وكقول الشاعر:

---

(١) اسمه خويلد بن خالد أحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية.

(٢) «أنشبت» علقت و«ألفيت» وجدت و«التميمة» خرزة تجعل معاذة تعلق بعنق الصبيان صونًا لهم عن العين أو الجن على زعمهم.

وإذا العنايةُ لاحظتكَ عيونُها نَمْ فالمخاوفُ كُلُّهنَّ أمانُ

يقول: إذا حاطك الله بعنايته، وكلأك بعين رعايته كنت بمأمن من كل سوء، وفى حصانة من كل شر.

وإجراؤها بالقياس على ما تقدم- أن يقال: شبهت العناية بإنسان فى الانتفاع ثم استعير فى النفس لفظ (إنسان) للعناية، بعد التناسى والا دعاء المعروفين، ثم قدر حذفه، ودل عليه بذكر لازمه وهو (العيون) على سبيل الاستعارة المكنية- وكقول الشاعر المتقدم:

ولئِنْ نطقت بشكر ربِّك مُفْصِحًا فلسانُ حالى بالشِّكايةِ أنْطَقُ

والاستعارة فى لفظ (حالى) شبه الحال بإنسان ناطق فى الدلالة على المقصود ثم استعير فى النفس لفظ (إنسان) للحال، بعد التناسى والادعاء، ثم دل عليه بعد تقدير حذفه بذكر لازمه وهو (اللسان) على سبيل الاستعارة المكنية.

ففى هذه الأمثلة الثلاثة حذف لفظ المشبه به، وكنى عن مدلوله بذكر لازمه، ثم أثبت هذا للازم للمشبه المذكور- وكل ما كان من هذا القبيل ففيه استعارة مكنية.

(ففى المثال الأول) حذف لفظ المشبه به وهو (الأسد) وبقى المشبه وهو (المنية) وكنى عن المشبه به بذكر لازمه وهو (الأظفار) ثم أثبت هذا اللازم للمنية، فقيل: (أظفارها).

(وفى المثال الثانى) حذف لفظ المشبه به وهو (الإنسان وبقى المشبه) وهو (العناية) وكنى عن المشبه به بذكر لازمه وهو (العيون) ثم أثبت هذا اللازم للعناية فقيل: (عيونها).

(وفى المثال الثالث) حذف المشبه به وهو (الإنسان) وبقى المشبه وهو (الحال) وكنى عن المشبه به بذكر لازمه وهو (اللسان). ثم أثبت هذا اللازم (للمشبه) فقيل (لسان حالى)- وهكذا فالمذكور فى المكنية من الطرفين هو المشبه دائمًا (عكس الاستعارة التصريحية).

والدليل على التشبيه حينئذ إثبات ذلك اللازم، لأن إثبات لازم الشىء لغيره إنما يدل على أن ذلك الغير مشبه بذلك الشىء، ومنزل منزلته، وإلا ما أثبت له لازمه - وسميت الاستعارة المذكورة (مكنية) لأنه كنى فيها عن المشبه بذكر لازمه (كما عرفت).

تنبيه: أن اللازم المراد إثباته للمشبه يجب أن يكون به كمال وجه الشبه فى ينبغى أن يعلم: فالأول كما فى بيت الهذلى فإن وجه الشبه المشبه به، أو أن يكون به قوامه ووجوده- فالأول كما فى بيت الهذلى فإن وجه الشبه فيه بين الأسد والمنية هو (الاغتيال) والاغتيال فى الأسد يحصل بشىء آخر غير الأظفار (كأنياب) لكنه بالأظفار يكمل ويتم- والثانى كما فى قول الشاعر الآخر: (فلسان حالى بالشكاية أنطق) فإن وجه الشبه بين الإنسان والحال هو (الدلالة) وهى لا تتحقق بدون اللسان اهـ.

قرينة المكنية:

هى إثبات لازم المشبه به المحذوف للمشبه المذكور، كإثبات الأظفار (للمنية) فى بيت الهذلى المتقدم فإن إثباتها لها قرينة على أنها مشبهة بما له أظفار (كالأسد)، وأن لفظ (الأسد) مستعار فى النفس للمنية.

وإثبات هذا اللازم يسمى عندهم (استعارة تخيُّلية)- أما أنه استعارة فلأن اللازم المذكور - وهو الأمر المختص بالمشبه به- قد استعير (للمشبه) واستعمل معه، وأما أن الاستعارة تخيلية فلأن ذلك اللازم لما نقل واستعمل مع المشبه خيل للسامع: أن المشبه من جنس المشبه به ومن هنا يتبين لك أمران:

الأول: أن قرينة المكنية استعارة تخيُّلية دائما، وأنهما متلازمان فلا توجد إحداهما بدون الأخرى، لأن المكنية لا بد لها من قرينة، وقرينة المكنية لا تكون إلا تخيلية (كما عرفت).

الثانى: أن طرفى الاستعارة التخيلية مستعملان فى المعنى الحقيقى لهما (فالأظفار والمنية) كلاهما مستعمل فى المعنى الموضوع له والتجوز إنما هو إثبات الأظفار للمنية. إذ أن المنية لا أظفار لها، فهو إثبات الشىء لغير ما هو له- كما فى إثبات الإنبات للربيع فى نحو: أنبت الربيع الزرع إذا صدر من الموحد فإن كلا من الإنبات والربيع مستعمل فى حقيقته والتجوز إنما هو فى إثبات الإنبات للربيع[1].

(١) تنقسم المكنيه كالتصريحية إلى أصلية وتبعية وإلى مرشحة ومجردة ومطلقة- فالأصلية كاستعارة اسم الجنس فى نحو قول الشاعر: وإذا العناية لاحظتك عيونها، فالمستعار هنا لفظ «إنسان» المحذوف وهو اسم جنس - والمكنية التبعية كاستعارة اسم المشتق فى قولك: يعجبنى إراقة الضارب دم الباغى- وإجراؤها=

تمرين

١- عرف المجاز العقلى ومثل له بمثالين من عندك أحدهما لإسناد الفعل، والآخر لإسناد ما هو بمعنى الفعل.

٢- بين علاقة المجاز العقلى فى مثال من إنشائك، مع بيان القرينة.

٣- عرف قرينة المجاز العقلى، ثم إيت بمثال تكون قرينة المجاز العقلى فيه؛ معنوية، وبآخر تكون القرينة فيه لفظية.

٤- عرف المجاز المفرد، وبين محترزات التعريف ثم إيت له من إنشائك بمثالين مختلفى العلاقة.

٥- بين علاقة المجاز المفرد، ثم قسمه باعتبارها، عرف كل قسم، ثم أجر الاستعارة فى قولك: لقينى قمر أمس، وبين أركانها فيه.

٦- اذكر ما يجب توفره من الشروط لتحقيق الاستعارة وهل قولهم رأيت بين برديه القمر من قبيل الاستعارة، مع ما تراه فيه من الجمع بين الطرفين، وهو ممتنع فيها؟ وجه ما تقول.

٧- لم اشترط فى الاستعارة: أن يكون المستعار منه كلياً عاماً، وكيف صحت فى مثل (حاتم وباقل) مع تشخيصهما المانع من العموم مما وضح ذلك وضوحًا تاماً.

= أن يقال: شبه الضرب الشديد بالقتل بجامع الإيذاء الشديد واستعير القتل للضرب الشديد، واشتق من القتل «قاتل» بمعنى ضارب ضربًا شديداً ثم حذف ودل عليه بلازمه وهو «الإراقة» والقرينة إثبات الإراقة للضارب- والمكنية المرشحة نحو: شم على رائحة العلم شبه العلم بالمسك وحذف المشبه به ودل عليه بلازمه وهو «الرائحة» والقرينة إثبات الرائحة للعلم، وقوله «شم» ترشيح للاستعارة لأنه من مُلاءَمات المسك - والمكنية المجردة كقول الشاعر:

نقريهم لهذميات نقد بها ... ما كان خاط عليهم كل زراد

«اللهذميات» جمع لهذم كجعفر القاطع من الأسنة و«نقد» نقطع «والزراد» ناسج الزرد بفتح الراء وهو الدرع من الحديد شبه- اللهذميات بما يقدم للضيوف من الطعام، ثم حذف المشبه به ودل عليه بشيء من لوازمه، وهو قوله: «نقريهم» فإن «القرى» تقديم الطعام وهو من مُلاءَمات المشبه به والقرينة إثبات القرى للهذميات، وقوله «نَقُدُّ» تجريد للاستعارة لأنه من مُلاءَمات المشبه- والمكنية المطلقة كما فى قولهم نطقت الحال بكذا، استعير الإنسان للحال ثم حذف ودل عليه «بنطق» والقرينة إثبات النطق لها.

٨- قسم الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار. ثم إيت لكل قسم بمثال وأجر الاستعارة فيه ثم بين نوع الاستعارة وأجرها فى قولنا: نحن فى أمن، ودعة.

٩- قسم الاستعارة باعتبار ذكر الملائم، وعدم ذكره وعرف كل قسم مع التمثيل ومن أى نوع قول القائل: بهرنى درٌ لم يثقب؟

١٠- أى الاستعارات أبلغ- المرشحة، أم المجردة، أم المطلقة، وما وجه الأبلغية؟ مثل لكل ما تقول، مع التوجيه.

١١- بين الاستعارة وقرينتها فى قول الشاعر:

فإن تعافوا العدل والإيمانا فإن فى إيماننا نيرانا

١٢- عرف الاستعارة المكنية، ومثل لها، مع إجرائها فيما تمثل به وبين علة تسميتها (مكنية) ثم أجرها فى قولك: عين الرعاية تلحظك.

١٣- يقولون: إن قرينة المكنية استعارة تخيلية وإنهما متلازمان بين علة هذه التسمية، وسبب هذا التلازم.

١٤- بين فى التشبيهات الآتية وجه الشبه، ثم حول كلا منها إلى استعارة تصريحية مبينًا قرينتها:

١- فوق الأغصان بلابل تغرد كأنها القيان.

٢- النجوم فى السماء كالدر المنثور.

٣- قوم إذا نهضوا لنجدةِ صارخٍ ركبوا الجيادَ كأنهن رياحُ

٤- وإن صخراً لتأتم الهداة به كأنهَ علمٌ فى رأسه نارُ

٥- كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبه

١٥- بين الاستعارات الآتية الجامع بين الطرفين ثم حول كلا منها إلى تشبيه:

١- ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

٢- ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾

٣- ما أروع النجم منثوراً على الأغصان

٤- ما أجمل الخدود تختال على سيقانها

٥- يا ابن الكواكب من أئمة هاشم

٦- أخذت العلم عن بحر لا ساحل له .

٧- بكت لؤلؤاً رطباً ففاضت مدامعي عقيقاً[١] فصار الكلُّ في نَحْرِها عقداً

١٦- بين نوع الاستعارة وقرينتها والجامع فيما يأتي :

١- تنام ولم تنم عنك المنايا تنبه للمنية يا نؤوم

٢- ومن لم يعشق الدنيا قليل ولكن لا سبيل إلى الوصال

٣- أتته الخلافة منقادة إليه تُجررُ أذيالها

٤- إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق

٥- إذا تُباعُ كريمةٌ أو تشترى فسواكَ بائعُها وأنت المشْترى

٦- من كان مرعى عزمه وهمومه روض الأماني لم يزل مهزولا

٧- عضَّنا الدَّهرُ بنابه ليْتَ ما حل بنا به

٨- بكت لؤلؤاً رطباً ففاضت مدامعي عقيقاً فصار الكل في نحرها عقدا

٩- أنفقت عمري في رضاك وليتني أعطى وصولا [٢] بالذى منفق

الجواب على سؤال ١٤

١- وجه الشبه حسن النغم ، والاستعارة فيه أن يقال : فوق الأغصان قيان تغنين والقرينة قوله : فوق الأغصان .

٢- وجه الشبه التألق والاستعارة فيه أن يقال : في السماء الدر المنثور والقرينة قوله : «في السماء» .

٣- وجه الشبه السرعة والاستعارة فيه أن يقال : ركبوا الرياح والقرينة قوله : (ركبوا) .

(١) معدن كريم أحمر اللون.

(٢) جمع وصل وهو صك يُؤْخذ على المدين استيثاقاً.

٤- وجه الشبه الوضوح والهداية والاستعارة فيه أن يقال راعنى علم فى رأسه نار والقرينة حالية.

٥- وجه الشبه الهيئة الحاصلة من ظهور أجرام مشرقة، مستطيلة، متناسبة المقادير، متحركة بسرعة إلى جهات مختلفة، فى جوانب شيء مظلم والاستعارة فيه أن يقال: هالنى ليل تهاوى كواكبه والقرينة حالية.

تمرين على هذا السؤال يطلب جوابه

كأنك شمس والملوك كواكب ... إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

فأصبحتُ من لَيْلِى الغداة كقابضٍ ... على الماءِ خانته فروجُ الأصابعِ

له خال على صفحات خدٍّ ... كنقطة عَنْبَرٍ فى صحن مَرْمَر

تزجى أغن كأن إبرة روقه ... فلم أصاب من الدواة مدادها

وإذا أشار محدثًا فكأنه ... قرد يقهقه أو عجوز تلطم

الجواب على السؤال ١٥

١- الجامع بين الطرفين: أن كلا موصل إلى المطلوب والتشبيه فيهما أن يقال: أهدنا دينًا كالصراط المستقيم.

٢- الجامع بين الطرفين فى الأول عدم الاهتداء والتشبيه فيهما أن يقال ليخرج الناس من الضلال الذى كالظلمات والجامع بينهما فى الثانى الهداية والتشبيه فيهما يقال: إلى الإيمان الذى كالنور.

٣- الجامع بين الطرفين التألق والحسن والتشبيه فيهما أن يقال: ما أروع الزهر منثورًا على الأغصان كالنجم.

٤- الجامع بين الطرفين الحمرة والتشبيه فيهما أن يقال: ما أجمل الوردة تتوهج كخدود الملاح.

٥- الجامع بين الطرفين الرفعة والهداية، والتشبيه فيهما أن يقال: يا ابن الأئمة الذين هم كالكواكب.

٦- الجامع بينهما الإمداد والاتساع والتشبيه فيهما أن يقال: أخذت العلم عن عالم أو كريم كالبحر لا ساحل له.

٧- الجامع بينهما التألق والصفا والتشبيه فيهما أن يقال: بكت دمعًا كاللؤلؤ.

تمرين يجاب عليه قياسًا على ما سبق

وصاعقة من نصله تنكفي بها ... على أرؤس الأقران خمس سحائب

فأمطرت لؤلؤًا من نرجس وسقت ... وردًا وعضت على العناب بالبرد

رأيت شمسًا (تريد إنسانًا مشرق الوجه) ونزلت على حاتم (تريد سمحًا جوادًا) رمتني بسهم ريشه الكحل، لدى أسد شاكي السلاح.

الجواب على السؤال ١٦

١- فى (تنام) استعارة تصريحية تبعية مرشحة شبه التغافل بالنوم والجامع عدم النفع واستعير النوم للتغافل واشتق منه (تنام) بمعنى تتغافل.

وفى (المنايا) استعارة مكنية أصلية. شبهت المنايا بالعدو والجامع الكراهة والأذى واستعير العدو للمنايا ثم حذف ودل عليه بلازمه وهو (نفى النوم عنه) والقرينة إثبات هذا الفعل منفياً للمنايا- وقوله: (تنبه يا نؤوم) ترشيح للاستعارة الأولى.

٢- فى (يعشق) استعارة تصريحية تبعية مرشحة شبه الاشتغال بالدنيا بالعشق والجامع التعلق والاهتمام فى كل، واستعير العشق للاشتغال واشتق منه يعشق بمعنى يشتغل- ويصح أن يكون فى لفظ (الدنيا) استعارة مكنية أصلية مرشحة شبهت الدنيا بامرأة جميلة، والجامع الأخذ بمجامع القلوب ثم استعيرت المرأة للدنيا وحذفت ودل عليها بلازمها وهو (يعشق). والقرينة إثبات العشق الذى هو من مُلاءمات المرأة للدنيا وقوله: (ولا سبيل إلى الوصال) ترشيح للاستعارتين.

٤- فى (الخلافة) استعارة مكنية أصلية مرشحة شبهت الخلافة بامرأة حسناء والجامع ميل النفس فى كل ثم استعيرت المرأة للخلافة وحذفت ودل عليها بذكر لازمها وهو (أتته) والقرينة إثبات الإتيان للخلافة وقوله: (منقادة) وتُجرِّرُ أذيالها ترشيح.

٤- فى (امتحن) استعارة تصريحية تبعية. شبه الاشتغال بالدنيا بالامتحان والجامع

حصول التعب فى كل، ثم استعير (الامتحان) للاشتغال واشتق منه (امتحن) بمعنى اشتغل والقرينة استحالة وقوع الامتحان (بالمعنى المعروف) على الدنيا- ويصح أن يكون فى لفظ (الدنيا) استعارة مكنية أصلية مرشحة شبهت الدنيا بإنسان مخادع والجامع عدم الثبات على حال ثم استعير الإنسان للدنيا ثم حذف ورمز له بلازمه. وهو قوله (امتحن) والقرينة إثبات الامتحان الذى هو من مُلاءَمات المشبه به للدنيا، وقوله: تكشفت له عن عدو إلخ ترشيح.

٥- فى (تباع) أو (تشترى) استعارة تصريحية تبعية مرشحة شبه الاستبدال بالبيع أو الاشتراء ثم استعير البيع أو الاشتراء للاستبدال، ثم اشتق منهما (تباع أو تشترى) بمعنى تستبدل - ويصح أن يكون فى لفظ (كريمة) استعارة مكنية أصلية مرشحة شبهت الخلة الكريمة بجوهرة. والجامع الحسن فى كل ثم استعيرت الجوهرة للخلة الكريمة وحذفت ودل عليها بذكر لازمها وهو (البيع أو الاشتراء) والقرينة إثبات البيع أو الاشتراء اللذين هما من مُلاءمات الجواهر للخلة الكريمة، وقوله: (فسواك بائعها وأنت المشترى) ترشيح للاستعارة.

٦- فى كل من (العزم والهموم) استعارة مكنية أصلية مرشحة شبه كل منهمابماشية والجامع قبول الانقياد ثم استعير لفظ (الماشية) لكل من العزم والهموم ثم حذفت ودل عليه بلازمه وهو قوله: (مرعى) والقرينة إثبات المرعى للعزم والهموم وقوله (لم يزل مهزولا) ترشيح لملاءمته للمشبه به وهو الماشية.

٧- فى «عضنا» استعارة تصريحية تبعية مرشحة، شبه إيلام حوادث الدهر بالعضّ، والجامع التأثير فى كل، واستعير العضُّ للإيلام واشتق منه (عض) بمعنى آلم، والقرينة استحالة قيام العض بالزمان - ويصح أن يكون فى لفظ (الدهر) استعارة مكنية أصلية مرشحة، شبه الدهر بحيوان مفترس والجامع الأذى فى كل، واستعير الحيوان للدهر، وحذف ،ودل عليه بلازمه وهو (العض) والقرينة إثبات العضّ الذى هو من مُلاءَمات الحيوان للدهر، ولفظ (الناب) ترشيح للاستعارتين.

٨- فى (اللؤلؤ) استعارة تصريحية أصلية مرشحة شبه الدمع باللؤلؤ والجامع الصفاء والتألق فى كل ثم استعير اللؤلؤ للدمع والقرينة قوله: (بكت) وقوله: (فى نحرها عقدا) ترشيح لأنه يناسب المشبه به.

٩- فى (أنفق) استعارة تصريحية تبعية مرشحة، شبه إفناء العمر بإنفاق المال والجامع التصرف فى كل، ثم استعير الإنفاق للإفناء واشتق منه (أنفق) بمعنى أفنى والقرينة استحالة وقوع الإنفاق بالمعنى المعروف على العمر - ويصح أن يكون فى لفظ (العمر) استعارة مكنية أصلية مرشحة شبه (العمر) بالمال والجامع الانتفاع فى كل، واستعير المال للعمر ثم حذف ودل عليه بلازمه وهو (أنفق) والقرينة إثبات الإنفاق الذى هو من مُلاءمات المال للعمر، وكل من (وصولا ومنفق) ترشيح للاستعارتين.

تمرين على هذا السؤال يطلب جوابه

بين نوع الاستعارة وقرينتها والجامع فيما يأتى:

أصون عرضى بمالى، لا أدنسه ... لا بارك الله بعد العرض فى المال

إذا المرء لم يَبْنِ افتخاراً لنفسه ... تضايق عنه ما بنته جدوده

ازرع جميلا ولو فى غير موضعه ... فلا يضيع جميل أينما زرعا

سقاه الردى سيفًا إذا سل أومضت ... إليه ثنايا الموت من كل مرقب

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم ... دجى الليل حتى نظم الجذع ثاقبه

وما الموت بين الناس إلا مهند ... بكف المنايا والنفوس له غمد

لقد نبتت فى القلب منك محبة ... كما نبتت فى الراحتين الأصابع

ما مات من كرم الزمان فإنه ... يحيا لدى يحيى بن عبد الله

إذا أراد اللهُ نشرَ فضيلة ... طويت أتاحَ لها لسانَ حسودِ

أعلل النفس بالآمال أرقبها ... ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل

يا ابن النجوم الغر من آل هاشم ... رشفت الأدب من بحر لا يَسْبِرُ غوره(١)

اكفهر(٢) وجه السماء. «وآية لهم الليل نسلخ منه النهار». أنت فى رغد(٣) من العيش الهجر أقتل لى مما أراقبه. إذا غرست جميلا فاسقه غدقا(٤). رأيت بالمسجد

(١) «السبر» امتحان عمق الشىء و«غوره» القعر، والمعنى: لا يدرك عمقه.
(٢) اغبر وتغير. (٣) فى سعة وبسط. (٤) الغدق: الماء الكثير.

بحراً يعظ الناس «ينقضون[١] عهد الله من بعد ميثاقه». محمد قتل الإجرام» وأحيا السلام.

***

فصل فى شرائط حسن الاستعارة:

تحسن الاستعارة فى اعتبار البلغاء إذا توفرت الشروط الآتية بعد:

١- أن تراعى جهات حسن التشبيه لأنها مبنية عليه فهى تابعة له فى الحسن والقبح فإن حسن حسنت، وإن قبح قبحت.

فمن جهات حسن التشبيه: أن يكون وافيًا بالغرض منه - فإن كان الغرض منه مثلا تزيين المشبه «كوجه أسود»، فشبه بمقلة الظبى ذات السواد الجميل. ثم استعير له لفظها فقيل: «رأيت مقلة ظبى»، وأريد ذلك الوجه الأسود حسنت الاستعارة لوفاء التشبيه بالغرض فإذا شبه الوجه المذكور بالفحم لإفادة هذا الغرض ثم استعير له لفظه، فقيل: رأيت قطعة فحم، وأريد الوجه الأسود لم تحسن الاستعارة لعدم حسن التشبيه إذ لم يف بالغرض المطلوب - وإن كان الغرض منه تشويه وجه أسود عليه آثار الجدرى، فشبه بحمأة[٢] يابسة قد نقرتها الديكة، ثم استعير له لفظها، فقيل: رأيت حمأة منقورة، وأريد الوجه الأسود المجدور حسنت الاستعارة لوفاء التشبيه بالغرض منه، ولو شبه الوجه المذكور لإفادة هذا الغرض بقطعة منقبة من معدن كريم أسود اللون، ثم استعير له لفظها فات الحسن- وهكذا يقال فى سائر أغراض التشبيه السابقة.

ومن جهات حسن التشبيه: أن يكون وجه الشبه غير مبتذل بأن يكون غريبًا لطيفًا لكثرة التفصيل فيه مثلاً كما سبق فى تشبيه الشمس بالمرآة فى كف الأشل، إذ قد اعتبر فى الوجه: الاستدارة، والإشراق، والتموج، والحركة السريعة المتصلة فإذا استعير لفظ «المرآة فى كف الأشل» للشمس فقيل: «رأيت مرآة فى كف أشل» مرادًا به «الشمس» لقرينة حالية حسنت الاستعارة لحسن التشبيه لما فيه من الدقة بكثرة الاعتبارات - فإذا كان وجه الشبه مبتذلاً كما فى استعارة «الأسد» للرجل الجرئ فات الحسن.

ويستثنى من جهات حسن التشبيه شىء واحد، تحسن فيه الاستعارة، ولا يحسن

(١) نقض البناء أزال لبناته، ونقض الحبل فك طاقاته.

(٢) الحمأة: الطين الأسود.

التشبيه، وهو أن يقوى الشبه بين الطرفين جداً حتى يخيل لك أنهما متحدان كالشبه بين العلم والنور أو بين الشبهة والظلمة ففى مثل هذا تحسن الاستعارة، فتقول: فى قلبى نور أى علم، ولا يحسن التشبيه، فلا تقول فى قلبى علم كالنور كما يحسن أن تقول: فى قلبى ظلمة أى شبهة ولا يحسن أن تقول: فى قلبى شبهة كالظلمة.

وإنما قبح التشبيه فى مثل هذا لقوة الشبه بين الطرفين حتى كأنهما شيء واحد فإجراء التشبيه بينهما بمثابة تشبيه الشيء بنفسه وحسنت فيه الاستعارة لاختفاء شبح التشبيه فيهما لفظًا.

٢- أن يزداد بعدها عن الحقيقة بالترشيح. ولذلك كانت المرشحة أكثر قبولاً فى ذوق البلغاء من أختيها- المجردة، والمطلقة.

٣- ألا يكون وجه الشبه خفياً جداً فلا تحسن استعارة لفظ «أسد» للرجل الأبخر، وهو ذو الفم المنتن لخفاء وجه الشبه إذ أن انتقال الذهن من معنى الأسد إلى الرجل إنما يكون باعتبار المعنى المشهور فى الأسد وهو «الجرأة» لا «البخر»، فاستعارة لفظ «الأسد» للأبخر حينئذ يعد إلغازاً وتعمية فى المراد.

٤- ألا يشم فيها رائحة التشبيه لفظًا بألا يذكر فى الكلام لفظ يدل على المشبه كما فى قولنا: زارنى قمر فى منزلى فليس فى العبارة لفظ دال على المشبه أما الاستعارة فى قول الشاعر المتقدم:

لا تعجبوا من بلى غلالته ... قد زر أزراره على القمر

فقليلة الحسن لما فيها من إشمام رائحة التشبيه، بسبب ذكر لفظ دال على المشبه، وهو الضمير فى قوله «غلالته» أو فى «زر أزراره» وهذا يتنافى مع ما ترمى إليه الاستعارة- بيان ذلك: أن الغرض من الاستعارة على ما تقدم: إظهار المبالغة فى التشبيه بادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به ومقتضى هذا: أن يستويا فى وجه الشبه وإشمام رائحة التشبيه بما ذكرنا يلفت الذهن إلى ما هو معلوم فى أصل التشبيه: من أن المشبه به أقوى فى وجه الشبه من المشبه وهذا يتعارض مع ما تقتضيه الاستعارة من دعوى التساوى بين الطرفين، وتناسى التشبيه فيهما.

هذا وحسن الاستعارة التخييلية تابع لحسن المكنية لأنها تابعة لها فى الوجود، فينبغى أن تتبعها فى كل ما يعرض لها من حسن أو قبح.

المجاز المرسل:

سبق أن قسمنا المجاز المفرد باعتبار العلاقة إلى قسمين:

أحدهما: الاستعارة وهى مجاز علاقته المشابهة. وقد تقدم الكلام فيها.

والثانى: المجاز المرسل وهو ما نحن بصدد الكلام فيه.

تعريفه: هو الكلمة المستعملة فى غير المعنى الذى وضعت له لعلاقة غير المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الموضوعة له كما فى قولنا: «رعت الإبل الغيث» ففى «الغيث» مجاز مرسل لأنه كلمة نقلت من معناها الأصلى وهو «الماء» إلى معنى آخر وهو «النبات» بقرينة «الرعى» فإن الغيث لا يرعى، وليست له العلاقة بين النبات والماء مشابهة كما ترى إنما العلاقة بينهما هى: أن أحدهما سبب فى الآخر ولا شك أن الغيث سبب فى النبات وكفى هذه السببية علاقة، تصحح استعمال الغيث فى النبات.

وسمى مجازاً مرسلاً لأنه أرسل أى أطلق عن التقييد بعلاقة واحدة، وأن له عدة علاقات سيأتى بيانها بعد- أو لأنه أرسل عن دعوى الاتحاد المعتبرة فى الاستعارة إذ ليست العلاقة بين المعنيين فى المجاز المرسل المشابهة حتى يدعى اتحادهما.

قيل: إن ما عللوا به فى تسمية القسم الأول (استعارة) من أن اللفظ منقول ومستعار من معناه الأصلى للمعنى المراد كالثوب المستعار من صاحبه لغيره يصح التعليل به فى المجاز المرسل فإن اللفظ فيه أيضًا منقول ومستعار من معناه الأول لمعنى آخر كلفظ (الغيث) المنقول من معنى (الماء) إلى معنى (النبات) ومقتضى هذا، أن يسمى المجاز المرسل (استعارة).

أجيب: أن هذه التسمية مجرد اصطلاح؛ قصد بها التفرقة بين نوعين من المجاز، مختلفى العلاقة.

علاقات المجاز المرسل:

للمجاز المرسل علاقات عدة أشهرها وأكثرها استعمالاً ما يلى بعد:

١- السببية- هى أن يكون المعنى الأصلى للفظ المذكور سببًا فى المعنى المراد كما تقدم فى قولنا: (رعت الإبل الغيث) أى النبات ففى (الغيث) مجاز مرسل علاقته

السببية لأن المعنى الأصلي للغيث سبب في المعنى المراد الذي هو (النبات)، والقرينة قوله (رعت) إذ أن الغيث لا يرعى.

٢- المسببية- وهي أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور سببًا عن المعنى المراد كقولك (أمطرت السماء نباتًا) أي ماء (فالنبات) مجاز مرسل علاقته المسببية لأن المعنى الأصلي (للنبات) مسبب عن المعنى المراد الذي هو (الماء) والقرينة قوله: (أمطرت) إذ أن النبات لا يمطر.

٣- اللازمية[1]- هي أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور لازمًا للمعنى المراد، أي يلزم من وجود المعنى المراد وجوده كما تقول: بزغ الضوء تريد (الشمس) فالضوء مجاز مرسل علاقته اللازمية، لأن المعنى الأصلي للضوء لازم للمعنى المراد الذي هو (الشمس) إذ يلزم من وجود الضوء، والقرينة قوله: (بزغ) إذ البزوغ وصف لجرم الشمس، لا للضوء.

٤- الملزومية- هي أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور ملزومًا للمعنى المراد أي يلزم من وجوده وجود المعنى المراد كما تقول: ملأت الشمس المكان، المراد الذي هو «الضوء» والقرينة قوله: «ملأت» فهو وصف للضوء لا للجرم المعروف كما لا يخفى.

٥- الكلية- هي أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور كلا متضمنًا للمعنى المراد كقوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم﴾ [البقرة: ١٩] أي: أناملهم ففي «أصابعهم» مجاز مرسل علاقته الكلية، لأن المعنى الأصلي للأصابع كل الأنامل، متضمن لها، والقرينة استحالة وضع الأصابع كلها في الآذان عادة.

٦- الجزئية- هي أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور جزءًا من المعنى المراد كقوله تعالى: ﴿وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢] أي عبد مؤمن ففي «رقبة» مجاز مرسل علاقته الجزئية لأن المعنى الأصلي للرقبة جزء من العبد، والقرينة أن التحرير إنما يكون للذات كلها، لا لجزء منها إذ أن العتق لا يتجزأ. وكقولهم: «بث الملك عيونه» أي رقبائه جمع رقيب، وهو يرقب حركات العدو ففي (العيون) مجاز مرسل علاقته

---

(١) المراد باللزوم هنا عدم الانفكاك لا مطلق ارتباط.

الجزئية لأن المعنى الأصلى للعين جزء من الرقيب والقرينة استحالة بث العيون وحدها وكقول معدبن أوس المزنى [1] فى ابن أخته :

أعلمـــه الرمـــاية كل يوم فلما اشتـد [2] ساعده رمانى

وكم علمتـــه نظم القـــوافى فلمّــا قــال قــافيــة هجانى

يريد : «فلما قال قصيدة» ففى لفظ «قافية» مجاز مرسل علاقته الجزئية لأن المعنى الأصلى للقافية جزء من القصيدة والقرينة قوله : «هجانى» لأن الهجاء لا يتأتى من القافية وحدها غير أنه يشترط لهذه العلاقة أحد أمور ثلاثة :

الأول: أن يكون انتفاء الجزء مستلزمًا لانتفاء الكل ، كما فى إطلاق الرقبة على الذات فى المثال الأول إذ ليس من شك اليقين أن إعدام الرقبة إعدام الذات فلا يصح حينئذ إطلاق اليد أو الرجل أو الأذن على الإنسان مجازًا مرسلا لأنها أجزاء لا يستلزم انتفاؤها انتفاء الإنسان عادة .

الثانى: أن يكون للجزء مزيد اختصاص بالمعنى المقصود من الكل كما فى إطلاق العين على الرقيب فى المثال الثانى فإن المعنى المقصود من الرقيب . هو الاطلاع والتجسس ولا شك أن للعين مزيد اختصاص فى تحقق هذا المعنى إذ بانعدامها ينعدم معنى الرقابة فإطلاق الأذن مثلاً على الرقيب مجازًا مرسلاً لا يحسن إذ ليس لها مزيد اختصاص بالمعنى المقصود من الرقيب .

الثالث: أن يكون الجزء أشرف بقية الأجزاء كما فى إطلاق القافية على القصيدة فى المثال الثالث إذ لا ريب أن القافية هى الأساس الذى تبنى عليه القصيدة فهى إذًا أشرف التفاعيل ، وأولاها بالاعتبار فلا يجوز إطلاق أى جزء آخر من أجزاء البيت على القصيدة مجازًا مرسلاً ، إذ ليس له من الاعتبارات ما للقافية .

٧ الحالية- أن يكون المعنى الأصلى للفظ المذكور حالاً فى المعنى المراد كقوله تعالى: ﴿ وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله ﴾ [آل عمران : ١٠٧] أى ففى جنة الله، فقوله: «فى رحمة الله» مجاز مرسل علاقته الحالية إذ أن رحمة الله بمعنى نعمه وآلائه حالة فى جنته والقرينة استحالة ظرفية الرحمة بمعناها الحقيقى- ومثله قول الشاعر :

(١) هو شاعر مخضرم القول فى باب الحكم وفى الشعر الخلقى.

(٢) يروى بالسين المهملة من التسديد فى الرمى أى الإصابة فيه.

قل للجبان إذا تأخر سرجه هل أنت من شرك المنية ناجي؟

يريد: إذا تأخر فرسه، أي تقاعس ورجع إلى الخلف خوفًا وجبنًا «فسرجه» مجاز مرسل علاقته الحالية لأنه حالٌّ فوق ظهر الفرس.

٨- المحلية- هي أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور محلاً للمعنى المراد كقوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَه﴾ [العلق: ١٧][1] أي أهل النادي، ففي «ناديه» مجاز مرسل علاقته المحلية لأن المعنى الأصلي للفظ (النادي) محل المعنى المراد الذي هو الأهل والقرينة استحالة دعاء النادي بمعناه الحقيقي وكقوله تعالى ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] أي أهل القرية (فالقرية) مجاز مرسل علاقته المحلية لأن القرية بمعناها الحقيقي محل لساكنيها، والقرينة استحالة سؤال القرية بمعناها الأصلي أي على أحد الاحتمالين في المثالين[2].

٩- الآلية- أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور آلة ووسيلة للمعنى المراد كقوله تعالى: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤] أي ذكرًا صادقًا وثناء عطرًا فيمن يأتي بعدي من الأمم ففي (لسان صدق) مجاز مرسل علاقته الآلية لأن اللسان بمعناه الأصلي آلة وواسطة للذكر الحسن الذي هو المعنى المراد، والقرينة: استحالة بقاء هذه الجارحة بمعناها الحقيقي فيمن يأتي من الأمم بعد- ومنه قول الشاعر: (أتاني لسان منك لا أستسيغه) أي ذكر لا يسر أطلق عليه اللسان مجازًا مرسلا لأنه آلة الذكر وقرينته استحالة إتيان اللسان بمعناه الحقيقي.

١٠- اعتبار ما كان- وهو أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور سابق الحصول على المعنى المراد كقوله تعالى: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَى[3] أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٢] يريد البالغين ففي لفظ (اليتامى) مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان لأن المعنى الحقيقي (لليتيم) سابق الوجود على المعنى المراد، وهو (البالغ)، والقرينة على أن المراد باليتامى: البالغون منهم الأمر بدفع الأموال لهم أي تمكينهم منها بالتصرف فيها ولا يكون ذلك إلا بعد البلوغ.

١١- اعتبار ما يكون- أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور مستقبل الحصول ظنًا

(١) نادي القوم: مجتمعهم كالمنتدى.
(٢) والاحتمال الآخر أن يكون مجازًا بالحذف.
(٣) اليتامى: جميع يتيم وهو من الإنسان صغير فقد أباه، ومن الحيوان رضيع فقد أمه.

أو يقينًا فالأول كقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٣٦] يريد (عنبًا) يؤول عصيره إلى خمر، ففي قوله: (خمرًا) مجاز مرسل علاقته: اعتبار ما يكون، أي ما يؤول إليه عصيره فيما بعد من الاختمار فالمعنى الحقيقي للخمر مستقبل الوقوع وإنما كان هذا المآل مظنونًا لاحتمال أن يقوم حائل دون الاختمار، والقرينة على أن المراد بعنب لفظ «الخمر» لأنها عصير والعصير لا يعصر، ومثل قوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١] أي بطفل يؤول إلى غلام- والثاني قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] يريد: إنك سوف تموت وإنهم سوف يموتون فالتعبير «بميت» مجاز مرسل علاقته اعتبار ما يكون أي ما سيؤول إليه حالهم من المصير المحتوم، والقرينة على التجوز مقام الخطاب لأن من مات فعلا لا يخاطب.

١٢- المجاورة- أن يكون الشيء مجاوراً لآخر فى مكانه كإطلاق «الراوية» على القربة فى قولك: «خلت الراوية من الماء» تريد: القربة، ومعنى الراوية فى الأصل «الدابة» التى يستقى عليها فالراوية حينئذ مجاز مرسل علاقته المجاورة لمجاورة الدابة للقربة عند حملها والقرينة لفظ «خلت» لأن الذى يخلو من الماء هو الوعاء، لا الحيوان- ومما علاقته المجاورة إطلاق العلم على الظن، أو العكس لتقاربهما فى المعنى فهما متجاوران.



١٣- البدلية- وهو أن يكون الشيء بدلاً عن آخر كإطلاق القضاء على الأداء فى قوله تعالى: ﴿إِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٠٣] يريد: «فإذا أديتم» لأن الإتيان بالصلاة فى وقتها يسمى أداء، لا قضاء فالتعبير بالقضاء بدلاً عن الأداء مجاز مرسل علاقته «البدلية» والقرينة مقام الخطاب إذ أن الخطاب مع من يوفون الصلاة فى أوقاتها ومثل هذا يسمى عندهم أداء.

١٤- المبدلية- وهى أن يكون الشيء مبدلاً عنه آخر كإطلاق الدم على الدية فى قول الشاعر، يتبرم بعشرة زوجته ويتوعدها بالزواج عليها:

أكلت دمًا إنْ لمْ أرعكِ بضُرةٍ بعيدة مهوى القرطِ طيبةِ النشرِ(١)

---

(١) راعه أخافه. والضرة بفتح الضاد إحدى الزوجتين أو الزوجات والقرط ما يعلق فى شحمة الأذن. وبعيدة مهوى القرط: كناية عن طول عنقها.

يريد: أكلت «دية» ففى قوله «دمًا» مجاز مرسل علاقته «المبدلية» فإن الدم مبدل منه الدية، والدية يأخذها ولى الدم بدلاً عنه والقرينة قوله: «أكلت» لأن الدم المسفوك لا يؤكل.

١٥- العموم- وهو أن يكون اللفظ المذكور دالا على العموم، شاملاً لكثيرين كإطلاق لفظ «الناس» على محمد ﷺ فى قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٥٤] ففى (الناس) مجاز مرسل علاقته العموم والقرينة حالية.

١٦- الخصوص- وهو أن يكون اللفظ المذكور دالا على الخصوص كإطلاق اسم أبى القبيلة (كتميم أو تغلب) على القبيلة قبل أن يغلب عليها.

١٧- التعلق الاشتقاقى- وهو أن يكون اللفظ مشتقاً منه غيره كإطلاق المصدر على اسم المفعول فى قوله تعالى: ﴿هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ١١] أى مخلوقه، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] أى معلومه، فكل من الخلق والعلم مجاز مرسل علاقته ما بين المصدر واسم المفعول من الربط الاشتقاقى.

١٨- التقييد والإطلاق- هو أن يكون الشىء مقيداً ثم يطلق عن قيده كما فى إطلاق (المشفر) على شفة (زيد) مثلاً فى قولك: (مشفر زيد يسيل دمًا) تريد شفته فالمشفر (فى الأصل) للبعير خاصة، ثم أطلق عن هذا القيد وأريد به مطلق شفة فصح إطلاقة على شفة زيد باعتبارها فرداً من أفراد هذا المطلق فيكون مجازاً مرسلاً علاقته التقييد والإطلاق - ومثله إطلاق (المرسن) على أنف المرأة فى قول الشاعر (وفاحمًا ومرسنًا مسرجًا) فالمرسن فى الأصل أنف البعير لأنه موضع الرسن منه. ثم أطلق على قيده وأريد به مطلق أنف فصح إطلاقه على أنف المرأة باعتباره أحد أفراد هذا المطلق، فهو مجاز مرسل علاقته التقييد والإطلاق(١).

ويصح فى مثل هذين المثالين: أن تكون العلاقة المشابهة وحينئذ يكون اللفظ (استعارة) بأن تشبه شفة زيد بمشفر البعير فى الغلظ والتدلى ثم يستعار لها لفظ

---

(١) والمجاز المرسل فى المثالين ذو مرتبة واحدة فإذا أطلق المشفر على شفة زيد لا باعتبارها أحد أفراد مطلق شفة بل باعتبارها خصوص شفة زيد كان المجاز المرسل ذا مرتبتين، ومثل هذا يقال فى المرسن وأشباهه.

(مشفر) - ومثل هذا يقال فى (المرسن) - فاللفظ الواحد قد يكون مجازاً مرسلا واستعارة باعتبارين فإن اعتبرت العلاقة بين الطرفين غير المشابهة كان اللفظ (مجازاً مرسلا)، وإن اعتبرت العلاقة المشابهة كان اللفظ (استعارة)، والعبرة بقصد المتكلم وإرادته، فإن لم يعلم قصده بأن لم تقم قرينة عليه احتمل اللفظ الأمرين.

إلى غير ذلك من علاقات المجاز المرسل فهى لا تقف عند هذا العدد وإنما أحصينا لك أشهرها، وأكثرها استعمالاً.

تنبيهان:

الأول - اعلمْ أن القصد من العلاقة: أن يتحقق ارتباط بين الشيئين على أى وجه فإطلاق الدال على المدلول مثلاً فى قولك: (فهمت الألفاظ) أى معانيها (مجاز مرسل) علاقته يصح أن تكون (المجاورة)، على اعتبار أن الدال وهو «اللفظ» مجاور للمدلول الذى هو «المعنى» - ويجوز أن تكون العلاقة «المحلية» على اعتبار أن الدال محل للمدلول إذ الألفاظ «كما يقولون» قوالب للمعانى وإذاً فنوع العلاقة ليس وقفاً على ما ذكرنا، وإنما يرشدك إليها الذوق، ويدلك عليها فهم الكلام.

الثانى - مما تقدم يعلم أن المراعى فى علاقات المجاز المرسل: جانب المعنى المنقول عنه اللفظ المذكور فى الكلام فإن كان المنقول عنه سبباً فى المنقول إليه كانت العلاقة السببية، وإن كان مسبباً كانت العلاقة المسببية، وهكذا فالعلاقة فى نحو «رعينا الغيث» السببية لأن المعنى المنقول عنه لفظ (الغيث) سبب فى المعنى المنقول إليه وهو «النبات» والعلاقة فى نحو: (أمطرت السماء نباتاً) المسببية لأن المعنى المنقول عنه لفظ (النبات) مسبب عن المعنى المنقول إليه وهو (الغيث) - وإنما روعي فى العلاقة جانب المعنى المنقول عنه اللفظ لأنه الأصل فهو أولى بالمراعاة - وقيل: يراعى فيها جانب المعنى المنقول إليه لأنه المراد وبناء عليه تكون العلاقة فى المثال الأول (المسببية) وفى المثال الثانى (السببية) عكس القول الأول وقيل: يراعى الجانبان معاً، فينص حينئذ على الأمرين فيقال: علاقة المجاز السببية والمسببية، أو الحالية والمحلية وهكذا - ففى المسألة أقوال أرجحها الأول.

تمرين

١ - عرف المجاز المرسل ثم وضح التعريف بمثال تختاره من إنشائك مع بيان علة تسميته (مرسلاً) ولِمَ لَمْ يُسمَّ (استعارة). مع أن اللفظ فيه مستعار معناه الأصلى لمعنى آخر؟

٢ - بين المجاز المرسل، ووضح علاقته وقرينته فى العبارات والأبيات الآتية بعد:

١ - عمت أياديك الورى.

٢ - تبث الحكومة الأمن فى أرجاء البلاد.

٣ - شربت ماء النيل.

٤ - شربت البُنَّ.

٥ - غرست القطن فى أرضنا.

٦ - قرر المجلس الأعلى كذا وكذا.

٧ - أقمنا فى نعيم ورفاهية.

٨ - أرسلنا السماء عليهم مدراراً.

٩ - وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم.

١٠ - أرانا الله وجوهكم فى خير.

١١ - يد الله فوق أيديهم.

١٢ - تناولت من الطبيب الشفاء.

١٣ - أحسنْ إلى الناسِ تستعبد قلوبهم ... فطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ

١٤ - سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا ... بأننى خير من تسعى له قدم

١٥ - تسيل على حد الظباة نفوسنا ... وليست على غير الظباة تسيل

الجواب على السؤال الثانى

١ - فى «أياديك» مجاز مرسل علاقته السببية إذ أن المراد بالأيادى العطايا واليد الحقيقية

سبب فى إيصالها مستحقها والقرينة قوله «عمت» إذ العموم لا يناسب اليد بمعناها الحقيقى.

٢- فى «الأمن» مجاز مرسل علاقته المسببية إذ أن المراد: رجال الأمن وهو مسبب عنهم، والقرينة فى قوله: «تبث» لأن الأمن بمعناه الحقيقى لا يبث وإنما الذى يبث رجاله.

٣- فى «ماء النيل» مجاز مرسل علاقته الكلية إذ المراد. بعض مائه والنيل كل لهذا الجزء المشروب والقرينة قوله «شربت» لأن النيل لا يشرب كله.

٤- فى البُنِّ- مجاز مرسل علاقته اعتباراً ما كان إذْ المراد، القهوة وهى كانت قبل ذلك بُنّاً والقرينة قوله: شربت- إذ أن البن بمعناه الحقيقى لا يشرب.

٥- فى - القطن مجاز مرسل علاقته اعتبار ما يكون إذ أن المراد الحَب الذى سيؤول قطنا فيما بعد فى غالب الظن والقرينة قوله: غرست- لأن القطن بمعناه الأصلى لا يغرس وإنما يجنى.

٦- فى- المجلس - مجاز مرسل علاقته المحلية إذ المراد رجال المجلس وهو محل لهم والقرينة قوله: «قرر» لأن صدور القرار فى المجلس بمعناه الحقيقى محال.

٧- فى «نعيم ورفاهية» مجاز مرسل علاقته الحالية إذ المراد: المكان الحال فيه النعم والرفاهية والقرينة استحالة الإقامة فى النعيم والرفاهية بمعناها الحقيقى.

٨- فى - السماء- مجاز مرسل علاقته المحلية إذ أن المراد الغيث، والسماء محل له، والقرينة قوله: أرسلنا لأن المرسل هو الماء لا السماء.

٩- فى - الأنهار- مجاز مرسل علاقته المحلية أيضًا إذ المراد - الماء الذى يجرى فى الأنهار والقرينة قوله: - تجرى - لأن الجرى من شؤون المياه، لا من صفات الأنهار.

١٠- فى- وجوهكم - مجاز مرسل علاقته الجزئية إذ المراد الأشخاص أنفسهم والوجه جزء الإنسان والقرينة عقلية إذ لا معنى لأن يراد رؤية الوجه وحده.

١١- فى - يد الله- مجاز مرسل علاقته السببية إذ أن المراد القوة واليد منشأ هذه القوة وأكثر ما يظهر سلطان القدرة فى اليد فيها الضرب والبطش، والدفع، والقطع، والقرينة عقلية إذ لا معنى لوضع اليد الحقيقية فوق أخرى.

١٢- فى - الشفاء - مجاز مرسل علاقته المسببية إذ أن المراد الدواء، والشفاء مسبب عنه والقرينة استحالة شرب الشفاء بمعناه الأصلى.

١٣- فى - القلوب- مجاز مرسل علاقته الجزئية إذ المراد. الذات والقرينة قوله (تستعبد) لأن الاستعباد إنما يكون للذات، لا لأجزاء منها.

١٤- فى «قدم» مجاز مرسل علاقته الجزئية أيضًا إذ أن المراد: «الإنسان الساعى» والقدم جزء منه والقرينة قوله «تسعى» لأن السعى من القدم وحدها محال.

١٥- فى «نفوسنا» مجاز مرسل علاقته الكلية إذ المراد: «دماؤها» والنفس كل يتضمن الدم وغيره والقرينة قوله «تسيل» لأن السيلان من صفات الدم.

تمرين يطلب جوابه على نحو ما تقدم

وكنت إذا كف أتتكَ عـديمةٌ ... تَرَجَّى نوالاً من سِحَابكَ بُلت

غرست الورد فى البستان (كذلك يعادى العلم من هو جاهل) قامت البلاد وقعدت لهذا النبأ (نجرى الرياح بما لا تشتهى السُّفُنُ) فرجعوا إلى أنفسهم أى آرائهم حكمت المحكمة بكذا - شربنا الزبيب.

بلادى- وإن جارتْ علىَّ - عزيزةٌ ... وأهلى - وإن ضنوا علىَّ- كرامُ

أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى ... وأسمعتْ كلماتى مَنْ به صَمَمُ

أين الذى الهرمانِ مِن بُنْيَانِه ... ماقومه، ما يَوْمه، ما المِصْرعُ؟

وجاء ربك. وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا - فكيف تتقون إن كفرتم يومًا يجعل الولدان شيبا، وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه.

فشككت بالرمح الأصم ثيابه ... ليس الكريمُ على القنا بمحرمِ

فهمت الكتاب أبرَّ الكتبِ ... فسمعًا لأمر أمير العربِ

***

المجاز المركب:

قلنا: إن المجاز فى اللفظ على نوعين - مفرد، ومركب وقد فرغنا من الكلام فى المفرد وهاك بيان المجاز المركب.

تعريفه- هو اللفظ المركب المستعمل فى غير المعنى الذى وضع له، لعلاقة بين المعنى الأول والثانى مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأول:

وينقسم باعتبار هذه العلاقة إلى قسمين - استعارة تمثيلية ومجاز مرسل.

الاستعارة التمثيلية: هى ما يكون كل من الطرفين فيها هيئة منتزعة من متعدد، والعلاقة بينهما المشابهة كما تقدم فى التشبيهات المركبة أى فى الهيئات المنتزعة من متعدد إذا استعير فيها لفظ المشبه به للمشبه- كما فى قوله تعالى: ﴿فنبذوه وراء ظهورهم﴾ [آل عمران: ١٨٧] وحقيقة الكلام: فتركوا الميثاق، ولم يعتدوا به إهمالا لأمره وتهوينا من شأنه.

وإجراء الاستعارة فيه أن يقال: شبهت هيئة من أخذ عليهم الميثاق فأهملوه ولم يراعوه بهيئة من كان معه شىء لا يهمه، ولا قيمة له عنده، فطرحه وراء ظهره والجامع بينهما الهيئة الحاصلة من شىء يهمل احتقاراً لشأنه ثم استعير المركب الموضوع المشبه به للمشبه، بعد تناسى التشبيه وادعاء الاتحاد على سبيل الاستعارة التمثيلية والقرينة حالية لأن التاركين للميثاق لم يطرحوا شيئاً وراء الظهور حقيقة، فحالتهم على غير ما يفيده هذا التركيب وضعاً- وكقولهم فى المتردد فى أمره المتحير: أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى(١)، وحقيقة الكلام: أراك متحيراً فى أمرك متردداً.



وإجراء الاستعارة فيه أن يقال: شبهت هيئة المتردد فى أمره بين الإقدام والإحجام بهيئة رجل قام ليذهب إلى جهة فتارة يعقد النية على الذهاب فيقدم رجلاً وتارة يعدل فيؤخر ثانيةً والجامع الهيئة الحاصلة من إقدام تارة، وإحجام أخرى ثم استعير المركب الموضوع للمشبه به بعد التناسى والادعاء على سبيل الاستعارة التمثيلية، والقرينة حالية إذ أن المتردد المذكور لا يقدم رجلا ولا يؤخر أخرى فحالته على غير ما يدل عليه المركب وضعاً.

وسميت الاستعارة فى المركب «تمثيلية» لجريان التشبيه فيه بين الهيئات المركبة من متعدد كما فى هذين المثالين، أو للتنويه بعظم شأنها كأن غيرها لا تمثيل فيه ولذا كانت محط أنظار البلغاء، وموضع تقديرهم.

---

(١) قوله «تقدم رجلاً» أى: تارة ومفعول «تؤخر» محذوف أى «تلك الرجل المقدمة» و«أخرى» نعت «التارة» المحذوفة أى: تارة أخرى وأصل الكلام: أراك تقدم رجلاً تارة وتؤخرها تارة أخرى.

وإذا فشتْ الاستعارة التمثيلية، وكثر استعمالها سميت «مثلاً»- فالأمثال السائرة كلها من قبيل الاستعارة التمثيلية.

والمثل يراعى المعنى الذى ورد فيه أولاً، فيخاطب به المفرد والمثنى والجمع- مذكرًا، أو مؤنثًا من غير تغيير فى أصل العبارة لأنه «كما قلنا» استعارة تمثيلية، والاستعارة يجب أن تكون لفظ المشبه به المستعمل فى المشبه كما فى مثال المتردد فقد ورد فى شخص معين ثم فشا استعماله حتى صار مثلاً يضرب لكل متحير فى أمره، متردد فيه- مفردًا كان أو مثنى أو جمعًا- مذكرًا، أو مؤنثًا فيقال لكل واحد ممن ذكر: أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى، فينطق به كما ورد.

وأصل هذا المثل: أن الوليد بن يزيد لما بُويع بالخلافة، وبلغه موقف مروان بن محمد فى البيعة كتب له الوليد يقول.. أما بعد: فإنى أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى فإذا أتاك كتابى هذا فاعتمد على أيهما شئت والسلام.

ومثل المثال المذكور قولهم: «فى الصيف ضيعتِ اللبن» بكسر تاء الفاعل فقد ورد فى امرأة، ثم شاع استعماله وذاع، حتى صار مثلاً يضرب لمن فرط فى تحصيل شىء وقت إمكان تحصيلية، ثم طلبه فى زمن يتعذر فيه تحصيله - وأصل هذا المثال: أن امرأة شابة كانت تحت شيخ طاعن ذى ثروة فطلبت إليه الطلاق لضعفه وكبره، وكان ذلك فى زمن الصيف، فأجابها إلى ما طلبت وتزوجت بعده بشاب فقير، ثم احتاجت إلى اللبن: فذهبت فى فصل الشتاء إلى زوجها الأول تطلب منه لبنًا، فلم يجبها إلى طلبها. وقال لها هذا القول المأثور، فصار مثلاً.

وإجراء الاستعارة فيه أن يقال: شبهت هيئة من فرَّطَ فى شىء وقت إمكان تحصيله، ثم طلبه فى وقت يتعذر الحصول عليه فيه، بهيئة امرأة تركت زوجها وعنده لبن، ثم أتت إليه بعد فراقها تطلب اللبن منه، والجامع الهيئة الحاصلة من التفريط فى شىء وقت إمكانه وطلبه وقت تعذره، ثم استعير المركب الموضوع للمشبه به للمشبه بعد التناسى والادعاء على سبيل الاستعارة التمثيلية، والقرينة حالية إذ أن حالة المقول فيه المثل على غير ما يدل عليه اللفظ وضعًا.

وكقولهم: أحشفًا وسوء كيلة[١] يضرب لمن يظلم من وجهين - وأصل هذا المثل: أن رجلا اشترى تمرًا من آخر، فإذا هو حشف وناقص الكيل فقال المشترى ذلك - وتقرير الاستعارة فيه أن يقال: شبهت هيئة من يظلم من جهتين بهيئة رجل باع لآخر تمرًا حشفًا، وكان مع ذلك يطفف المكيال والجامع الهيئة الحاصلة من ظلم مزدوج، ثم استعير المركب الموضوع للمشبه به للمشبه بعد التناسى والادعاء استعارة تمثيلية، والقرينة حالية لأن حالة المقول فيه تغاير ما يدل عليه اللفظ وضعًا كما ذكرنا- وكقول الشاعر:

إذا جَاءَ مُوسَى وألقى العَصَا ... فَقَدْ بَطُلَ السِّحرُ والسَّاحِرُ

هو مثل يضرب لمن تحل المشاكل بوجوده -وتقرير الاستعارة فيه أن يقال: شبهت حال من تحل المشاكل بوجوده بحال نبى الله موسى عليه السلام مع سحرة فرعون بجامع حال الشىء يحسم عنده النزاع، ثم استعير إلخ -أو هو مثل يضرب لمن يتضاءل شأنه عند وجود من هو أجل شأنًا -وتقرير الاستعارة فيه أن يقال: شبهت هيئة من يصغر شأنه عند وجود الأجل منه شأنًا بهيئة قوم فرعون، وقد أخفقوا فى سحرهم عند مجىء موسى عليه السلام وإلقائه العصا والجامع الهيئة الحاصلة من ضآلة شىء حقير بجانب شىء خطير، والقرينة حالية كسابقاتها -وقس على ذلك جميع الأمثال السائرة نثرًا ونظمًا.

المجاز المرسل المركب:[٢] هو ما كانت العلاقة فيه غير المشابهة كما فى الجمل الإخبارية المستعملة فى الإنشاء لأغراض لم يوضع لها الخبر «كإظهار التحسر أو الضعف، أو السرور، أو الشماتة» أو نحو ذلك.

فمثال الخبر المستعمل فى إنشاء التحسر والتحزن قول الشاعر:

ذهب الصِّبَا وتولت الأيَّامُ ... فعلى الصبا وعلى الزمان سَلامُ

فهذا الخبر -وإن كان فى أصل وضعه للإخبار- مستعمل فى إنشاء التحسر على فقدان الشباب، وذهاب أيامه، والعلاقة فيه اللزوم، إذ يلزم من الإخبار بذهاب

(١) بكسر الكاف اسم بمعنى الكيل بفتح الكاف مصدر كال الشىء يكيله بمعنى قدّره بالمكيال.

(٢) إنما أُطلق عليه هذا الاسم قياسًا على المجاز المفرد وإلا فإن العلماء لم يضعوا له اسما بل إن اكثرهم لم يبحثوه بحثًا تفصيليًا.

الصبا، التحسر والتحزن عليه والقرينة قوله: «فعلى الصبا وعلى الزمان سلام» -ومثال الخبر المستعمل فى إظهار الضعف قول الله تعالى حكاية عن زكريا عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤] فزكريا عليه السلام لا يريد بهذا القول أن يخبر الله بحاله إذ يعلم أن الله لا تخفى عليه خافية ولكنه قصد بهذا: إظهار الضعف. وإنه بلغ من الوهن غاية لا أمل بعده فى الحياة والعلاقة اللزوم كالذى قبله والقرينة مقام الخطاب -ومثال الخبر المستعمل فى إظهار السرور قولك لمن يعلم بنجاحك وأنت تعلم منه ذلك: «نجحت فى الامتحان» فليس الغرض: أن تفيده بنجاحك وإنما تريد أن تظهر له سرورك بهذا النجاح، والعلاقة والقرينة كالذى قبله.

إلى غير ذلك من الأخبار التى لم يقصد بها الإفادة -غير أن العلماء أهملوا هذا القسم، ولم يبحثوا لتضارب الآراء فيه لهذا لم نشأ الإطالة فى البحث فيه.

تمرين

١- عرف المجاز المركب وقسمه ومثل لكل قسم.

٢- عرف الاستعارة التمثيلية، وبين لم سميت تمثيلية، ومتى تسمى مثلاً، ثم أجر الاستعارة فى قولهم، أسمع جعجعة ولا أرى طحنًا(١) وهو مثل يضرب لمن يعد ولا يفى بما يعده.

٣- أجر الاستعارة التمثيلية فيما يأتى على قياس ما سبق:

اليد لا تصفق وحدها «لمن يعجز عن القيام بعمل وحده». تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها «لمن يصون نفسه عن خسيس المكاسب».

إن الأفاعى وإن لانتْ مَلامسُها ... عند التقلب فى أنيابها العطبُ

«يضرب لمن يخدع الناس بلينه، ثم يعود طبعه، فينقلب على من خدعه».

بالملح تصلح ما تخشى تغيُّره ... فكيفَ بالملحِ إن حلت به الغِيَرُ؟

«يضرب لمن فسدت حاله ممن هو قدوة لغيره» كرجال العلم والدين. إن المُنْبَتَّ لا أرضًا قطع، ولا ظهرًا أبقى(٢) «يضرب لمن جاوز الحد فى العمل». وتلدغ العقرب

(١) «الطحن» بكسر الطاء: الدقيق.

(٢) «المنبت» هو من أجهد دابته فى السير فنفقت قبل الوصول، والمراد بالظهر: الدابة.

وتصيء»(١) «يضرب لمن يظلم ويتظلم» «تسمع بالمعيدى(٢) خير من أن تراه» ضرب لمن منظره دون مخبره» رجع بخفى حنين(٣) «لمن يعمل عملاً فيخيب فيه» رمية من غير رامٍ «لمن يصدر منه فعل حسن ليس له أهلاً».

●●●

(١) يسيل ماؤها.

(٢) هو مصغر معدى بتشديد الدال، والياء للنسبة إلى قبيلة «معد» وهو رجل كان كريه المنظر حسن الصوت.

(٣) رجل كان إسكافيا يصنع الأحذية.

المبحث الخامس فى الكناية

تعريفها -هى فى اللغة: أن تتكلم بالشىء، وتريد غيره وهى مصدر كنيت بكذا عن كذا إذا تركت التصريح به وبابه رمى يرمى -وورد «كنوت» بكذا عن كذا من باب دعا يدعو» وقد أنشد الجوهرى:

وإنى لأكنو عن قدورٍ بغيرها ... وأعربُ أحيانًا بها وأصارحُ

ومعناها اصطلاحًا: لفظ أطلق، وأريد به لازم معناه الحقيقى، مع قرينة غير مانعة من إرادة هذا المعنى كما تقول: محمد طويل النجاد[1] فالمعنى الحقيقى لهذا اللفظ: هو أن نجاد محمد طويلة وليس هذا مرادًا: إنما المراد لازم هذا المعنى وهو أن محمدًا طويل القامة إذ يلزم عادة من طول النجاد: أن تكون القامة طويلة ويصح مع هذا إرادة المعنى الحقيقى أيضًا بأن يراد المعنيان معًا -طول النجاد. وطول القامة-

وبهذا: تخالف الكناية المجاز ذلك أن قرينة المجاز مانعة من إرادة المعنى الحقيقى «كما عرفت»: من أن نحو «كلمنى أسد» لا يجوز أن يراد منه الحيوان المفترس لأن فيه قرينة تمنع من ذلك، وهو «كلمنى» إذ أن الكلام من شأن الإنسان لا من شأن الأسود -أما قرينة الكناية فغير مانعة «كما رأيت».

تنبيه:

ليس بلازم فى الكناية: أن يكون المعنى الحقيقى للفظ المكنى به متحققًا فى الواقع إذ يصح أن تقول: «فلان طويل النجاد» كناية عن طول القامة وإن لم يكن له نجاد بل تصح الكناية حتى مع استحالة المعنى الحقيقى -كما فى قولهم «المجد بين برديه. والكرم تحت ردائه» كناية عن إثبات المجد والكرم للممدوح فإن المعنى الحقيقى للفظ المذكور وهو حلول المجدين البردين والكرم تحت الرداء مستحيل الحصول إذ أن الحلول الحسى بين الأشياء أو تحتها من شأن الأجسام، لا المعانى -وكما فى قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٤]. كناية عن الاستيلاء والسيطرة فإن المعنى الحقيقى للاستواء هو «الجلوس» وذلك مستحيل على الله سبحانه ومن هنا يعلم أن الشرط فى الكناية جواز إرادة المعنى الحقيقى، لا إرادته بالفعل لامتناع إرادته فيما ذكرنا اهـ.

(١) ما يوضع على العاتق من حمائل السيف.

أقسام الكناية:

تنقسم الكناية باعتبار المكنى عنه إلى ثلاثة أقسام:

١- كناية يطلب بها صفة[1].

٢- كناية يطلب بها موصوف.

٣- كناية يطلب بها نسبة صفة إلى موصوف.

فالأول: وهى المطلوب بها صفة- ضابطها: أن يصرح بالموصوف وبالنسبة إليه، ولا يصرح بالصفة المطلوب نسبتها، ولكن يذكر مكانها صفة تستلزمها كما فى المثال السابق: وهو قولنا: «محمد طويل النجاد» كناية عن طول القامة فقد صرح بالموصوف وهو «محمد». وصرح بالنسبة وهى إسناد طول النجاد إليه ولم يصرح بالصفة المطلوب نسبتها وهى «طول القامة» ولكن ذكر مكانها صفة أخرى تستلزمها هى «طول النجاد» كما سبق -وكقولهم «عباس كثير الرماد» كناية عن جوده فقد صرح فى هذه الكناية بالموصوف، وهو «عباس» وصرح بالنسبة وهى إسناد كثرة الرماد إليه ولم يصرح بالصفة المطلوب نسبتها، وهى «الجود» ولكن ذكر مكانها صفة تستلزمها هى «كثرة الرماد» إذ يلزم من «كثرة الرماد» صفة الجود كما سيأتى قريبًا -وهكذا-.

وهذه الكناية ضربان -قريبة وبعيدة:



فالقريبة: ما ينتقل الذهن منها إلى المقصود بلا واسطة بين المنتقل عنه والمنتقل إليه كما فى قولنا: «محمد طويل النجاد» فإن المطلوب بقولنا: «طول النجاد» صفة هى طول القامة -كما بينا- وليس بين طول النجاد وطول القامة واسطة وإنما ينتقل الذهن من طول النجاد إلى طول القامة مباشرة.

والقريبة نوعان -واضحة، وخفية

فالواضحة: ما يفهم منها المقصود لأول وهلة كالمثال المذكور، فإن طول القامة يفهم من طول النجاد بلا حاجة إلى تأمل لوضوح اللزوم بينهما كما عرفت وقد تسمى إيماء وإشارة[2].

---

(١) المراد بالصفة هنا المعنى القائم بالغير كالجود وطول القامة لا خصوص النعت النحوى.

(٢) لأن أصل الإشارة أن تكون حسية وهى ظاهرة ومثلها الإيماء.

والخفية: مالا يفهم منها المقصود إلا مع شيء من التأمل والتفكير كما في قولهم: «فلان عريض القفا» كناية عن أنه أبله فإن عرض القفا بإفراط مما يستدل به على البلاهة منه يتوقف على إعمال فكر وروية لأن في اللزوم بين المعنيين نوع خفاء وقد تسمى رمزاً[1].

والبعيدة: ما ينتقل الذهن منها إلى المقصود بواسطة كما في قولنا: «عباس كثير الرماد» كناية عن أنه جواد سمح فالمطلوب بهذه الكناية صفة هي «الجود» وبين كثرة الرماد، وصفة الجود وسائط عدة لابد من مراعاتها للوصول إلى هذه الصفة فينتقل أولاً من كثرة الرماد إلى كثرة الإحراق، ومنها كثرة الطبخ، ومنها إلى كثرة الأكلة، ثم إلى كثرة الضيفان، ومنها إلى «الجود» -وقد تسمى تلويحاً[2].

والثانية: -وهو المطلوب بها موصوف- ضابطها: أن تصرح بالصفة وبالنسبة ولا يصرح بالموصوف المطلوب النسبة إليه ولكن بذكر مكانه صفة تختص به كما في قولك «فلان صفا لى مجمع لبه» أي قلبه فقد صرح في هذه الكناية بالصفة، وهي «مجمع اللب» وصرح بالنسبة، وهي إسناد الصفا إليها ولم يصرح بالموصوف المطلوب نسبة الصفاء إليه، وهو «القلب» ولكن ذكر مكانه وصف خاص وهو مجمع اللب فإن القلب «كما يقولون» موضع العقل والتفكير ومنه قول الشاعر:

الضاربين بكل أبيض مخزم ... والطاعنين مجامع الأضغان[3]

يصف القوم بالبسالة، وحسن البلاء في الحروب. وأن سيوفهم لا تعرف غير المقاتل جفونًا وقد كنى الشاعر بمجامع الأضغان عن «القلوب» لاختصاص الوصف المذكور بها إذ أن الضغن لا يكون في غير القلب.

وهذه الكناية أيضًا نوعان:

الأول: ما تكون الكناية فيه معنى واحدًا. لا تعدد فيه كما تقدم في قولنا «فلان صفا لبه» فإن مجمع اللب المكنى به عن القلب معنى واحد (كما ترى) -والمراد بوحدة المعنى هنا. ألا يكون من أجناس مختلفة، إن كان مثنى أو جمعًا فمجامع الأضغان في قول

---

(١) لأن الرمز أن تشير إلى غيرك من قرب خفية.
(٢) لأن التلويح أن تشير إلى غيرك من بعد.
(٣) «الأبيض» السيف، والمخزم بكسر الميم وسكون الخاء و فتح الزاى القاطع؛ والضغن الحقد.

الشاعر السابق -وإن كان جمعًا هو معنى واحد من حيث إن مدلوله جنس واحد هو القلب) لا أجناس مختلفة.

الثانى: ما تكون الكناية فيه مجموع معان مختلفة كما يقال فى الكناية عن الإنسان: (زارنى حى، مستوى القامة، عريض الأظافر) فالكناية مجموع هذه المعانى من الحية، واستواء القامة، وعرض الأظافر لا كل واحد منها وهذه المعانى مجتمعة وصف خاص بالإنسان، لا يوجد فى سواه.

والثالثة: -وهى المطلوب بها نسبة- ضابطها: أن تصرح بالموصوف والصفة، ولا يصرح بالنسبة بينهما ولكن يذكر مكانها نسبة أخرى تستلزمها، وهذه النسبة إما أن تكون إثباتًا، أو نفيًا فمثالها فى الإثبات قولهم: «الكرم بين ثوبى محمد» كناية عن إثبات الكرم له فقد صرح فى هذه الكناية بالموصوف وهو «محمد»، مكانها نسبة أخرى هى نسبة الكرم إلى ثوبيه إثباتًا وهى تستلزم نسبة الكرم إليه من حيث وجوده بين ثوبيه الخاصين به -ومنه قول الشاعر:

إن السماحة والمروءة والندى ... فى قبة ضُربت على ابن الحشرج[1]

فإن إثبات هذه الأمور الثلاثة الخاصة بابن الحشرج يستلزم إثباتها له على نحو ما تقدم -ومثالها فى النفى قول الشنفرى، يصف امرأة بالعفة:

يبيت بمنجاة من اللوم بيتها ... إذا ما بيوت بالملامة حلت

فقد صرح بالموصوف، وهو الضمير فى «بيتها» العائد على المرأة، وصرح بالصفة وهى «اللوم المنفى» فى قوله بمنجاة من اللوم ولم يصرح بنسبة نفى اللوم عنها ولكن ذكر مكانها نسبة أخرى هى نفى اللوم عن بيت يحتويها وذلك يستلزم نفى اللوم عنها.

تمرين

١- عرف الكناية لغة واصطلاحًا وبين الفرق بينها وبين المجاز.

٢- اذكر أقسام الكناية باعتبار المكنى عنها وضابط كل منها مع التمثيل.

---

(١) هو عبد الله بن الحشرج كان أميرا على نيسابور، يدل على ذلك قوله فى «قبة» إذ يفهم منه أن الممدوح ممن تضرب له القباب، وذلك عنوان السيادة والإمارة.

٣- عرف الكناية البعيدة، ومثل لها، وبين وجه البعد فيها.

٤- إيت بمثالين للكناية المطلوب بها صفة وبمثلهما للكناية عن الموصوف، وبآخرين للكناية عن النسبة ثم بين المكنى به، والمكنى عنه، ونوع الكناية فى قول الشاعر:

وكلبك آنس بالزائرين ... من الأم بابنتها الزائره

٥- وضح نوع الكناية فيما يأتى:

١- أكلت دمًا إن لم أرعك بضرة ... بعيدة مهوى القرط طيبة النشر

٢- أو ما رأيت المجد ألقى رحْله ... فى آل[1] طلحة ثم لم يتحول

٣- وما يكُ فىَّ من عيبٍ فإنى ... جبانُ الكلبِ مهزول الفصيل[2]

٤- لا ينزل المجدُ إلا فى منازلنا ... كالنوم ليس له مأوى سوى المُقَلِ

٥- فما جازه جود ولا حل دونه ... ولكن يصير الجود حيث يصير

٦- أبت الروادف والثدى لقمصها ... مسَّ البطون وأن تمس ظهورا[3]

٧- فأتبعتها أخرى فأضللت نصلها[4] ... بحيث يكون اللب والرعب والحقد

٨- هو سمين رخو.

٩- فلان يفترش الثرى ويتوسد الجنادل[5].

١٠- فلان ملء إهابه[6] الكرم.

١١- فلان عريض الوسادة.

١٢- حملناه على ذات ألواح ودسر[7].

---

(١) على حذف مضاف أى خيام آل طلحة.

(٢) الفصيل ولد الناقة.

(٣) الروادف جمع ردف بكسر فسكون وهو عجيزة المرأة، والثدِى بضم الثاء مع التشديد وكسر الدال وتشديد الياء ثدى بفتح فسكون، والقمص بضم القاف والميم وسكن للضرورة جمع قميص وقد جمعت هذه الأشياء للمبالغة.

(٤) حديد السهم أو الرمح.

(٥) الحجارة.

(٦) الإهاب بكسر الهمزة الجلد.

(٧) الدسر بضمتين جمع دسار وهو حبل من ليف تشد به ألواح السفينة.

الجواب على السؤال الأخير

١- فى الشطر الثانى من البيت كناية يراد بها صفة هى طول الرقبة إذا يلزم من بُعْد مهوى القرط أن يكون العنق طويلاً وهذه الكناية قريبة لعدم وجود الواسطة بين بعدَ المهوى وطول الرقبة، وواضحة لوضوح اللزوم بين المعنيين.

٢- فى البيت كناية يراد بها نسبة هى ثبوت المجد لآل طلحة ذلك أن إلقاء المجد رحْله فى خيام آل طلحة وعدم تحوله عنها يستلزم ثبوت المجد لهم دائما لأن المجد وصف لا يصلح قيامه بالخيام والأخبية وليس فى الخيام سواهم، فلزم ثبوته لهم وهى قريبة لعدم الواسطة بين النسبتين، وواضحة لوضوح اللزوم بينهما.

٣- فى الشطر الثانى من البيت كنايتان يراد بهما صفة «هى الجود» فقد كنى أولاً عن جوده «بجبن الكلب» إذ ينتقل الذهن من جبن الكلب واستئناسه بالناس، إلى كثرة مشاهدته لهم ثم ينتقل من هذا، إلى كثرة من يقصدونه ثم إلى كثرة قراه للأضياف ومنه إلى أنه جواد سخى - وكنى ثانيًا عن جوده (بهزال الفصيل) إذ ينتقل الذهن من هزال الفصيل إلى فقدان لبن أمه بنحرها، أو بأخذ اللبن منها، ثم ينتقل من هذا، إلى كثرة الآكلين أو الشاربين. ثم إلى كونه مضيافًا سخياً- والكنايتان بعيدتان لتعدد الوسائط بين المعنيين، وواضحتان لوضوح اللزوم بينهما.

٤- فى الشطر الأول من البيت كناية يراد بها نسبة هى إثبات المجد لهم ذلك أن نزول المجد فى منازلهم الخاصة بهم مقصوراً عليها، لا يتعداها إلى غيرها يستلزم ثبوت المجد لهم وقصره عليهم إذ أن المجد صفة لا يصلح قيامها بالجدران والحوائط وليس فى المنازل سواهم فلزم أن تقوم الصفة بهم، والكناية قريبة لعدم الواسطة بين النسبتين، وواضحة لوضوح اللزوم بينهما.

٥- فى الشطر الثانى من البيت كناية يراد بها نسبة هى ثبوت المجد للممدوح ذلك أن حلول المجد بكل مكان يحل به الممدوح يستلزم ثبوت المجد له لأن المجد «كما قلنا» وصف لا يصلح قيامه بالأماكن فلزم ثبوته له وقيامه به- والكناية قريبة لعدم وجود الواسطة وواضحة لوضوح اللزوم.

٦- فى هذا البيت كناية عن عدة أوصاف فى المرأة هى كبر عجيزتها وعظم نهديها،

وضمور بطنها. ودقة خصرها ذلك أن منع عجيزتها ونهديها قمصها من أن تمس بطنها وظهرها يستلزم هذه الأوصاف المذكورة فصح أن يكون هذا المنع كناية عنها وهى كناية قريبة، لعدم وجود الواسطة، وواضحة لوضوح اللزوم بين هذا المنع وهذه الصفات.

٧- فى الشطر الثانى من البيت كناية عن موصوف هو «القلب» لأن القلب موطن الأشياء الثلاثة المذكورة وكونه موطنًا لها وصف خاص به، فصح أن يكون كناية وهى قريبة واضحة.

٨- فيه كناية عن صفة هى الكسل وفقدان النشاط ذلك أن بدانة الجسم ورخاوته تستدعيان الرغبة عن العمل، والزهادة فيه وهذا هو عين الكسل، والكناية فيه قريبة واضحة لوضوح اللزوم بين البدانة والكسل.

٩- فيه كناية يراد بها صفة هى «الفقر» لأن افتراش الثرى وتوسد الجنادل دليل فقدان ما يفترش ويتوسد وهذا دليل ضيق ذات اليد وهى كناية بعيدة لوجود الواسطة، ولكنها واضحة اللزوم بين المعنيين.

١٠- كناية يراد بها نسبة هى إثبات الكرم للممدوح لأن الكرم صفة لا يصلح إهاب الممدوح وعاءً لها فلزم ثبوت الكرم لذى الإهاب وهى قريبة واضحة اللزوم.

١١- كناية يراد بها صفة هى «البله» إذ يلزم من عرض الوسادة: عرض القفا وهو ما يستدل به على البلاهة والكناية بعيدة لوجود الواسطة وخفية لخفاء اللزوم بين عرض الوسادة والبلاهة.

١٢- كناية يراد بها موصوف هو «السفينة» لأن مجموع الأمرين المذكورين وهما- الألواح والدسر مشدودًا أحدهما بالآخر - وصف خاص بالسفن والكناية فيه واضحة.

تمرين يطلب جوابه قياسًا على ما سبق

يكادُ إذا ما أقبل الضيفُ مقبلاً ... يكلمه عن حبه وهو أعجمُ

لا أمتع العوذ[1] بالفصالِ ... ولا أبتاع إلا قريبةَ الأجلِ

---

(١) العوذ: بضم العين الإبل الحديثات النتاج جمع عائذ كحائل وحول.

أبين فـمـا يـزرن سـوى كـريم ... وحـسـبك أن يزرن أبا سـعـيد

نشتكي مـا اشتكيت من ألم الشـو ... ق إليـهـا والشـوق حـيث النحـول

ضعيف العـصا بادي العروق ترى له ... عليـهـا إذا مـا أجدب الناس إصـبعـا

مـتى تـخلو تميم من كـريم ... ومـسلمـة بن عـمـرو من تميم؟

فلان لا يضع العصا عن عاتقه. عباس طاهر الذيل، لبس الدهر لهم جلد النمر. «أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا»؟ فلان رحب الصدر قوى الظهر.

●●●

نموذج
فى التطبيق على جميع ما مر من قواعد علم البيان

وزاد بك الحسنُ البديعُ نضارةً ... كأنَّكَ فى وجه الملاحةِ خال

الجواب- شبه الممدوح بالخال ووجه الشبه أن كلا يكسب صاحبه بهجة والأداة «كأن» وهو تشبيه تحقيقى لأن الوجه متحقق فى الطرفين غير تمثيل لأن الوجه منتزع من شىء واحد وهو مجمل لحذف وجه الشبه، ومرسل لذكر الأداة والغرض بيان حال المشبه وفى الملاحة استعارة مكنية شبهت الملاحة بحسناء، بجامع ميل النفس إلى كل، واستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ثم حذف ورمز له بشىء من لوازمه وهو «وجه» على سبيل الاستعارة المكنية وهى أصلية لأن اللفظ المستعار اسم جنس وقرينتها: إثبات الوجه للملاحة، وهذا الإثبات: استعارة تخييلية ودونك القياس على ذلك فيما يأتى من الأبيات:

كأن عيون النرجس الغض حولها ... مداهنُ درٍّ حشوهن عقيق

وفى يده الصمصام تحكى شباته ... نواجذ أفواه المنايا القواضب

هرب النوم عن جفونى فيها ... هرب الأمن عن فؤاد الجبان

خبر أبى حفص لعاب الليل ... يجرى إلى الإخوان جرى السيل

تتمة:

اتفق العلماء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة، وأن الكناية أبلغ من التصريح، وأن الاستعارة أبلغ من التشبيه، ومن المجاز المرسل، والكناية.

أما وجه الأبلغية فى المجاز والكناية فلأنهما كدعوى الشىء ببينة - ذلك أنك حين تقول متجوزًا: «رأيت أسدًا على المنبر» إنما تريد أن تقول: رأيت رجلا جريئًا على المنبر: وهذه دعوى قام عليها دليلها هو إثبات معنى الأسد له إذ يلزم من كونه أسدًا: أن يكون جريئًا للزوم الجراءة للأسد كما علمت - وأنك حين تقول مكنيًا: «محمد طويل النجاد» إنما تريد أن تقول: محمد طويل القامة، وهى دعوى قام عليها دليلها هو

اتصافه بطول النجاد إذ يلزم من كونه طويل النجاد: أن يكون طويل القامة وكأنك قلت في الأول: رأيت رجلاً جريئًا على المنبر لأنه أسد، وقلت في الثاني: محمد طويل القامة لأنه طويل النجاد.

أما الحقيقة في نحو: رأيت رجلاً مقدامًا على المنبر والتصريح في نحو محمد طويل القامة فدعويان لم يقم عليهما دليل وما كان مؤيدًا بدليل أبلغ وآكد مما لم يدعم بدليل فثبت أن المجاز والكناية أبلغ من الحقيقة والتصريح.

ووجه أبلغية الاستعارة على التشبيه هو أن الاستعارة نوع من المجاز، مبني على دعوى اتحاد المشبه والمشبه به والتشبيه نوع من الحقيقة بناء على الراجح، وقد ثبت لك أن المجاز أبلغ من الحقيقة.

ووجه أبلغيتها على المجاز المرسل ما فيها من دعوى الاتحاد معنى ولفظًا، أما في المعنى فلإدخال المشبه في جنس المشبه به، واعتباره فردًا من أفراده وأما في اللفظ فلإطلاق لفظ المشبه به على المشبه- بخلاف المجاز المرسل نحو: أمطرت السماء نباتًا، ففيه دعوى الاتحاد لفظًا فقط، من حيث إطلاق اللفظ على المعنى الثاني، أما الاتحاد في المعنى فغير موجود فيه إذ ليس بين الماء والنبات تشابه حتى يدعى اتحادهما.

ووجه أبلغيتها على الكناية من جهتين- الأولى- أن فيها جمعًا بين كناية واستعارة، من حيث إن فيها انتقالا من الملزوم «كالأسد» إلى اللازم «كالجريء» - كما ينتقل في الكناية من طول النجاد «مثلاً» إلى طول القامة ومن حيث إن فيها استعمال اللفظ في غير المعنى الموضوع له لعلاقة المشابهة- الثانية- أنها مجاز قطعًا بخلاف الكناية فإن في مجازيتها خلافًا بين علماء البلاغة، مبسوطًا في محله، فارجع إليه «إن شئت».

تنبيه:

ليس معنى الأبلغية في هذه الثلاث أنها تفيد زيادة في أصل المعنى لا يفيدها غيرها إنما المراد: أنها تفيد تأكيدًا لإثبات المعنى، لا يوجد في سواها - فليست فضيلة قولنا: «رأيت أسدًا» على قولنا: «رأيت رجلاً لا يتميز عن الأسد في إقدامه» من حيث إن الأول أفاده زيادة في مساواة الرجل للأسد في الإقدام لم يفدها الثاني إذ أن التركيبين في ذلك سواء في إفادة معنى المساواة.

إنما مزية الأول على الثانى من حيث إن الأول أفاد تأكيداً وتقريراً لإثبات معنى المساواة، دون الثانى لما فى الأول من دعوى الاتحاد والتعبير عن المشبه بلفظ المشبه به- ودلالة الاتحاد على المساواة «كما فى التركيب الأول» أبلغ من التنصيص على المساواة «كما فى التركيب الثانى» يدرك ذلك صاحب الذوق السليم.

هذا: والاستعارة التمثيلية أبلغ أنواع الاستعارة، لأنها إنما تكون فى الهيئات المنتزعة من أمور متعددة فهى كثيرة الاعتبارات والملاحظات لا يوفق فيها إلا من أوتى حسن روية، وبعد نظر ويليها فى الأبلغية المكنية لاشتمالها على المجاز العقلى فى قرينتها، أما الاستعارة التصريحية ففى المرتبة الثالثة.

تمرين

بين أنواع التشبيه والمجاز المرسل والاستعارة والكناية فيما يأتى:

واخفض لهما جناح الذل من الرحمة، فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم. القضاة دعائم العدل، وبأيديهم أزمة الفصل والفضل. قال الحريرى: لبثنا فى الانتظار إلى أن هرم النهار، وكاد جرف[١] اليوم ينهار، وقال أيضًا: ولما قوض[٢] الليل خيامه، ورفع الصبح أعلامه كان كذا وكذا:

والطل[٣] فى سلك الغصون كلؤلؤ ... رطب يصافحه النسيم فيسقط

له راحة ينهل جوداً بنانها ... ووجه إذا قابلته يتهلل[٤]

إذا أنشب الدهر ظفراً ونابًا ... وصال على الحر منا ونابا

صبرنا ولم نشك أحداثه ... لأنّا نعاف التشكى ونأبى[٥]

وقفت وما بالموت شك لواقف ... كأنك فى جفن الردى وهو نائم

ودبت له فى موطن الحلم علة ... لها كالصلال الرقش شر دبيب[٦]

---

(١) ما تجرفه السيول من الأرض. (٢) ناض البناء وقوضه هدمه.
(٣) المطر الضعيف والندى. (٤) يتلألأ بشراً.
(٥) أصله نأبى مضارع أبى سهلت همزته.
(٦) الصلال جمع صل وهو بالكسر ضرب من الحيات، لا نجاة من لدغته، والرقش جمع رقشاء وهى ذات نقط سود فى بياض.

وقيل فى وصف السماء : أيقظتنى ليلة دواعى الهموم، فنظرت نظرة فى النجوم فإذا السماء روضة زاهرة أو صرح أضواؤه مسفرة أو غدير تطفو عليه القواقع، أو بنفسج نور أقاحه لامع أو جمر فى خلال رماد، كما قال الشاعر :

بســاط زمــرد بسطت عليــه دنانيــر تخــالطهــا دراهم

ونهر المجرة[1] يجرى فى سندسها، ويسرى ليسقى ذوابل نرجسها فبينما أسرع فى دُرَر الدرارى[2] نظرى وأروض فى رياضها جواد فكرى إذْ هبَّ نسيمُ السَّحر يروى عن أهل نجد أطيب الخبر ثم تبسم الفجر ضاحكا، واقْتض بازى الضوء غراب الظلام وفض[3] كافور النور مسك الختام .

●●●

(١) بياض يبدو فى السماء يشبه النهر.

(٢) الدرارى: النجوم.

(٣) بمعنى فك.

علم البديع

قلنا فيما سبق : إن أول من اخترع هذا العلم، وسماه بهذا الاسم عبد الله بن المعتز المتوفى سنة ٢٩٦هـ، وأنه جمع منه سبعة عشر نوعًا، وقال: «ما جمع قبلى فنون البلاغة أحد، ولا سبقنى إليه مؤلف، ومن أراد أن يقتصر على ما اخترعناه فليفعل، ومن رأى إضافة شىء من المحاسن إليه فله اختياره».

وقلنا: إن مجموع ما جمعه هو ومعاصره قدامة بن جعفر ثلاثون نوعًا ثم اقتدى بهما كثير من ذوى الفضل كأبى هلال العسكرى، وابن رشيق إلى أن جاء صفى الدين الحلى المتوفى سنة ٧٥٠هـ، فنظم فيه قصيدة ميمية فى مديح النبى ﷺ جمع فيها ما نيف على المائة والخمسين نوعًا، وذكر اسم كل نوع بجانب كل بيت، وجعل البيت شاهدًا له ثم جاء بعده «الموصلى» وعارضه بقصيدة على غرار قصيدته ثم جاءه «الحموى» وعارضه كذلك، غير أنه التزم تسمية النوع فى البيت - وهكذا طفق العلماء يؤلفون فى هذا العلم القصائد والأراجيز، حتى نيف الأنواع على المائه والستين، بل على أكثر من ذلك، نقتصر منها على المهم المتداول حسبما يتسع له المقام.

توضيح الفرق بين علم البديع، وعلمى المعانى والبيان:

اعلم: أن الفرق بينهما هو أن علمى المعانى والبيان يبحثان فى صلب المعنى المراد - غير أن الأول منهما يبحثه من حيث مطابقته لمقتضى الحال، أى أن يكون الكلام موافقًا مدلوله لما تقتضيه الحال التى وقع فيها وقد تقدم لك بيانه عند البحث فى بلاغة الكلام- وأن الثانى يبحثه من حيث تأديته بطرق مختلفة فى الوضوح وقد سبق البحث فيه عند الكلام فى تعريف علم البيان.

أما علم البديع: فيبحث المعنى أو اللفظ : من حيث تزيينه وتدبيجه، وإلباسه ثوبًا من البهجة والبهاء، يسترق القلب، ويستأثر اللب كما ستعرفه بعد- ومن هنا يعلم أن أثر علمى المعانى والبيان فى تحسين الكلام «ذاتى» فى صميم المعنى، وأن أثر علم البديع فيه «عرضى» أى بعد أن يكون الكلام مطابقًا لمقتضى الحال، واضح الدلالة على المعنى المراد.

فعلم البديع من علمى المعانى والبيان حينئذ بمثابة الطلاء الرائع من البناء الفخم، أو بمنزلة القلادة الثمينة من جيد الحسناء فإن لم يكن الكلام مطابقًا لمقتضى الحال، ولا واضح الدلالة على المعنى المراد كان البديع بمثابة الدر يعلق بأعناق الخنازير - إذا علمت هذا فاعلم أن:

* علم البديع: هو ما يعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال، ووضوح الدلالة على المعنى المراد.

* **تقسيم وجوه التحسين:**

تنقسم المحسنات البديعية قسمين - معنوية، ولفظية:

فالمعنوية: هى التى يكون التحسين بها راجعًا إلى المعنى أصالة، وهو - إن تبعه تحسين اللفظ - غير مقصود.

واللفظية: هى التى يكون التحسين بها راجعًا إلى اللفظ أصالة، وهو - وإن تبعه تحسين المعنى - و لكنه أيضًا غير مقصود.

وقد أجمع العلماء على أن هذه المحسنات لا سيما اللفظية منها لا تقع موقعها من الحسن إلا إذا طلبها المعنى بحيث لا يجد الشاعر أو الناثر مندوحة عنها، لذلك لا يحمل الاسترسال فيها، والولع بها لأن المعانى لا تدين للألفاظ فى كل موضع، ولا تنقاد لها فى كل حين.

المحسنات المعنوية:

١ - المطابقة[1]:

هى أن يجمع فى كلام واحد بين معنى ومقابله، أو ضده وتكون بلفظين من نوع واحد كأن يكونا «اسمين» كقوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [الكهف: ١٨] فالجمع بين «الأيقاظ والرقود» مطابق لأنه اليقظة ضد الرقود وكلاهما من نوع الاسم كما ترى. أو «فعلين» كقوله تعالى: ﴿لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ﴾ [طه: ٧٤] فالجمع بين «يموت ويحيى» مطابقة لأن الموت ضد الحياة وكلاهما من نوع الفعل «أو حرفين» نحو قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦] فالجمع بين «اللام

(١) وتسمى الطباق أيضًا.

وعلى» مطابقة لأن فى «اللام» معنى المنفعة، وفى «على» معنى المضرة وهما متضادان.

وتكون المطابقة بلفظين من نوعين مختلفين كقوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] فالجمع بين (ميتًا وأحيينا) مطابقة لأن معنيهما متضادان- غير أن الأول منهما من نوع الاسم والآخر من نوع الفعل.

ثم أن المعنيين المتقابلين إما أن يتفقا فى الإيجاب أو السلب كما مر، وإما أن يختلفا كما فى قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ⑥ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الروم: ٦-٧] فالجمع بين (لا يعلمون ويعلمون) مطابقة لأن المعنيين تقابلا بالإيجاب والسلب- ومثله قوله تعالى: ﴿فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤] وسمى هذا النوع طباق السلب، لاختلاف المعنيين إيجابًا وسلبًا.

والتقابل بين المعنيين إما واضح بين كما مر، وإما خفى نوع خفاء نحو قوله تعالى: ﴿أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ [نوح: ٢٥] فإن صريح قوله: «فأدخلوا نارًا» لا يقابل معنى «الإغراق» ولكنه يستلزم ما يقابله وهو «الإحراق» فكأنه قال: أغرقوا فأحرقوا لهذا كان فى التقابل بينهما بعض خفاء- ومثله قوله تعالى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] فإن الرحمة تستلزم اللين المقابل للشدة.

٢- المقابلة: وهى أن يؤتى بمعنيين غير متقابلين أو أكثر ثم يؤتى بما يقابل كلا على الترتيب اللفظى.

وتكون المقابلة بين معنيين كقوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ [التوبه: ٨٢] أتى بالضحك والقلة، ثم بما يقابلهما من البكاء والكثرة على الترتيب، ولا شك أن ليس بين الضحك والقلة، ولا بين البكاء والكثرة تقابل.

وتكون بين ثلاثة كقول الشاعر:

ما أحْسَنَ الدِّينَ والدنيا إذا اجتمعا ... وأقبح الكفرَ والإفلاسَ بالرجلِ

أتى بالحسن، والدين، والغنى المفهوم من «الدنيا» ثم أتى بما يقابلها من القبح، والكفر، والإفلاس على الترتيب ومثله قوله تعالى: ﴿ يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧] وتكون بين أربعة كقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ [الليل: ٥-٩] أتى أولا بالإعطاء، والاتقاء، والتصديق واليسر، ثم أتى بما يقابلها على الترتيب من البخل والاستغناء والتكذيب والعسر- ووجه مقابلة «استغنى لاتقى» أن معنى «استغنى»: زهد فيما عند الله، فلم يراقبه- أو معناه: استغنى بمتاع الدنيا عن نعيم الجنة، فلم يتق الله فى عمله وإذًا ففى مقابلة «استغنى لاتقى» نوع خفاء.

وتكون بين خمسة كقول المتنبى:

أزورهمْ وسواد الليل يَشْفعُ لى ... وأنثَنى وبياض الصُّبح يُغرى بى

أتى بالزيارة، والسواد، والليل، والشفاعة له ثم أتى بما يقابلها على الترتيب: من الانثناء، والبياض، والصبح، والإغراء به.

وتكون بين ستة كما تراه واضحًا فى قول الشاعر:

على رأس عبد تاجُ عِزٍّ يزيِّنهُ ... وفى رجل حُرٍّ قَيْدُ ذلٍّ يشينه

والمقابلة فيه واضحة أتم وضوح - كما ترى.

تنبيه:

اعلم: أن المقابلة نوع من المطابقة من حيث إن فيهما جمعًا بين متقابلين- غير أن الشرط فى المقابلة: أن يكون التقابل فيها بين معنيين على الأقل وبين ما يقابلهما، ويكون بين أكثر من ذلك كما رأيت بخلاف المطابقة فإنما تكون بين معنى واحد ومقابله كما عرفت اهـ.

٣- المشاكلة- هى أن يذكر الشىء بلفظ غيره، لوقوع ذلك الشىء فى صُحبة ذلك الغير، كقوله تعالى: ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ [الشورى: ٤٠] فالجزاء على السيئة فى الحقيقة ليس بسيئة وإنما هو «عقوبة» يُراد بها الإصلاح فالمعنى حينئذ: وجزاء سيئة

عقوبة تعادلها، فتعبيره عن العقوبة بلفظ «سيئة» مشاكلة لوقوعه فى صحبة ذلك اللفظ ومثله قول الشاعر:

قالوا اقترح شيئًا نجد لك طبخَهُ   قلت: اطبخوا لى جبةً وقميصَا

فتعبيره عن خياطة الجبة بالطبخ مشاكلة لوقوعه فى صحبة طبخ الطعام.

٤- الاستخدام: هو أن يذكر لفظ بمعنى، ويعاد عليه ضمير بمعنى آخر أو يعاد عليه ضميران يراد بثانيهما نفس ما يراد بأولهما فالأول كقول الشاعر:

إذا نزل السماء بأرض قوم   رعيناه وإن كانوا غضابا

ذكر لفظ «السماء» بمعنى الغيث ثم أعاد عليه الضمير فى «رعيناه» بمعنى «النبات» - والثانى كقول الشاعر:

فسقى الغضا والساكنيه وإن هموا   شبوه بين جوانحى وضلوعى

يدعو الشاعر لأحبته الساكنين هذا المكان بالسقيا وإن أحرقوا قلبه بنار الجوى «والغضا» شجر شديد الاشتعال وقد أعاد عليه ضميرين، أولهما مجرور بالإضافة فى «الساكنيه» وأريد به المكان، وثانيهما منصوب على المفعولية فى «شبوه» وأريد به النار المشتعلة من شجر الغضا.

٥- التورية[1]- هى أن يذكر لفظ له معنيان أحدهما قريب أى دلالة اللفظ عليه ظاهرة لكثرة استعماله فيه والثانى بعيد أى دلالة اللفظ عليه خفية لقلة استعماله فيه ويراد المعنى البعيد اعتمادًا على قرينة، كقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] فلفظ «استوى» له معنيان- قريب وهو الاستقرار فى مكان، وبعيد هو الاستيلاء على الشىء بالقهر والغلبة، والمراد منه فى الآية المعنى البعيد والقرينة على إرادته استحالة المعنى القريب على الله تعالى- ويسمى هذا النوع إيهامًا، لأن المتبادر إلى الذهن عند إطلاق اللفظ: معناه القريب، فيتوهم السامع لأول وهلة: أن المتكلم يريده وهو ليس بمراد.

والتورية قسمان: مجردة ومرشحة

(١) هى مصدر ورى عن كذا بتشديد الراء أى أراده وأظهر غيره فالتورية من معانيها ستر المعنى البعيد بالقريب.

فالمجردة: هى التى لم تقترن بشىء يلائم المعنى القريب كالآية المتقدمة فإن المعنى القريب «لاستوى» الاستقرار فى مكان ولم يذكر شىء يلائم هذا المعنى.

والمرشحة: هى التى ذكر فيها شىء يلائم المعنى القريب سواء- ذكر الملائم قبلها أو بعدها فمثال ذكره قبلها قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧] فاليد تطلق على الجارحة وهو المعنى القريب وتطلق على القدرة وهو المعنى البعيد المقصود بقرينة استحالة المعنى القريب على الله وقد ذكر قبلها ما يلائم المعنى القريب، وهو قوله: «بنيناها» لأن البناء إنما يكون باليد بمعنى الجارحة ومثال ذكر الملائم بعدها قول الشاعر:

مُذْ همت من وجدى فى خَالها ... ولم أصلْ منه إلى اللَّثم
قالت: قِفوا واسْتمعوا ما جَرى ... خالى قَدْ هامَ به عمى

«فالخال» يطلق على خال النسب وهو المعنى القريب ويطلق على الخال الذى يكون فى الخد وهو المعنى البعيد المقصود وقد ذكر بعده ما يلائم معناه القريب، وهو قوله «عمى».

٦- اللف والنشر- هو أن يذكر متعدد، ثم يذكر ما لكل واحد من آحاده من غير تعيين اتكالا على أن السامع يرد إلى كل ما يليق به لوضوح الحال.

وهو قسمان: مفصل، ومجمل

فالمفصل أن يذكر المتعدد على سبيل التفصيل لفاً ثم يذكر ما لكل واحد نشراً - سواء كان النشر على ترتيب اللف، أو على غير ترتيبه.

فالأول: كقوله تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ [القصص: ٧٣] فقد ذكر المتعدد مفصلاً وهو «الليل والنهار» ثم ذكر ما لليل من السكون فيه لأنه وقت نوم وراحة، وما للنهار من ابتغاء الرزق لأنه وقت كد وعمل، والنشر فيه على ترتيب اللف، فالأول للأول والثانى للثانى- وكقول الشاعر:

ألسْت أنتَ الذى من وَرَد نِعْمته ... ووِرد راحَته أجنى وأغترفُ

فقد ذكر متعددًا على سبيل التفصيل- وهو وَرَد نعمته بفتح الواو وورد راحته بكسر الواو ثم ذكر ما للأول من «الجنى» وما للثانى من «الاغتراف» والنشر على ترتيب اللف كما ترى.

والثاني: وهو ما يكون النشر فيه على غير ترتيب اللف- يكون على صورتين.

الأولى: أن يكون النشر على عكس اللف كقول الشاعر:

كيْفَ أسْلو وأنتَ حقفٌ وغصنٌ وغـــزال، لحظًــا، وقــداً، وردفَــا

فهو كما ترى معكوس، فاللحظ للغزال، والقد للغصن، والردف للحقف «وهو الرمل المتراكم».

الثانية: أن يكون النشر مختلطًا كقوله: هو شمس وأسد وبحر جوداً وبهاء، وجرأة، فالجود للبحر والبهاء للشمس والجرأة للأسد.

والمجمل: أن يذكر المتعدد على سبيل الإجمال، ثم يذكر ما لكل واحد من آحاده كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ [البقرة: ١١١].

فقد ذكر المتعدد مجملاً، وهو «الواو» فى «قالوا» إذ هى عبارة عن اليهود والنصارى، ثم ذكر ما يخص كلا من الفريقين فى قوله: إلا من كان هوداً أو نصارى أى قالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى فكل أمة منهما تكفر الأخرى.

٧- التوجيه ويسمى (الإبهام)- وهو أن يؤتى بكلام يحتمل على السواء معنيين متباينين، أو متضادين كهجاء ومديح ليصل القائل إلى غرضه بما لا يؤخذ عليه - مثاله ما حكى عن محمد بن حزم: أنه هنأ الحسن بن سهل مع من هنأ- بتزويج ابنته «بوران» للخليفة المأمون فأثابهم وحرمه، فكتب إليه يقول: إن أنت تماديت فى حرمانى قلت فيك بيتًا لا يعرف أمدح هو أم هجاء؟ فاستحضره وسأله عما كان منه فأقر فقال الحسن: لا أعطيك، أو تفعل فقال ابن حزم:

بارك الله للحسن ولبوران فى الختن

يا إمام الهدى ظفرت ولكن ببنت من؟

فلم يدر «ببنت من» فى العظمة وعلو الشأن، أم فى الدناءة والضعة، فاستحسن الحسن منه ذلك، وسأله: أمن مبتكراتك؟ فقال: لا، بل نقلته من شعر بشار بن برد، وكان كثير العبث بهذا النوع.

ومما يروى عنه ذلك: أنه كلف خياطًا أعور العين يسمى «عَمْرًا» أن يخيط له قباء فقال له الخياط مازحًا: لأخيطنه، فلا تدرى أهو جبة أم قباء؟ فقال له بشار: إذًا أنظم فيك شعرًا لا يدرى من سمعه: أدعوت لك أم عليك؟ فلما خاطه على الصورة التى وعده بها قال بشار:

خَـــاط لى عـــمـــرو قَــبـــاء ... ليْتَ عـــينيـــه ســـواء[1]

قُــلْ لمــن يعـــــرفُ هــذا ... أمـــــديحٌ أمْ هـجـــــاء

هكذا أخفى الشاعر مراده فلم يدر: أطلب أن تسوى العوراء بالصحيحة، فيكون دعاء له بالإبصار الكامل أم طلب أن تسوى الصحيحة بالعوراء، فيكون دعاء عليه بالعمى الكامل؟

٢- الاقتباس: هو أن يضمن الكلام - نثرًا كان أو نظمًا- شيئًا من القرآن أو الحديث، لا على أنه منه، ويحسن أن يمهد المقتبس، بحيث يكون مندمجًا فى الكلام اندماجًا تامًا- وأحسنه: ما كان فى معانى الوعظ، والتذكر والزهد، وكل ما يراد به إصلاح خلق وهو ضربان:

١- ما لا ينتقل فيه المقتبس عن معناه الأصلى كقول الحريرى:

«فلم يك إلا كلمح البصر أو هو أقرب، حتى أنشد فأغرب» وكقول الشاعر:

إن كنت أزمــعت على هجـــرنا ... من غـير مـا جـرم «فصبـر جميل»

وإن تبــدلت بنا غـــيـــرنا ... «فــحــسـبنـا الله ونعم الوكــيل»

٢- ما ينتقل فيه المقتبس من معناه الأصلى كقول ابن الرومى الشاعر العباسى:

لئنْ أخطأت فى مـــدحــ ... ك مــــا أخطأت فى منعى

لقـــدْ أنزلت حــاجــاتى ... بــوادٍ غـــيـــــر ذى زرع

فإن معنى «الوادى غير ذى الزرع» المقتبس من القرآن الكريم. المكان الجدب لا ماء فيه ولا نبات، فنقله الشاعر من هذا المعنى إلى جانب لا خير فيه.

هذا- ولا يضر يسير التغيير لضرورة الشعر، كما تراه فى قول الشاعر:

---

(١) روى أن اسم الخياط «زيد» والقباء بفتح القاف: ضرب من الثياب.

قـد كـان مـا خـفت أن يكونا   إنـا إلـى الله راجـعـونـا

ونصه فى القرآن: ﴿ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٦] وكما تراه فى قول الصاحب فى الاقتباس من الحديث الشريف:

قـال لى: إن رقـيـبى سىء الخلق فَـدارِه

قُلتُ: دعـينى وجـهك الجنة حُـفَّتْ بـالمكارِه

ونص الحديث هكذا: «حُفتْ الجنةُ بالمكارِه، وحُفتْ النارُ بالشهوات».

٩- الجمع - هو أن يجمع بين شيئين فأكثر فى حكم واحد كقوله تعالى: ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [الكهف: ٤٦] جمع بين «المال والبنين» فى حكم واحد هو: أنهما زينة الحياة، وبهجتها وكقول ابن الرومى:

آراؤكم ووجـوهكم وسـيـوفكم   فى الحَـادثاتِ إذا دجـون نُـجـوم

جمع بين هذه الأشياء الثلاثة فى حكم واحد هو تألقها كالنجوم، يهتدى بها فى دياجير الأحداث والمحن.

١٠- التفريق- هو أن يفرق المتكلم بين أمرين متدرجين تحت جنس واحد كقول الشاعر:

مـا نـوال الغـمـام وَقْتَ ربيعٍ   كنـوال الأمـيـرِ وَقْتَ سَـخـاء

فنوال الأمـيـر بِدرة عينٍ(١)   ونوال الـغـمـام قطرةُ مـاء

فالأمران هما «النوالان» وقد اندرجا تحت جنس واحد هو «العطاء» ففرق الشاعر بينهما فى المنزلة إذ جعل نوال الأمير فوق نوال الغمام، من حيث إن الأول يجل منفعة عن الثانى وكقول الآخر:

مَنْ قـاسَ جُـودَكَ بالغـمام لـمـا   انـصف فـى الحكم بين مِـثلين

أنت إذا جـدت ضـاحـكٌ أبدًا   وهـو إذا جَـادَ دامعُ الـعـيْنِ

فرق بين الجودين، مستنداً فى التفريق إلى ما ابتدعه من هذا التعليل الجميل.

١١- التقسيم- هو أن يذكر متعدد، ثم يضاف إلى كل من آحاده ما يخصه على

(١) البدرة: كيس فيه عشرة آلاف درهم.

التعيين وبهذا القيد يَفْترِقُ عن اللف والنشر إذ لا تعيين فيه. بل هو موكول إلى الأفهام كما ذكرنا، مثال التقسيم قول الشاعر:

ولا يُقِيمُ على ضَيْمٍ يُرادُ به ... إلا الأذلان- عير الحى والوتد[1]

هذا على الخسف مربوط بِرُمته ... وذا يُشجُّ فلا يرثى له أحد

ذكر متعدداً وهو «العير والوتد» ثم أضاف إلى الأول «الربط على الخسف» وهو الذل، وأضاف إلى الثانى «الشج بلا هوادة».

١٢- المبالغة- هى أن يدعى بلوغ وصف فى الشدة، أو الضعف حداً يستحيل، أو يبعد.

وهى تنقسم إلى ثلاثة أقسام- تبليغ، وإغراق، وغلو.

فالتبليغ: ما يكون المدعى فيه ممكنًا عقلاً وعادة كقول امرئ القيس:

فعادى عداء بين ثور ونعجة ... دراكا فلم ينضح بماء فيغسل[2]

يريد «بالثور»: الذكر من بقر الوحش، و«بالنعجة»: الأنثى منه. وصف الشاعر فرسًا له، فادعى أنه أدرك ثوراً وبقرةً وحشيين فى شوط واحد ولم يعرق وهذا أمر يجيزه العقل، ولا تحيله العادة، وإن كان حصوله فى غاية الندرة.

والإغراق ما يكون فيه ممكنًا عقلاً، لا عادة كقول أبى الطيب:

روح تردد فى مثل الخلال[3] إذا ... أطارتْ الريحُ عنها الثوبَ لم تبنِ

كفى بجسمى نحولاً أننى رجلٌ ... لولا مخاطبتى إيّاك لم ترنِى

فيجوز عقلاً أن يصل الشخص فى النحف والهزال إلى هذه الحال وإن امتنع ذلك فى العادة.

وأحسنه ما اقترن به ما يقربه إلى الإمكان من نحو «لو» و«لولا»، و«كاد» و«خيل إلى»، و«شبه لى»، وما أشبه ذلك والبيت المذكور من هذا القبيل لاشتماله على لفظ «لولا»- والتبليغ والإغراق مقبولان، لعدم ظهور الكذب الموجب الرد فيهما.

---

(١) الأذلان: مثنى الأذل وهو المهين الحقير والعير الحمار، والوتد كتف ما يسمر فى الأرض من الخشب، والرمة بضم الراء قطعة من الحبل.

(٢) عادى عداء: والى موالاة بين الصيدين يتبع أحدهما أثر الآخر و«دراكا» متتابعًا، والنضح: الرشح.

(٣) جمع خل بالفتح وهو الثوب الخلق.

والغلو ما يكون المدعى فيه غير ممكن، لا عقلاً، ولا عادة- وهو ضربان مقبول، ومردود.

فالمقبول: أنواع ثلاثة:

الأول- ما اقترن به ما يقرب إلى الإمكان: من نحو «يكاد» فى قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور: ٣٥] فليس معقولاً ولا معتاداً أن يضيء زيت من غير أن تمسه نار، ولكن الذى قربه إلى الإمكان، وجعل الذهن يستسيغه لفظ (يكاد) الذى أفاد أن المدعى لم يكن، ولكنه قارب أن يكون مبالغة ومن هنا كان الغلو مقبولاً..

الثانى: ما تضمن حسن تخييل كقول المتنبى يصف خيلاً:

عقدت سنابكها عليها عثيراً ... لو تبتغى عنقاً عليه لأمكنا[1]

ادعى الشاعر: أن الغبار المثار فوق الرؤوس من سنابك الخيل قد تراكم وتكاثف، بحيث صار أرضاً فى استطاعة الخيل (لو أرادت) أن تسير عليه كما تسير على الأرض، وهذا (كما ترى) ممتنع عقلاً وعادة، ولكن الذى يجعله مقبولاً مستساغاً: أنه تضمن تخيلاً حسناً، نشأ من ادعاء كثرة الغبار وتكاثفه حتى صار بمثابة الأرض المعلقة فى الهواء إلى ما اقترن به مما قربه إلى الإمكان، وهو لفظ (لو) الدالة على أن مدعاه لم يكن -ومنه قول المعرى يصف سيفاً:

يذيبُ الرعبَ منه كل عضبٍ ... فلولا الغِمْدُ يُمْسكه لسالا

الثالث: ما خرج مخرج الخلاعة والمجون كقول الشاعر:

أسكرُ بالأمسِ إنْ عزمتُ على الشر ... بِ غداً إنَّ ذا من العجبِ

ادعى: أن شغفه بالشراب وصل إلى درجة أن يسكر بالأمس، عند عزمه على الشرب غداً ولا شك أن ذلك محال عقلاً وعادة ولكن لما أتى بالكلام على سبيل الهزل والمجون كان الغلو مقبولاً، وكقول الآخر:

(١) السنابك: الحوافر والعثير: بكسر فسكون ففتح الغبار والعنق: بفتح العين والنون السريع وضمير «عليها» للخيل.

ومر بفكرى خاطرًا فجرحته ... ولم أر خلقًا قط يجرحه الفكر

ادعى: أن فكره جرح محبوبه وهو أمر محال الحصول فى العقل والعادة لكن خروج الكلام مخرج الخلاعة والتظرف جعله مقبولاً مساغًا.

والمردود ما ليس ممكنًا لا عقلاً ولا عادة ولم يكن أحد الأنواع السابقة كقول أبى نواس الحسن بن هانئ يمدح هارون الرشيد:

وأخفتَ أهلَ الشِّركِ حتّى أنه ... لتخافُكَ النُّطفُ التى لم تخلق

يمدح الخليفة: بأنه أخاف الكفار جميعًا -من وجد منهم ومن لم يوجد وقد بالغ فى إخافته أهل الشرك حتى جعله موضع خشية ورهبة النُّطف التى لم توجد بعد ومعلوم بالبداهة: أن خوف النطف الموجودة محال عقلاً وعادة، لعدم قيام الحياة بها فما بالك بنطف لم تخلق أصلا فمثل هذا غلو مردود لعدم اشتماله على شىء من موجبات القبولَ المتقدمة.

١٣- **حسن التعليل:** هو أن يدعى لوصف (على جهة التظرف) علة مناسبة ليست له فى الواقع وهذا الوصف لا يخلو حاله من أمرين:

١- أن يكون ثابتًا، فيقصد بيان علته.

٢- أن يكون غير ثابت. فيراد إثباته بعلة مدعاة.



والأول: إما أنه لا يظهر فى العادة وإما أن تظهر له علة غير المدعاة -مثال الأول قول أبى هلال العسكرى:

زعم البنفسج أنه كعذاره ... حسنًا فسَلُّوا من قفاه لسانه

فخروج ورقة البنفسج إلى الخلف وصف ثابت لا علة له وقد علله الشاعر بما ليس علة له فى الواقع وهو أنه سل لسانه من قفاه إذ زعم أنه يشبه عذار الحبيب فى الحسن كذبًا وافتراء -ومثال للثانى قول أبى الطيب المتنبى:

ما به قتل[1] أعاديه ولكن ... يتقى إخلاف ما ترجو الذئاب

(١) «ما» نافية، أى ليس بالممدوح حنق أوجب قتل أعاديه.

يقول: ليس هناك ما يحمله على قتل أعدائه والفتك بهم، لتمكنه منهم بقوة سلطانه، ولكن الذى يحمله على ذلك تحقيق ما ترجوه جماعة الذئاب من إطعامه إياهم لحوم الأعداء وأنه لا يريد أن يخيب رجاءها فيه - فقتل أعاديه وصف ثابت وعلته دفع مضرتهم، وخلو المملكة من منازعاتهم ولكن الشاعر علله على سبيل التظرف بعلة أخرى، ليست له فى الواقع وهى ما ذكرناه: من أنه يريد أن يحقق ما ترجوه الذئاب من اتساع الرزق على يديه بلحوم من يفتك بهم من الأعداء.

والثانى: وهو الوصف غير الثابت المراد إثباته -إمّا ممكن، أو غير ممكن فمثال الوصف الممكن قول مسلم بن الوليد:

يا واشيًا حسنت فينا إساءته ... نجى حذارك إنسانى من الغرق

فاستحسان إساءة الواشى وصف غير ثابت عادة إذ لا يستحسن الناس إساءة الوشاة، ولكنه ممكن الحصول وقد أريد إثباته، فعلله الشاعر بعلة تقتضى وقوعه فى زعمه، وهى حذاره من أن يفطن الواشى، ويشعر بما عنده فيشمت به، ولأجل ذلك امتنع من البكاء، فسلم إنسان عينه من الغرق ومثال الوصف غير الممكن قول الشاعر:

لو لم تكن نية الجوزاء خدمته ... لما رأيت عليها عقد منتطق[1]

فنية الجوزاء خدمة الممدوح صفة غير ثابتة، وغير ممكنة أيضًا لأن النية إنما تكون ممن له إدراك، وقد قصد إثباتها بالعلة المذكورة، وهى كونها منتطقة، أى شادة النطاق فى وسطها، كما يفعله الخادم عادة.

١٤- ائتلاف اللفظ مع المعنى: هو أن تكون الألفاظ على وفق المعانى، فتختار الألفاظ الجزلة، والعبارات الكزة الشديدة، للمعنى الضخم كالفخر والحماسة، وكالوعيد والتهديد، وتختار الألفاظ اللينة العود، الناعمة الملمس للمعنى الوديع الهادئ كالغزل، والاستعطاف، والاعتذار، ونحو ذلك من المعانى العاطفية.

فالأول: كقول بشار بن برد فى الحماسة والفخر:

إذ ما غضبنا غضبة مضرية ... هتكنا حجاب الشمس أو مطرت دما

إذا ما أعرنا سيدًا من قبيلة ... ذرا منبر صلى علينا وسلما

(١) الانتطاق، شد المنطقة فى الوسط.

والثانى: كقول أبى العتاهية فى الاستعطاف:

وما كنت تولينى لعلك تذكر | تذكر أمين الله حقى وحرمتى
فمن لى بالعين التى كنت دائمًا | إلىَّ بها فى سالف الدهر تنظر؟

وهكذا -لكل مقام مقال، ولكل موقف مجال.

١٥- حسن الابتداء: هو أن يكون الكلام بارع المطلع أى لمبدئه روعة تستهوى اللب، وتستخف السمع، ذلك بأن يكون عذب اللفظ، حسن السبك، صحيح المعنى لأن الكلام المبتدأ به أول ما يقرع السمع، أو يقع عليه النظر، فإذا كان على هذه الصفات المذكورة وقع من قلب السامع أو القارئ موقعه من الحسن، فأقبل عليه واهتم به، ووعاه إلى نهايته وإن لم يكن لباقيه من الجودة ما لأوله -فإذا لم يكن مستهل الكلام على ما ذكرنا صدفت عنه النفس ونفرت وإن كان باقيه رائع الحسن.

وأحسنه ما اشتمل على إشارة لطيفة إلى المقصود ويسمى ذلك «براعة استهلال» كقول المتنبى فى تهنئة سيف الدولة بإبلاله مما ألم به:

المجْدُ عُوفى إذْ عوفيتَ والكرمُ | وزل عنك إلى أعدائِك الألمُ

وكقول أشجع السلمى يهنىء ببناء قصر:

قصرٌ عليك تحيةٌ وسلامُ | خلعت(١) عليك جمالها الأيامُ

وكقول أبى تمام فى مطلع قصيدة رثاء:

كذا فليجل الخطبُ وليفدحَ الأمرُ | فليس لعينٍ لم يفضْ ماؤها عذرُ

وينبغى: أن يتجنب فى مطالع المديح والتهانى ما يتطير منه كقول ابن مقاتل الضرير فى مطالع قصيدة، يمدح فيها الداعى العلوى:

(موعدُ أحبابِكَ بالفُرْقة(٢) غدا)

---

(١) ضمن «خلع» معنى طرح لعداه للمفعول الثانى «بعلى والمعنى: أن الأيام نزعت جمالها وطرحته على ذلك القصر.

(٢) بضم الفاء وسكون الراء اسم موضع ولكن لما كان يوهم معنى الفراق كان موضع تطير وشؤم.

وعند إنشادها تطير العلوى وقال: بل موعد أحبابك يا أعمى، ولك المثل السوء - وروى أن ابن مقاتل هذا دخل على العلوى المذكور فى يوم المهرجان[1] فأنشده:

لا تقل بشــرى ولكن بشــريان غــرة الـداعى ويوم المهــرجــان

فتطير به الداعى العلوى وأمر بإلقائه على وجهه وضربه خمسين عصا وقال: إصلاح أدبه خير من إثابته.

١٦- **حسن الختام:** أن يكون الكلام بارع المقطع أى فى ختامه روعة تهتز لها النفس، ويطرب لها السمع؛ ذلك: أن ختام الكلام هو آخر ما تعيه الأذن، ويرتسم فى الخيال فإن كان حسنًا هفت إليه النفس، واستلذ السمع، وقد يكون جابرًا لما عساه قد وقع من نقص أو تقصير، فإن لم يكن الانتهاء حسنًا رائعًا كان الأمر على العكس من صدوف النفس ونفورها واستكراه السمع ومجه وقد يُنْسى ذلك ما تقدم من محاسن الكلام، فيعود السامع أو القارئ على مجموعه بالذم وإن كان حسنًا.

وصفوة القول: أن ما يختم به الكلام بمثابة الطعام. يؤتى به فى ختام الأطعمة فإن كان حلوًا لذيذًا أنسى مرارة أو ملوحة ما قبله وإن كان مرًا ومالحًا أنسى حلاوة أو عذوبة ما قبله.

ومثال ما فى ختامه روعة قول أبى نواس فى المدح:

وإنى جــدير (إذ بـلغــتك) بالمنى وأنـت بما أمـلـت منك جــديـر

فــإن تولنى منك الجــمـيل فــأهله وإلا فــإنى عـــاذر وشكـور

وأروعه، ما آذن بانتهاء الكلام حتى لا يبقى للنفس تشوف إلى ما وراءه ويسمى ذلك (براعة المقطع) كقول أبى العلاء:

بقـيت بقـاء الدهر يـا كـهـف أهله وهذا دعـــاء لـلـبـريـة شـــامل

وكقول ابن حجة:

عليك سـلامٌ لـنشــره كُلمـا بدا بـه يـتـغـالى الـطـيبُ والمسكُ يُخْـتَمُ

وكقوله فى مدحه يوم عيد:

يا ناظم النجم كن «عونى» فقد عطلت أجـياد غـيـدى وإن أبدعت تقليـدى

ويا ملوك القـوافى استـميـحكم عـفـو الكرام فـهذا كـل مجهـودى

[1] يوم المهرجان أول يوم من فصل الخريف وهو عندهم يوم فرح وسرور.

تمرين

١ - تكلم باختصار عن تاريخ علم البديع.

٢ -وضح الفرق بين هذه العلوم الثلاثة: البيان، والمعانى، والبديع.

٣ - عرف علم البديع وقسم وجوه الحسن فيه، وبين كل قسم مع التمثيل.

٤ - بين أنواع المحسنات البديعية فيما يأتى:

١ - ﴿ وَهُوَ الَّذِى يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ﴾ [الأنعام: ٦٠].

٢ - حملناهم طراً على الدهم بعدما ... خلعنا عليهم بالطعان ملابسا

٣ - ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾ [الإنفطار: ١٣، ١٤].

٤ - ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

٥ - إن الشباب والفراغ والجدة[1] ... مفسدة للمرء أى مفسد

٦ - حسبت جماله بدراً منيراً ... وأين البدر من ذاك الجمال

٧ - فما هو إلا الوحى أو حد مرهف ... تميل ظباه أخدعى كل مائل[2]

فهذا دواء الداء من كل عالم ... وهذا دواء الداء من كل جاهل

٨ - فتى تمَّ فيه ما يسر صديقه ... على أن فيه ما يسوء الأعاديا

٩ - فعل المدام ولونها ومذاقها ... فى مقلتيه ووجنتيه وريقه

١٠ - قال الله تعالى: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلا أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ﴾.

١١ - أيها السائل قوما ... ما لهم فى الخير مذهب

اترك الناس جميعا ... (وإلى ربك فارغب)

١٢ - تكاد قسيه من غير رام ... تمكن فى قلوبهم النبالا

---

(١) الاستغناء.

(٢) «المرهف» السيف القاطع و«ظباه» جمع ظبة وهى حد السيف. والأخدعان تثنية أخدع وهو مجرى من مجارى الدم إذا قطع مات صاحبه.

١٣- لا تنكرى عطل الكريم من الغنى ... فالسيل حرب للمكان العالى

١٤- وكنا إذا الجبار صعَّر خده ... ضربناه حتى تستقيم الأخادع

١٥- بشرى فقد أنجز الإقبال ما وعدا ... وطالع السعد فى أفق العلا صعدا

١٦- وإنى محب لطه ومن ... يحب النبى فحاشا يضام

نبى كريم رؤوف رحيم ... عليه الصلاة وأزكى السلام

***

المحسنات اللفظية- منها:

١- الجناس ويقال له: المجانسة والتجانس ولا يحسن فى الكلام إلا إذا وافق مصنوعه مطبوعه فينبغى أن ترسل المعانى على سجيتها لتكتسى من الألفاظ ما يزينها، فيكون ذلك أدعى لميل النفس، وأملك لزمام السمع.

تعريفه: أن يتفق اللفظان فى وجه من الوجوه الآتية بعد، مع اختلاف المعنى وهو نوعان: تام وغير تام.

الجناس التام: هو ما اتفق فيه اللفظان فى أربعة أشياء: فى نوع الحروف وعددها، وهيئتها، وترتيبها.

كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: ٥٥] فلفظتا (ساعة) فى الآية قد اتفقتا فى هذه الأشياء المذكورة: مع اختلافهما فى المعنى إذ قد أريد بالساعة فى الأولى: (القيامة) وفى الثانية: (الساعة الزمنية).

وهو أنواع ثلاثة: مماثل -ومستوفى- ومركب.

فالمماثل[1]: أن يتفق فى نوع الكلمة بأن يكونا اسمين، أو فعلين أو حرفين.

فالاسمان كالآية المتقدمة فإن لفظى الساعة فيهما من نوع الاسم، وكقول أبى تمام:

فأصبحت غرر الأيام مشرقة ... بالنصر تضحك من أيامك الغرر

(فالغرر) الأولى بمعنى البياض والإشراق، والثانية بمعنى الكرم والشرف، وكلتاهما من نوع الاسم وكقول الشاعر:

---

(١) سمى هكذا لاتحاد نوع الاسم فيهما.

حدق الآجال آجال   والهوى للمرء قتال

(فالآجال) الأولى جمع إجْل بكسر فسكون، وهو القطيع من بقر الوحش، والثانية جمع أَجل بفتح الهمزة والجيم، وهو أمد العمر، وكلاهما أيضًا من نوع الاسم.

والفعلان كقولك: فلان يجيد أمرين -يضرب فى البيداء فلا يضل، ويضرب فى الهيجاء فلا يكل (فيضرب) الأولى بمعنى قطع المسافة، والثانية بمعنى الحمل على الأعداء وكلاهما من نوع الفعل.

والحرفان كقولك: تذرع بالصبر تظفر به، فالباء الأولى للتعدية والثانية للتسمية وكلاهما من نوع الحرف.

والمستوفى[1] أن يختلف اللفظان فى نوع الكلمة بأن يكون أحدهما اسمًا والآخر فعلاً، أو أحدهما حرفًا، والآخر اسمًا، أو فعلاً.

فمثال الاسم مع الفعل قول أبى تمام:

ما مات من كرم الزمان فإنه   يحيا لدى يحيى بن عبد الله

(فيحيا) الأول فعل مضارع والثانى اسم علم على الممدوح وكقول بعضهم:

إذا رماك الدهر فى معشر   قد أجمع الناس على بعضهم

فدارهم ما دُمْتَ فى دارهم   وارْضهم ما دمت فى أرضهم

والشاهد فى البيت الثانى فإن كلا من (دارهم وأرْضهم) فى الأول فعل أمر، وفى الثانى اسم.

ومثال الاسم: مع الحرف قولهم: (رُبَّ رجل شرب رب رجل آخر) (فرب) الأول حرف جر والثانية اسم للعصير المستخرج من العنَب.

ومثال الفعل: مع الحرف قولك: علا محمد عليه الصلاة والسلام على جميع الأنام (فعلا) الأولى فعل ماض بمعنى ارتفع والثانية. حرف جر.

والمركب: أن يكون كلا اللفظين أو أحدهما مركبًا.

---

(١) سمى بذلك لاستيفاء كل من اللفظين أوصاف الآخر وإن اختلفا فى النوع.

فالأول- وهو ما يكون اللفظان مركبين- كقول الشاعر:

فلم تضع الأعادى قدر شأنى ... ولا قالوا: فلان قد رشانى

فاللفظ الأول مركب من القدر والشأن والثانى مركب من (قد) الحرفية. ومن الفعل المشتق من الرشوة ويسمى هذا النوع جناسا ملفقًا.

والثانى- وهو ما يكون أحد اللفظين فيه مركبًا -وهو أنواع ثلاثة- مرفو، ومتشابه، ومفروق.

فالمرفو[1]: ما كان اللفظ المركب فيه مركبًا من كلمة وجزء كلمة كقولهم:

(أهذا مصاب أم طعم صاب) فاللفظ الأول مفردًا إذ هو (اسم مفعول) من (أصاب) والثانى مركب من كلمة هى لفظ «صاب» بمعنى العلقم. وجزء كلمة وهو «الميم» من طعم.

والمتشابه[2]: ما كان اللفظ المركب فيه مركبًا من كلمتين، مع اتفاق اللفظين فى الخط كقول الشاعر:

إذا مَلِكٌ لم يكن ذا هبةٍ ... فدعْهُ فدولته ذاهبة

فاللفظ الأول مركب من كلمتين هما - «ذا» و(هبة) بمعنى صاحب عطية أى: كريم والثانى مفرد، وهو اسم فاعل من الذهاب وقد اتفق اللفظان فى الخط (كما ترى) وكقولهم: يا مغرور أمسك، وقس يومك بأمسك فاللفظ الأول مفرد، وهو فعل أمر مشتق من الإمساك، بمعنى الكف عن الشيء والثانى، مركب من كلمتين -أمس وكاف الخطاب وقد اتفقتا فى الخط أيضًا.

والمفروق[3]: ما كان اللفظ المركب فيه مركبًا من كلمتين مع اختلاف اللفظين فى الخط كقول الشاعر:

لا تعرضنَّ على الرواةِ قصيدة ... ما لم تكنْ بالغت فى تَهْذِيبِها

---

(١) سمى «مرفوا» أخذًا من قولهم: رفأ الثوب إذا جمع ما تمزق منه بالخياطة والمثال المذكور كأننا أخذنا الميم من «طعم» ورفانا بها «صاب» فصارت «مصاب».

(٢) سمى بذلك لتشابه اللفظين فى الخط.

(٣) سمى بذلك لافتراق اللفظين فى الخط.

فإذا عرضت الشِّعرَ غيرَ مهذَّبٍ عدوه منك وساوسًا تهذِى بها

فاللفظ الأول مفرد وهو مصدر (هذب) بالتضعيف، والضمير المضاف إليه بمثابة الجزء منه. والثانى مركب من كملتين هما (تهذى) و(بها) من الهذيان وهو الاختلاط فى القول، وقد اختلف اللفظان فى الخط كما ترى.

الجناس غير التام -هو ما اختلف فيه اللفظان فى واحد من الأشياء الأربعة السابقة وهو على أربعة أحوال لأن الاختلاف -إما فى نوع الحروف، أو فى عددها، أو فى هيئتها، أو فى ترتيبها.

الاختلاف فى النوع: إذا اختلف اللفظان فى نوع الحروف كان الجناس على نوعين - مضارع، ولاحق.

فالمضارع[1]: ما كان فيه الحرفان اللذان وقع بينهما الاختلاف متقاربين فى المخرج - سواء أكانا فى أول اللفظ، أو فى وسطه، أو آخره.

فالأول: نحو قولهم: بينى وبين كنى ليل دامس وطريق طامس[2] فالدال فى (دامس) والطاء فى (طامس) مختلفان فى النوع إلا أنهما متقاربان فى المخرج لأنهما خارجان من اللسان.

والثانى كقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْئَوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦] فالهاء والهمزة مختلفان فى النوع إلا أنهما متقاربان فى المخرج إذ هما حلقيان.

والثالث كقوله ﷺ: «**الخيل معقود فى نواصيها الخير**» فبين اللام والراء اختلاف فى النوع، وتقارب فى المخرج (فخروجهما من اللسان).

والملاحق[3]: ما كان فيه الحرفان المختلفان متباعدين فى المخرج -سواء أكانا فى أول اللفظ، أو فى وسطه، أو فى آخره كذلك.

فالأول نحو قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١] فالهاء واللام متباعدتان فى المخرج، فالأولى حلقية، والثانية لسانية.

---

(١) سمى بذلك لمضارعة المباين من اللفظين لصاحبه فى المخرج.
(٢) الدامس الشديد الظلمة والطامس المطموس وهو الذى لا يتبين فيه أثر يهتدى به.
(٣) سمى بذلك لأن أحد اللفظين ملحق بالآخر فى الجناس باعتبار معظم الحروف.

والثانى نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ [العاديات: ٧]، فبين الهاء فى (شهيد) والدال فى (شديد) تباعد فى المخرج إذ الأولى حلقية والثانية لسانية.

والثالث نحو قول أبى عبادة البحترى، أحد شعراء الدولة العباسية:

ألمن فـــات مـن تلاقـى تـلاف أم لشـاك مـن الصـبابـة شـاف؟

والشاهد فى (تلاقى وتلاف) فإن القاف والفاء فيهما متباعدتان فى المخرج كما ترى.

تنبيه: يشترط فى اللفظين المختلفين فى نوع الحروف ألا يقع الاختلاف فى أكثر من حرف واحد وإلا لم يبق بينهما تجانس لفظى (كنصر ونكل).

الاختلاف فى العدد: إذا اختلف اللفظان فى عدد الحروف بأن يكون عدد أحد اللفظين فى عدد الحروف زائداً سمى (الجناس الناقص) لنقصان أحد اللفظين عن الآخر وهو على أنواع. مطرف، ومكتنف، ومذيل.

فالمطرف: ما كان فيه الزيادة فى أول اللفظ كما فى قوله تعالى: ﴿ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾ [القيامة: ٢٩، ٣٠] بزيادة الميم فى أول اللفظ الثانى.

والمكتنف: ما كان فيه الزيادة فى وسط اللفظ نحو قولهم: جدى جهدى بفتح الجيم فيهما وزيادة الهاء وسطًا فى الثانى.

والمذيل: ما كان فيه الزيادة فى آخر اللفظ كقول أبى تمام:

يمدون من أيد عـواصٍ عـواصم تصول بأسياف قـواض قواضب(١)

فقد زيد ميم فى «عواصم». وباء فى «قواضب» وكلتا الزيادتين فى الآخر، وكقول الخنساء فى رثاء أخيها صخر:

إن البكاء هـو الشـفـا ء من الجـوى بين الجـوانح

فبين الجوى والجوانح جناس مذيل، لأن الثانى زاد عن الأول بحرفين فى آخره.

(١) عواص: جمع عاصية من العصيان، وعواصم: جمع عاصمة من العصمة أى عاصيات على أعدائهم عاصمات لأوليائهم، وقواض: جمع قاضية من القضاء وهو الإهلاك، وقواضب: جمع قاضبة من القضب، وهو القطع أى مهلكة قاطعة.

الاختلاف فى الهيئة: إذا اختلف اللفظان فى هيئة الحروف كان الجناس على نوعين: محرف، ومصحف.

فالمحرف[١]: ما اختلف فيه اللفظان فى الحركات والسكنات نحو قولهم: جبة البرد جنة البرد، فبين البرد والبرد جناس محرف لاختلافهما فى الهيئة إذ أن الأول بضم الباء وهو ضرب من الثياب، والثانى بفتحها وهو ضد الحر وكقولهم: الجاهل إما مفرط أو مفرط فالأول اسم فاعل من الإفراط وهو تجاوز الحد والثانى اسم فاعل من التفَريط وهو التقصير.

والمصحف[٢]: ما اختلف فيه اللفظان نقطًا بحيث لو زال إعجام أحدهما أو كليهما لم يتميز أحدهما عن الآخر كقول أبى نواس:

من بحر شعرك أغترف وبفيض علمك أعترف

فبين «أغترف وأعترف» جناس مصحف إذ ليس بينهما خلاف إلا بالنقط بحيث لو تجرد كلاهما عنه، لم يتميز أحدهما عن الآخر.

الاختلاف: فى الترتيب: إذا اختلف اللفظان فى ترتيب الحروف سمى «جناس القلب» وهو على أربعة أنواع -قلب كل، قلب بعض، مجنح، مستو.

فالقلب الكلى: ما انعكس فيه الترتيب كقولهم: حسامه فتح لأوليائه وحتف لأعدائه، فبين «فتح وحتف» جناس قلب كلى لانعكاس الترتيب فيهما انعكاسًا كلياً إذ أن «حتف» مقلوب «فتح».

والقلب الجزئى: ما انعكس فيه الترتيب بعضًا نحو «اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا» فانعكاس الترتيب فيه ليس فى جميع الحروف كما ترى.

والمجنح[٣]: ما كان فيه أحد اللفظين اللذين وقع بينهما القلب فى أول البيت والآخر فى اخره. كأنه ذو جناحين كقول الشاعر:

لاح أنوار الهدى فى كفه فى كل حال

(١) سمى بذلك لانحراف إحدى الهيئتين عن الأخرى.
(٢) سمى بذلك لتشابه اللفظين فى الخط من التصحيف وهو التشابه خطًا.
(٣) سمى بذلك، لأن اللفظين اللذين وقع بينهما القلب بمنزلة جناحين للبيت وهو كما قيل خاص بالشعر.

فاللفظ الأول وهو (لاح) وقع فى أول المصراع الأول، والثانى هو لفظ (حال) وقع فى آخر المصراع الثانى.

والمستوى[1]: ما كان اللفظ فيه: بحيث لو عكس، وبدئ بحرفه الأخير إلى الأول لم يتغير نحو: «كل فى فلك» فإنك لو عكست هذا التركيب، فبدأت من الكاف فى (فلك) كان هو بعينه ولبعض الأدباء رسالة كبيرة فى هذا النوع من البديع.

٢- رد العجز على الصدر -ويكون فى النثر، وفى النظم.

فهو فى النثر: أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين فى اللفظ دون المعنى، أو الملحقين بالمتجانسين، وهما اللذان يجمعهما الاشتقاق أو شبه الاشتقاق -فى أول الفقرة، والآخرة فى آخرها.

فمثال المكررين: قوله تعالى: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧] فقد جعل أحد اللفظين المكررين، أى المتفقين لفظًا ومعنى فى أول الفقرة، والثانى فى آخرها كما تراه فى الآية الكرية.

ومثال المتجالسين قوله: سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل، فالأول مأخوذ من السؤال، والثانى من السيلان.

ومثال الملحقين: بالمتجانسين اشتقاقًا قوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠] فاللفظان المذكوران يجمعهما مصدر واحد هو الغفران.

ومثال الملحقين: بالمتجانسين بشبه اشتقاق قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٨] فبين (قال والقالين شبه اشتقاق. من حيث الحروف الأصول وهى (القاف واللام) وإلا فإن مصدر (قال) القول، ومصدر القالين القلى أى البغض فالمصدران مختلفان مدلولاً.

وهو فى النظم: أن يكون أحد اللفظين الموصوفين بأحد الأوصاف السابقة فى آخر البيت، والآخر -إما فى صدر المصراع الأول، أو فى حشوه، أو فى آخره أو فى صدر المصراع الثانى.

(١) سمى بذلك لاستواء التركيب قبل العكس وبعده.

فالمثال الأول للمكررين قول الشاعر:

سريع إلى ابن العم يلطم وجهه وليس إلى داعى الندى بسريع

فالمكرر الآخر فى صدر المصراع الأول - والمثال الثانى لهما قول الشاعر:

تمتع من «شميم» عرار نجد فما بعد العشية من عرار[١]

فالمكرر الآخر فى حشو المصراع الأول - والمثال الثالث لهما أيضًا قول الشاعر:

ومن كان بالبيض الكواعب مغرمًا فمازلت بالبيض القواضب مغرمًا[٢]

فالمكرر الآخر فى آخر المصراع الأول - والمثال الرابع قول الشاعر:

وإن لم يكن إلا معرج ساعة قليلا فإنى نافع لى قليلها[٣]

فالمكرر الآخر فى أول المصراع الثانى كما ترى.

والمثال الأول للمتجانسين قول الشاعر:

دعانى من ملامكما سفاها[٤] فداعى الشوق قبلكما دعانى

فالمتجانس الآخر فى صدر المصراع الأول، وهو بمعنى «تركانى» والذى فى آخر البيت بمعنى الدعاء - وهكذا يمثل للملحقين بالمتجانسين اشتقاقًا، أو شبه اشتقاق - غير أنه لم يحضرنا أمثلة لهما فى النظم.

٣- العكس: هو أن يقدم جزء من كلام على آخر، ثم يعكس، فيؤخر ما قدم، ويقدم ما أخر كما تقول: قول الإمام إمام القول، فقد قدم القول على الإمام ثم عكس، فقدم الإمام بعد تأخيره، وأخر القول بعد تقديمه - ويقع العكس على وجوه.

أحدها: أن يقع بين أحد طرفى جملة، وما أضيف إليه ذلك الطرف، كما تقدم فى المثال السابق فإن لفظ «قول» أحد طرفى الجملة المذكورة لأن المبتدأ، ولفظ «الإمام»

(١) النجد هنا ما ارتفع من بلاد العرب. والعرار وردة ناعمة طيبة الرائحة.

(٢) الكواعب: جمع كاعب وهى الجارية حين يبدو ثديها للنهود، والبيض القواضب: السيوف القواطع.

(٣) اسم يكن عائد على الإلمام المفهوم من البيت قبله وهو قوله: ألا على الدار التى لو وجدتها إلخ، و«معرج» خبرها وهو اسم مفعول بمعنى المصدر أى وإن لم يكن الإلمام إلا تعريج ساعة، والمراد بالتعريج الإقامة، و«قليلا» صفة مؤكدة لمعنى القلة إلا تعريجًا قليلا فى ساعة.

(٤) بفتح السين منصوب على التمييز من السفه وهو خفة العقل.

مضاف إليه ذلك الطرف قد وقع العكس بينهما، فقدم أولاً القول على الإمام، ثم عكس فقدم الإمام على القول، ومثله قولهم عادات السادات سادات العادات، ويقال فيه ما قيل في الأول -يريد أن يقول: إن الأمور المعتادة للأشراف والأكابر أفضل وأشرف من الأمور المعتادة لغيرهم من الناس.

ثانيها: أن يقع بين متعلقي فعلين في جملتين كقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ [الأنعام: ٩٥] فالحي والميت متعلقان «بيخرج» في الجملتين وقد قدم أولاً الحي على الميت، ثم عكس، فقدم الميت على الحي.

ثالثها: أن يقع بين لفظين في طرفي جملتين كقوله تعالى: ﴿لا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠] فاللفظان هما -ضمير الذكور وضمير الإناث، وهما واقعان في طرفي كل جملة من هاتين الجملتين وقد قدم في الجملة الأولى ضمير الإناث على ضمير الذكور، ثم عكس وقدم في الجملة الثانية ضمير الذكور على ضمير الإناث.

٤- السجع: هو توافق الفاصلتين من النثر على حرف واحد في الآخر والفاصلة هي الكلمة الأخيرة من جملة مقارنة لأخرى، وتسمى كل واحدة من هاتين الجملتين «قرينة» لمقارنتها لأخرى، كما تسمى «فقرة».

وهو على ثلاثة أنواع: مطرف، ومرصع، ومتواز.

فالمطرف[1]: ما اختلف فيه الفاصلتان وزنًا كقوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٣، ١٤] «فوقارا» القرينة الأولى، لأنها الكلمة الأخيرة منها «وأطوارا» فاصلة القرينة الثانية وقد اختلفتا في الوزن لأن ثاني «وقارا» متحرك وثاني: أطوارا» ساكن.

والمرصع[2]: ما كان فيه ألفاظ إحدى القرينتين -كلها أوجلها مثل ما يقابلها من الفقرة الأخرى في الوزن والتقفية[3] كما في قول الحريري: فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه.

(١) سمي «مطرفًا» لأن ما وقع به التوافق إنما هو الطرف وهو الحرف الأخير.
(٢) سمي كذلك تشبيهًا له بالعقد يحمل فيه إحدى اللؤلؤتين في مقابلة الأخرى.
(٣) هي الاتفاق على الحرف الأخير.

فجميع ما فى القرينة الثانية موافق لما يقابله من الأولى وزنًا وتقفية، (فيطبع) موازن (ليقرع) والقافية فيهما والأسجاع موازن للأسماع والقافية فيهما أيضًا (وجواهر) موازن (لزواجر) والقافية فيهما الراء و(لفظه) موازن (لوعظه) والقافية فيهما الظاء ولو أبدل لفظ الأسماع (بالآذان) كان مثلاً لها يكون أكثر ما فى القرينة الثانية موافقًا لما يقابله من الأولى.

والمتوازى[1]: ما لم يكن جميع ما فى القرينة، ولا أكثره مثل ما يقابله من الأخرى - وهذا صادق بأمور ثلاثة:

١- أن يكون الاختلاف فى الوزن والتقفية معًا.

٢- أن يكون الاختلاف فى التقفية دون الوزن.

٣- أن يكون الاختلاف بالعكس.

فمثال الأول: قوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ [الغاشية: ١٣] فالقرينتان: هما (سرر مرفوعة) و(أكواب موضوعة) ولفظ (فيها) لا اعتبار له لعدم وجود ما يقابله (فسرر) وهو نصف القرينة الأولى يقابله (أكواب) من القرينة الأخرى، وقد اختلفتا وزنًا وتقفية.

ومثال الثانى قولهم: حصل الناطق والصامت، وهلك الحاسد والشامت[2] (فحصل) فى القرينة الأولى على زنة (هلك) فى القرينة الثانية ولكنهما اختلفتا تقفية إذ أن قافية الكلمة الأولى هى (اللام) وقافية الثانية (الكاف) وكذا يقال: فى الناطق والحاسد.

ومثال الثالث قوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ [المرسلات: ١، ٢] فقد اختلف (المرسلات والعاصفات) فى الوزن فالأولى على زنة (مفعلات) والثانية على زنة (فاعلات) ولكنهما توافقتا فى التقفية إذ أن قافيتهما معًا (التاء).

---

(١) سمى بذلك لتوازن الفاصلتين، أى توافقهما وزنًا وتقفية دون رعاية غيرهما ويكفى فى التسمية أدنى اعتبار

(٢) الناطق الرقيق، والصامت كالخيل ونحوها من سائر الحيوان.

وأحسن السجع: ما تساوت قرائنه فى عدد الكلمات كما فى قوله تعالى: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٨، ٣٠][(١)] فهذه قرائن ثلاث متساوية فى أن كُلاً مركب من كلمتين -ويليه ما طالت قرينته الثانية أو الثالثة فالأولى كما فى قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم: ١، ٢] فهاتان قرينتان ثانيتهما أكثر عدداً من الأولى والثانية كقوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠، ٣١] فقوله: ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ قرينة ثالثة، وهى أطول من سابقيتها، كما هو ظاهر.

ولا يحسن: أن يؤتى بالقرينة الثانية أو الثالثة أقصر مما سبقتها، لأن السجع قد استوفى أمده فى الأول، فإذا جاء الثانى أقصر بقى الإنسان عند سماعه بمثابة من يريد الانتهاء إلى غايته، فيعثر دونها.

٥- الازدواج: هو تجانس اللفظين المتجاورين كقوله تعالى: ﴿مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢] ونحو: من جدَّ وجد ومن لج ولج -وما أشبه ذلك.

٦- لزوم ما لا يلزم: هو أن يلتزم الناظم أو الناثر قبل الروى نظمًا أو قبل الحرف الأخير فى الفاصلة نثرًا ما ليس بلازم كالتزام حرف وحركة أو كالتزام أحدهما بحيث يتم النظم، أو السجع بدونه.

فما التزم فيه الحرف والحركة معًا قول الطغرائى[(٢)] فى لاميته المشهورة.

أصالة الرأى صانتنى عن الخطل ... وحلية الفضل زانتنى لدى العطل

وكقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ٩].

فحرف الروى[(٣)] فى البيت هو اللام وقد جىء قبله بطاء مفتوحة فى المصراعين، وهو ليس بلازم والحرف المقابل للروى فى الآية هو «الراء» وقد جىء قبله بهاء مفتوحة فى الفقرتين وهو ليس بلازم كذلك إذ يتم النظم فى الأول، والسجع فى الثانى بدونهما.

---

(١) السدر شجر النبق ومخضود: مقطوع الشوك؛ والطلح: نوع ضخم من الشجر.
(٢) هو شاعر جليل اصبهانى الأصل برع فى الكتابة والشعر حتى كان أوحد زمانه.
(٣) هو الحرف الذى بنى عليه القصيدة فى آخر البيت، وتنسب إليه فيقال قصيدة ميمية، ولامية -وهكذا.

ومما التزم فيه الحركة فقط قول امرئ القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزلِ ... بسقط اللوى بين الدخول فحوملِ
فتوضح فالمقراط لم يعف رسمها ... لما نسجتها من جنوب وشمال

فقد التزم الفتح فقط فى الحرف الذى قبل الروى وهو ليس بلازم .

ولأبى العلاء المعرى الباع الطويل فى هذا النوع وها هى ذى لزومياته شاهد صدق على ذلك .

تمرين يطلب جوابه

بين أنواع المحسنات اللفظية فيما يأتى :

١- لو زارنا طيف ذات الحال أحيانا ... ونحن فى حفرة الأحداث أحيانا

٢- عضَّنا الدَّهْرُ بِنَابِه ... ليْتَ مَا حلَّ بنا به
لا يوالى الدهر إلا ... خاملا ليس بنابه

٣- والمكر مهما اسطعت لا تأته ... لتقتنى السؤدد والمكرمه

٤- فَهَمْتُ كتابك يا سيدى ... فَهِمْتُ ولا عجب أن أهيما

٥- رحبة رحبة .

٦- قال الحريرى : فمحرابى أحرى بى ورأسمالى[1] لسمى[2] لى .

٧- البرايا أهداف البلايا .

٨- بذلت الجهد لحافظ العهد .

٩- قال البحترى :

لئن صدفت عنا فربت أنفس ... صواد إلى تلك الوجوه الصوادف[3]

---

(١) جمع سمل على زنة حذر الثوب الخلق.
(٢) من السر.
(٣) الصوادى جمع صادية وهى العطشى والصوادف جمع صادفة وهى المعرضة.

وكم سبقت منه إلىَّ عوارفٌ ثنائى على تلك العوارف وارف

١٠- البدعة شرك الشرك.

١١- قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾.

١٢- ممنعة منعمة رداح يكلف لفظها الطير الوقوعا

١٣- جئت من حلب ببلح.

١٤- حر الكلام كلام الحر.

١٥- فيا سعد حدثنا بأخبار من مضى فأنت خبير بالأحاديث يا سعد

١٦- مودته تدوم لكل هول وهل كلٌّ مودته تدوم؟

١٧- ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [الغاشية: ٢٥، ٢٦].

١٨- من علم سلم.

١٩- سأشكر عَمْرًا ما تراخت منيتى أيادى لم تمنن[١] وإن هى جلت

فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت

رأى خلتى[٢] من حيث يخفى مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلت

تمرين آخر يطلب جوابه

لا خاب من استخار، ولا ندم من استشار، ما مات من أحيا علمًا، ولا افتقر من ملك حلمًا. سربى فسربى طلقوا وطنى، الشرط أملك عليك أَم لك؟ فلان طويل النجاد، وطلاع النجاد.

وقلت للائمى: اقصر فإنى سأختار المقام على المقام

فى الحديث: «عليكم بالأبكار، فإنهن أشد حبًا وأقل خبًا».

وخز الأسنةِ والخضوعِ لناقصٍ أمرانِ فى رأى النُّهى مُرَّان

(١) لم تقطع.
(٢) الخلة بفتح الخاء: الحاجة.

والرأى فيما دونه الأمران أن تختار وقع أسنة المران
وكم غمر من بره ولطائف لشكرى على تلك اللطائف طائف
فإن حلوا فليس لهم مقر وإن رحلوا فليس لهم مفر
كلكم قد أخذ الجام ولا جام لنا ما الذى ضر مدير الجام لو جاملنا؟
فكم لجباه الراغبين لديه من مجال سجود فى مجالس جود
آس أرملاً إذا عُرا وارع إذا المرءُ أَسَا

قال بعضهم غرك عزك، فصار قصار ذلك ذلك، فاحش فاحش فِعْلك فَعلّك بهذا تُهدى.

فاللهم ألهمنا الهداية ووفقنا إلى الصواب، وجنبنا فاحش الفعل قولاً وعملاً، واهْدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم.

●●●

نصوص امتحانات سابقة للنقل من الأولى إلى الثانية

الدور الأول لسنة ١٣٥٥هـ دراسية

١- اشرح المعانى الاصطلاحية للألفاظ الآتية مع التمثيل :

بلاغة الكلام - التشبيه الملفوف - تشبيه تسوية - التشبيه المرسل - الاستعارة تخييلية - كناية النسبة - الرجوع - حسن التعليل .

٢- اشرح أربعة من الأغراض التى تقصد من التشبيه ، ومثل لكل غرض .

٣- بين ما فى البيتين الآتيين من البديع :

لا بأبينا جعفر وبأمنا	نقول إذا الهيجاء سار لواؤها
ولا عيب فيه غير ما خوف قومه	على نفسه ألا يطول بقاؤها

ثم تكلم من علم البيان على ما تحته خط فى الأبيات الآتية :

دببت للمجد والساعون قد بلغوا	جهد النفوس وألقوا دونه الأزرا
تكابروا المجد حتى ملَّ أكثرهم	وعانق المجد من أوفى ومن صبرا
لا تحسب المجد تمرًا أنت آكله	لن تبلغ المجد حتى تعلق الصبرا

٤- مثل من إنشائك لكل ما يأتى :

مجاز مركب ، استعارة مطلقة . كناية يراد بها صفة . تشبيه المشبه فيه حسى والمشبه به عقلى .

الدور الأول لسنة ١٣٦٠هـ دراسية

القواعد:

١- اشرح المعانى الاصطلاحية للألفاظ الآتية :

ضعف التأليف - التعقيد المعنوى - الاستعارة بالكناية - الاستعارة التمثيلية .

٢- يقولون: إن التشبيه يتفاوت فى المبالغة قوة وضعفًا باعتبار ذكر الأركان وتركها. اشرح ذلك مع التوضيح بالأمثلة.

٣- أجب على ما يأتى:

أ- افرق بين المجاز المرسل والاستعارة ومثل لكل منهما.

ب- متى يعتبر الترشيح والتجريد فى الاستعارة؟ بين ذلك فى مثالين تأتى بهما.

جـ- لم كان المجاز أبلغ من الحقيقة؟ اشرح ذلك فى مثال من عندك.

التطبيق:

١- بين نوع كل استعارة وقرينتها فى كل مما يأتى:

أ- شر الناس من يهدم دينه ليبنى دنياه.

ب- **شراء النفوس بالإحسان ... خير من بيعها بالعدوان**

جـ- أولى الناس بزمام الحكم من يبسط جناح رحمته على الرعية.

٢- ما نوع الكناية فيما يأتى:

أ- قالت أعرابية لبعض الولاة: أشكو إليك قلة الجرذان.

ب- **ودبت له فى موطن الحلم علة ... لها كالصلال الرقش شر دبيب.**

جـ- قولهم فى مدح الشخص: المجد ملء إهابه.

د- وقولهم: فتى ذكره على مشرق الشمس والمغرب.

٣- بين ما فى الأبيات الآتية من أنواع البديع:

أ- **وسميته يحيى ليحيا فلم يكن ... إلى رد أمر الله فيه سبيل**

ب- **وننكر إن شئنا على الناس قولهم ... ولا ينكرون القول حين نقول**

جـ- **لا تنكرى عطل الكريم من الغنى ... فالسيل حرب للمكان العالى**

ومولع بفخاخ ... يمدها وشباك

قالت لى العين ماذا ... تصيد قلت كراكى

الدور الثانى لسنة ١٩٦٠م دراسية

القواعد:

١ - افرق بين الحال ومقتض الحال وخاطب من ينكر كرمك بعبارة تطابق مقتضى الحال، مع بيان ذلك فيها، ثم بين على أى شيء يتوقف حصول البلاغة؟.

٢- عرف كلا من الاسعارة المرشحة والمطلقة والمجردة، ورتبها بحسب تفاوتها فى المبالغة، مع التمثيل والتوجيه لما تذكر:

٣- أجب على ما يأتى:

أ- لماذا لا تجرى الاستعارة فى علم الشخص وهل ذلك مطرد؟

ب- اشرح أغراض التشبيه التى تعود على المشبه به مع التمثيل.

التطبيق:

١- بين نوع المجاز فيما تحته خط مما يأتى، وأجر الاستعارة فيما فيه استعارة:

أ- كفى بالمرء عيبًا أن تراه ... له وجه وليس له لسان

ب- قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم ... طاروا إليه زرافات ووحدانا

جـ- ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [إبراهيم: ١].

د- حفر محمد على ترعة المحمودية.

هـ- سكنت القاهرة.

٢- مثل من إنشائك لما يأتى: استعارة مكنية. مجاز مرسل علاقته السببية، استعارة تبعية فى مشتق. وجه شبه عقلى. تشبيه ملفوف.

٣- اذكر ما فى الأمثلة من أنواع البديع:

أ- لا يذكر الرمل إلا حن مغترب ... له إلى الرمل أوطار وأوطان

ب- أرى بدر السماء يلوح حينًا ... ويبدو ثم يلتحف السحابا

وذاك لأنه لما تبدى ... وأبصر وجهك استحيا وغابا

جـ- إذا نحن سرنا بين شرق ومغرب تحرك يقظان التراب ونائمه

د- ألست أنت الذى من وِرد نعمته وورد راحته أجنى وأغترف؟

الدور الأول لسنة ١٣٦١هـ دراسية

١- اشرح المعانى الاصطلاحية للألفاظ الآتية مع التمثيل:

فصاحة الكلمة، التعقيد اللفظى، بلاغة الكلام، الحقيقة العقلية، التوجيه، الاقتباس.

٢- عرف الاستعارة، واذكر ما لا بد منه فيها. ثم بين متى تأتى فى علم الشخص، ومتى يمتنع تأتيها ومثل لما تقول: (٨- ٤٠)

٣- ما هى القرينة، ولم انقسم اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له بسببها إلى مجاز وكناية، ثم لِمَ كانت الاستعارة أبلغ من التشبيه؟ وما معنى هذه الأبلغية. (٥- ٤٠)

٤- أجب على ما يأتى:

أ- متى تكون الاستعارة أصلية، ومتى تكون تبعية؟

ب- متى يكون المجاز المركب استعارة تمثيلية، ومتى يسمى مثلاً؟

جـ- لم كانت الاستعارة المرشحة أبلغ من غيرها؟ (٥- ٤٠)

التطبيق:

١- أ- ميز المؤكد من المرسل فى التشبيهات الآتية: واذكر الغرض من كل تشبيه:

والغيث منهل يسح كأنه دمع المودع إثر إلف سائر

تصوغ لنا أيدى الربيع حدائقًا كعقد عقيق بين سمط لآلى

أنت نجم فى رفعة وضياء تجتليك العيون شرقا وغربا

(٣- ٤٠)

٢- بين نوع الكناية فى هذه الأمثلة:

ضربت العظمة سرادقها على محمد، فلان يفترش الغبراء، ويلتحف السماء.

بعيدة مهوى القرط إما لنوفل أبوها وإما عبد شمس وهاشم

(٣- ٤٠)

٣- هات مثالاً لكل ما يأتى:

استعارة مكنية. مجاز مرسل علاقته المسببية. وآخر علاقته المحلية.

ثلاثة تشبيهات «الأول» وجهه مركب حسى «والثانى» الغرض منه الاستطراف، و«الثالث» مجمل خفى الوجه

(٦- ٤٠)

ب- سم النوع البديعى فى كل واحد من الأمثلة الآتية:

١- فى الحديث. خير المال عين ساهرة لعين نائمة.

٢- وكنا متى يغز النبى قبيلة نصل جانبيه بالقنا والقنابل

٣- أقول وقد شنوا إلى الحرب غارة دعونى فإنى آكل الخبز بالجبن

٤- لم يزل جوده يجور على الما ل إلى أن كسا النضار اصفرار

(٦- ٤٠)

الدور الأول لسنة ١٣٦٢هـ دراسية

١- عرف وجه الشبه وافرق بين وجه الشبه الواحد والمركب والمتعدد مع التمثيل وهل كلما كان الطرفان حسيين وجب أن يكون وجه الشبه كذلك وضح هذا ممثلا له.

٢- أ- عرف المجاز المرسل؛ وافرق بينه وبين الاستعارة، ومثل لهما.

ب- متى يجوز جريان الاستعارة فى علم الشخص مع التمثيل والتوجيه.

٣- وازن بين الاستعارة المطلقة، والمرشحة، والمجردة، ورتبها بحسب تفاوتها قوة وضعفًا، مع التمثيل.

التطبيق:

أ- اجعل التشبيهات الآتية استعارات تصريحية (فوق الأشجار بلابل تغرد كأنها القيان- النجوم فى السماء كالدر المنثور).

ب- بين نوع المجاز والكناية فيما يأتى:

فلان طاهر الذيل وملء إهابه الكرم. أنا ساكن الإسكندرية صيفًا.

الدور الأول لسنة ١٣٦٣هـ دراسية

القواعد:

١- فصل القول فى بيان الأمور التى إذا خلصت منها الكلمة تحقق لها وصف الفصاحة، مع التمثيل، ثم اذكر تعريف البلاغة فى الكلام. وطبق التعريف على مثال من إنشائك، مبينًا فيه الحال ومقتضاه. (١٠- ٤٠)

٢- اذكر أغراض التشبيه، وبين ما يعود منها على المشبه، وما يعود على المشبه به، مع التمثيل.

٣- عرف الاستعارة التمثيلية وأجرها فى قوله تعالى: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٨٧] يريد الميثاق. ولماذا خصت باسم التمثيلية، ثم بين محسنات الاستعارة، وما الذى قلل من حسنها فى قول الشاعر:

لا تعجبوا من بلى غلالته ... قد زر أزراره على القمر

وكيف صحت الاستعارة فى هذا البيت، والطرفان مذكوران فيه، والاستعارة لا يجمع فيها بين الطرفين. (١٣- ٤٠)

التطبيق:

١- بين نوع الاستعارة فى **الأمثلة الآتية:**

إن المنبت لا أرض **أقطع ولا ظهرًا أبقى -من بعثنا من مرقدنا؟ - أخبرنى وجهك** بصدقك. (٦- ٤٠)

٢- اذكر النوع البديعى فى قول الله تعالى:

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ﴾ [النحل : ١٢٦].

الدور الثانى لسنة ١٣٦٣هـ دراسية

القواعد:

١- عرف التشبيه، وهل هو من قبيل الحقيقة أو المجاز؟ وجه ما تقول؟ وما الذى تدخل عليه الأداة من الطرفين، وما المراد بوجه الشبه؟ ثم فرق بين التمثيل وغيره، ومثل لجميع ما تذكر.

٢- اشرح الأمور التى إذا خلص منها الكلام كان فصيحًا، ومثل لما تذكر.

٣- وضح الفرق بين الاستعارة والمجاز المرسل، وفى أى نوع من الاستعارة يذكر اسم المستعار منه، وفى أى نوع لا يذكر، ما الذى يدل عليه عند عدم ذكره، وما معنى الترشيح والتجريد فى الاستعارة بين ما تذكر بالمثال .

٤- عرف الكناية ومثل لها، وبين نوعها فى المثال التى تذكره، ولماذا كانت أبلغ من التصريح؟

التطبيق:

١- مثل لما يأتيى: تشبيه تسوية- تشبيه أحد طرفيه مركب والآخر مفرد- استعارة فى علم الشخص ثم أجرها فيه.

٢- بين النوع البديعى فى قول الشاعر :

رأى العقيق فأجرى ذاك ناظره ... متيّمٌ لجَّ فى الأشواق خاطره

وفى قول الآخر :

على أننى راضٍ بأن أحمل الهوى ... وأخرج منه لا علىَّ ولا ليا

٣- ما الذى أخل بالفصاحة فى قول الشاعر :

بثينة شأنها سلبت فؤادى ... بلا ذنب أتيت به سلاما

وما الوضع الفصيح لهذا الكلام؟

الدور الأول لسنة ١٣٦٤هـ دراسية

القواعد:

١ - اشرح الفرق بين التعقيد اللفظى والمعنوى، ومثل لكل منهما، وبين من أى النوعين قول الشاعر:

فأصبحت بعد خط بهجتها ... كأن قفرًا رسومها قلما

وكيف ترتب هذا الكلام ليكون فصيحًا؟ (٨- ٤٠)

٢- متى يكون وجه الشبه قريبًا مبتذلاً، ومتى يكون بعيدًا غريبًا، وما سبب قربه وابتذاله، وبعده وغرابته بين ذلك مع التمثيل. (٨- ٤٠)

٣- عرف الاستعارة المكنية عند الجمهور، ومثل لها، وهل هى والتخييلية متلازمتان؟ ولماذا؟ ثم أجر الاستعارة فى قول الشاعر:

وإذا العنايةُ لاحظتك عيونُها ... نَمْ فالمخاوفُ كلهنَّ أمانُ

(٨- ٤٠)

التطبيق:

١- بين النوع البديعى وموضعه فى الأمثلة الآتية:

قال الله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٨].

وقال رسول الله ﷺ: «أَسْلَمُ سالمها الله، وغفار غفر الله لها، وعصية عصت الله ورسوله».

وقال الشاعر:

بروحى جيرة أبقوا دموعى ... وقد رحلوا بقلبى واصطبارى

كانا للمجاورة التسمنا ... فقلبى جارهم والدمع جارى

(٨- ٤٠)

٢- بين نوع المجاز وعلاقته فى الأمثلة الآتية:

قال الله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ منكُمُ الشَّهْرَ فلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقال رسول الله ﷺ: «لأمهات المؤمنين: «أطولكن يدًا أسرعكن لحوقًا بى».

وقال الشاعر:

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا   بأننى خير من تسعى له قدم

٣- قال الله تعالى: ﴿أَوَ مَن يُنَشَّأُ فِى الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: ١٨].

وقال الشاعر:

ودبت له فى موطن الحلم علة   لها كالصلال الرقش دبيب

(٨- ٤٠)

الدور الثانى لسنة ١٣٦٤ هـ دراسية

القواعد:

١- اشرح المعانى الاصطلاحية للألفاظ الآتية ومثل لها:

ضعف التأليف، الحال، تشبيه التسوية، حسن التعليل. (٨ - ٤٠)

٢- افرق بين التشبيه المجمل والمفصل، وبين أنواع المجمل مع التمثيل لكل نوع منها، ومن أى نوع فى تشبيه الكلام الفصيح (هو كالعسل فى الحلاوة) ولماذا.

٣- عرف الاستعارة المرشحة والمجردة والمطلقة، وهل يجتمعان؟ مع التمثيل لكل ما تذكر. (٨ - ٤٠)

التطبيق:

١- أ- بين نوع الكناية فى المثالين الآتيين:

قال الله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ [القمر: ١٣].

وقال الشاعر:

فما جاره جود ولا حلّ دونه ولكن يسير الجود حيث يسير

ب- بين نوع المجاز وعلاقته فيما يأتي: قال الله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١].

وقال الشاعر:

وما من يد إلا يد الله فوقها ولا ظالم إلا سيُبلى بظالم

وقال آخر:

فشككت بالرمح الأصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم

جـ- مثل من إنشائك لما يأتي:

تشبيه جمع، مجاز مرسل علاقته المسببة، استعارة مكنية، كناية أريد بها صفة، مقابلة، ازدواج، مجاز عقلى (١٤ - ٤٠)

الدور الأول لسنة ١٣٦٥هـ دراسية

القواعد:

١- عرف بلاغة الكلام، واشرح التعريف شرحًا وافيًا مع التمثيل ثم بين النسبة بين الفصاحة والبلاغة، وما منشأ تفاوت مراتب البلاغة. مع توضيح ذلك بالمثال. (١٠ - ٢٠)

٢- بأى أنواع الدلالات تتحقق فائدة علم البيان، ولماذا؟ وما وجه ذكر مبحث التشبيه فى هذا العلم؟ وهل هو من قبيل الحقيقة أو المجاز؟ وجه ما تقول. (٨ - ٤٠)

٣- عرف المجاز المفرد، وقسمه، وبين فرق معنى كل قسم مع التمثيل، ثم بين وجه التقسيم، وبماذا تخرج الغلط والكذب من المجاز؟ وما الفرق بين الكناية والمجاز؟ وضح ذلك فى المثال. (١١ - ٤٠)

التطبيق:

١- بين طرفى التشبيه ووجهه، والغرض منه، فى قول الفرزدق:

تفاريق شيب فى الشباب لوامع وما حسن ليلى ليس فيه نجوم

(٤ - ٤٠)

٢- بين نوع الاستعارة وطريقة إجرائها فى قوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤]. (٣ - ٤٠).

مثل لما يأتى:

٣- استعارة مكنية - كناية عن موصوف - تشبيه تمثيل - تورية.

الدور الثانى لسنة ١٣٦٥ هـ دراسية

القواعد

١- اشرح معانى الألفاظ الآتية ومثل لها:

فصاحة المفرد - التشبيه الملفوف - تشبيه التسوية - الاستعارة المرشحة - كناية النسبة. (١٠ - ٤٠).

٢- متى تعود فائدة التشبيه على المشبه به؟ ومتى يعدل عن التشبيه إلى التشابه؟ ومتى يكفى مجرد الادعاء فى تحقيق التشبيه؟ ومتى لا يكفى؟ بين جميع ذلك بالأمثلة. (٨ - ٤٠)

٣- عرف الاستعارة، واذكر أركانها، وبين الأمور التى يجب تحققها فيها مع التمثيل وهل هى من المجاز اللغوى والعقلى؟ وجه ما تقول. (١١ - ٤٠)

التطبيق:

١- بين نوع الكناية فيما يأتى

يقولون فى الشيب: رغوة الشباب، وفى المرأة المترفة: نؤوم الضحى. يقولون فلان عانق المجد.

٢- بين نوع الاستعارة، وطريقة إجرائها فى قول الشاعر:

رمتنى بسهم ريشه الكحل لم يضر ظواهر جلدى وهو للقلب جارح

وما فائدة قوله. ريشه الكحل؟ (٤ - ٤٠)

٣- مثل لما يأتى:

مجاز مركب - تشبيه مفصل - مجاز مرسل علاقته المسببية - استعارة تبعية فى اسم الفاعل. (٤ - ٤٠)

الدول الأول لسنة ١٣٦٦ هـ دراسية

القواعد:

١ - اشرح معنى التعقيد، وقسمه، بين كل قسم مع التمثيل مع بيان وجه التعقيد فيما تذكر من المثل. (١٠ - ٤٠)

٢ - عرف وجه الشبه، وبين التحقيقى منه وغيره واذكر الفرق بين المركب والمتعدد منه، مع التمثيل لكل ما تقول. (٩ - ٤٠)

٣ - عرف الاستعارة التصريحية وقسِّمها باعتبار اللفظ المستعار، ومثل لكل قسم، وأجرها فى قول الشاعر:

ولئن نطقت بشكر ربك مفصحًا فلسان حالى بالشكاية أنطق

(٩ - ٤٠)

التطبيق:

١ - بين المشبه والمشبه به، ووجه الشبه والغرض فيما يأتى:

كأن قطاة علقت بجناحها على كبدى من شدة الخفقان

(٤ - ٤٠)

٢ - مثل لما يأتى:

تشبيه مجمل، مجاز مركب. مشاكلة. (٣ - ٤٠)

الدور الثانى لسنة ١٣٦٦ هـ دراسية

القواعد:

١ - بين معنى مخالفة القياس، واذكر معنى التنافر وما يعول عليه فى معرفته. وضح ما تقول بالأمثلة واشرح السبب الذى أخلَّ بالفصاحة فى البيت الآتى:

إلى ملك ما أمه من محارب   أبوه ولا كانت كليب تصاهره

(١٠ – ٤٠)

٢- اذكر أقسام التشبيه من جهة إفراد طرفيه وتركيبهما، وبين معنى التقييد والفرق بينه وبين التركيب مع التمثيل لكل ما تقول. (١٠ – ٤٠)

٣- قسم الاستعارة التصريحية باعتبار ذكر الملائم، واشرح كل قسم مع التمثيل، ووازن بين الأقسام من جهة المبالغة.

التطبيق: قال الشاعر:

(١) كأن الشموع وقد أوقدت   فأخرجن من كل رمح سنانًا

أصابع أعدائك الخائفين   تضرعن يطلبن منك الأمانا

بين طرفى التشبيه وهل هما من قبيل المفرد أو المركب؟ واذكر وجه الشبه؟

٢- اشرح الكناية فى البيت الآتى وبين المطلوب منها ونوعها:

يبيت بمنجاة من اللوم بيتها   إذا ما بيوت بالملامة حلت

(٣ – ٤٠)

٣- مثل ما يأتى:

تشبيه: الغرض منه بيان الإمكان، مجاز مرسل علاقته السببية، كناية المطلوب بها نسبة، مقابلة. (٤ – ٤٠)

الدور الأول لسنة ١٣٦٨ هـ دراسية

القواعد:

١- ما بلاغة الكلام، وما الحال، وما مقتضى الحال، اذكر مثلا توضح به الحال، ومقتضى الحال، وبم يرتفع قدر الكلام ويعلو شأنه، ولم كان القرآن فى أقصى درجات البلاغة؟ (٧ – ٤٠)

٢- اذكر الفرق بين التشبيه الملفوف، والمفروق مع التمثيل، والفرق بين تشبيه التسوية، وتشبيه الجمع مع التمثيل (٨ – ٤٠)

٣- عرف الاستعارة بالكناية، والاستعارة التخييلية عند الجمهور وبينهما فى قول الهذلى:

وإذا المنيـــة أنشــبت أظفـــارها ألفـــيت كل تميـــمـــة لا تنفع

وأجر الاستعارة بالكناية، وبين لما سميت التخييلية استعارة، ولم سميت تخييلية ولم كانت التخيلية والمكنية؟ متلازمين عند الجمهور؟

(١٠-٤٠)

التطبيق:

١- بين المشبه، والمشبه به، ووجه الشبه، والأداة فى قول الشاعر:

العـمــر مـثـل الضـيـف أو كـــالطيف ليس له إقـــامــه

٢- كون ثلاثة تشبيهات من إنشائك يكون وجه الشبه فى الأول واحداً وفى الثانى مركبًا، وفى الثالث متعدداً (٥-٤٠)

٣- قال ابن نباتة السعدى فى وصف مهر أغر:

وأدهم يســتــمـــد الليل منه وتطلع بين عـــينيـــه الثريا

فى الشطر الثانى من هذا البيت استعارة، فبينها وبين قرينتها ثم أجرها.

(٤-٤٠)

٤- بين ما فى هذه الأبيات من البديع:

وخـز الأسنة والخـضوع لـناقصٍ أمــران فى رأى النهى مُــرَّان

والرأى فـيـما دونه الأمـران أن تخـتـــار وقع أسنة المران

وقال ابن الرومى:

آراؤكم ووجــوهكم وسيــوفكم فى الحــادثات إذا دجــون نجـوم

منهـا مـعـالم للهـدى ومصـابيح تجلـو الدجى والأخـريات رجوم

(٣-٤٠)

موضوعات الكتاب

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣
كلمة موجزة فى تاريخ علوم البلاغة	٥
وجه الحاجة إلى دراستها	٧
معنى الفصاحة والبلاغة	٨
فصاحة الكلمة	٨
فصاحة الكلام	١٧
فصاحة المتكلم	٢٤
بلاغة الكلام	٢٧
بلاغة المتكلم	٣٠
تتمة فى معرفة العيوب المخلة بالفصاحة والبلاغة	٣٠
علم البيان	٣٥
مبحث الدلالة	٣٧
تقسيم اللفظ إلى حقيقة ومجاز وكناية	٤٣
مبحث التشبيه- تعريفه- أركانه	٤٤
التقسيم الأول للطرفين	٤٥
التقسيم الثانى للطرفين	٤٥
التقسيم الثالث للطرفين	٥٠
مبحث وجه الشبه	٥٥
التقسيم الأول لوجه الشبه	٥٦
التقسيم الثانى لوجه الشبه	٥٦

التقسيم الثالث لوجه الشبه ٥٨
التقسيم الرابع لوجه الشبه ٦٠
التقسيم الخامس لوجه الشبه ٦٢
التقسيم السادس لوجه الشبه ٦٤
مبحث الأداة ٧١
تقسيم التشبيه باعتبار الأداة ٧٢
مبحث أغراض التشبيه ٧٤
تقسيم التشبيه باعتبار الغرض ٨٠
فصل فى بيان مراتب التشبيه ٨٦
خاتمة فى استعمال صيغة التشابه بدل صيغة التشبيه ٨٨
الاختلاف فى صيغة التشبيه ٩٠
مبحث الحقيقة والمجاز ٩١
أقسام الحقيقة العقلية ٩٢
المجاز العقلى ٩٥
علاقته وقرينته ٩٦
المجاز المفرد ٩٨
الاستعارة ٩٩
ما لابد منه لتحقيقها ٩٩
الاستعارة التصريحية وتقسيمها باعتبار الطرفين واللفظ المستعار ١٠٢
الاستعارة فى الفعل ١٠٣
الاستعارة فى المشتقات ١٠٥
الاستعارة فى الحرف ١٠٦
تقسيمها إلى مرشحة ومجردة ومطلقة ١٠٨
موازنة بين هذه الثلاثة ١١١

قرينة الاستعارة التصريحية ١١٢
الاستعارة المكنية ١١٤
قرينة المكنية ١١٦
فصل فى شروط حسن الاستعارة ١٢٤
المجاز المرسل ١٢٦
علاقات المجاز المرسل ١٢٦
المجاز المركب ١٣٥
الاستعارة التمثيلية ١٣٦
مبحث الكناية ١٤١
أقسام الكناية ١٤٢
تتمة فى أبلغية المجاز والاستعارة والكناية ١٤٩
علم البديع ١٥٣
المحسنات المعنوية- المطابقة ١٥٤
المقابلة ١٥٥
المشاكلة- الاستخدام ١٥٦
التورية ١٥٧
اللف والنشر ١٥٨
التوجيه ١٥٩
الاقتباس ١٦٠
الجمع- التفريق ١٦١
التقسيم- المبالغة ١٦١
حسن التعليل ١٦٤
ائتلاف اللفظ مع المعنى ١٦٥
حسن الابتداء ١٦٦

حسن الختام ١٦٧
المحسنات اللفظية- الجناس ١٦٩
رد العجز على الصدر ١٧٥
العكس ١٧٦
السجع ١٧٧
الازدواج- لزوم ما لا يلزم ١٧٩
أسئلة لامتحانات رسمية ١٨٣

***

